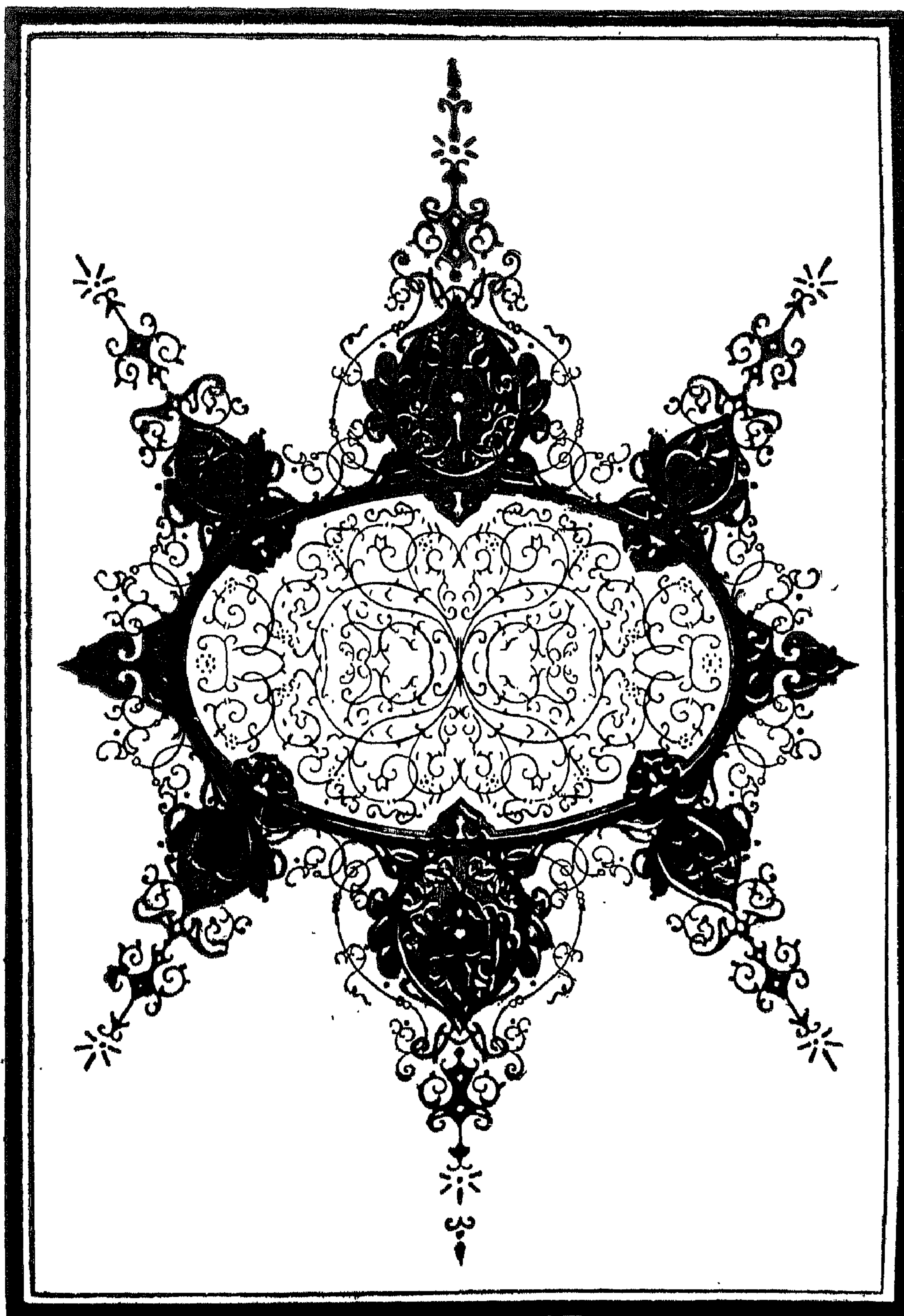


مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء الثامن والثلاثون
ذو القعدة ١٣٩٦ هـ
نوفمبر ١٩٧٦ هـ



مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٢٦ شارع مراد - الجيزة

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

العدد الثامن والثلاثون
ذو القعدة ١٣٩٦ هـ - نوفمبر ١٩٧٥ م

المشرف على المجلد:

د. إبراهيم الشيباني

رئيس التحرير:

إبراهيم التكري

الفهرس

بحوث ومقالات:

● احياء التراث (١)

للدكتور ابراهيم مدكور

٧ ص

● من الدراسات القرآنية

للاستاذ على النجدي ناصف

١١ ص

● الجناس وانواعه

في منظومة ابن طاهر الهواري
قاضي فاس

للاستاذ عبد الله كنون

١٦ ص

● سجل شعري تاريخي فريد

للدكتور شوقي صيف

٢٤ ص

● شعراؤنا القدامى والجن

للدكتور احمد الحوفي

٤٢ ص

● الملاحم

بين اللغة والأدب والتاريخ
للاستاذ محمد شوقي امين

٥٥ ص

● تحقيق لسان العرب (٨)

للاستاذ عبد السلام هارون

٥٠ ص

● طرف من الأدب واللغة (٢)

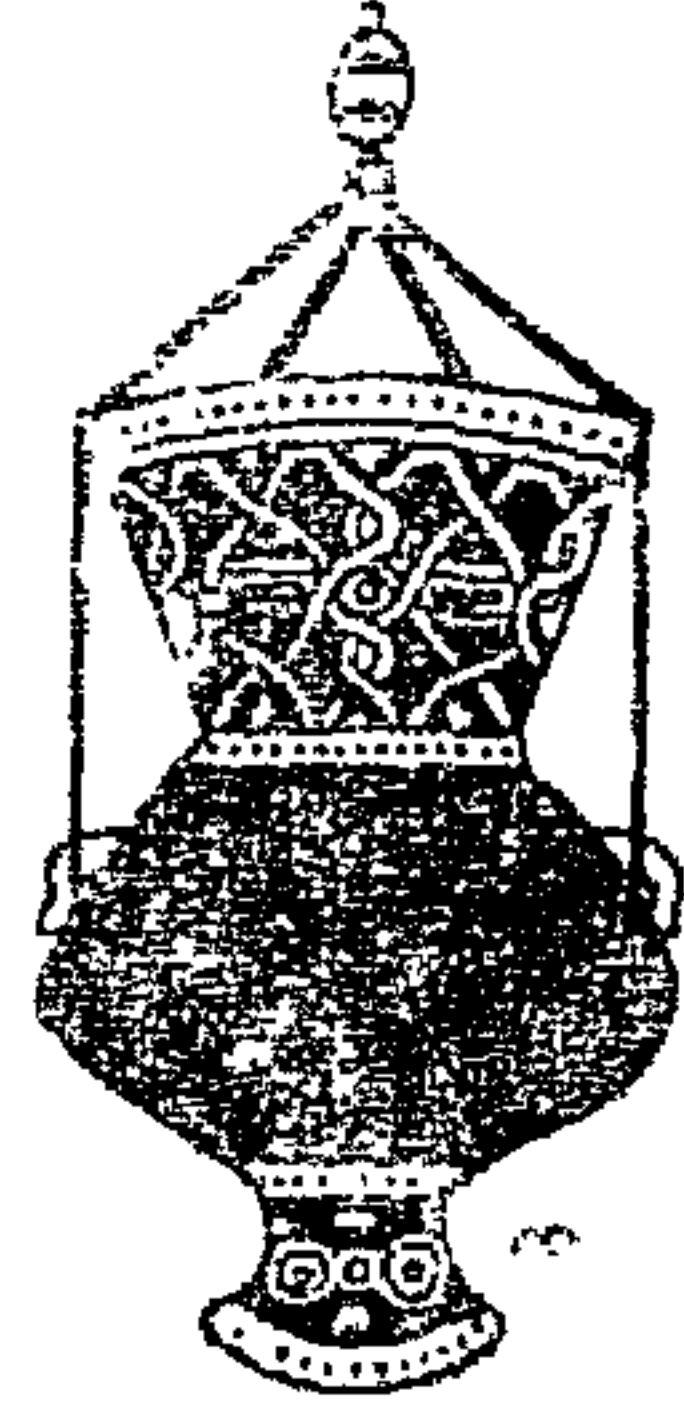
للدكتور احمد عمار

٦٥ ص

● تطويع التكنولوجيا

لاسترداد جمال الكتابة العربية
للاستاذ المهندس صلاح عامر

٦٨ ص



-
- كتاب السحر والشعر
للدكتور مصطفى الشكعة
ص ٧٦
 - علم الأرض وفقه اللغة
للدكتور علي السكري
ص ١٣٦
 - في القرآن والعربية :
الصراع بين القراء والنحاة (٦)
للدكتور أحمد علم الدين الجندى
ص ٩٠
 - الرجز بين قديم وحديث
للدكتور يوسف نوفل
ص ١٤٠
 - مادة فى القاموس
سقط شرحها من تاج العروس
للاستاذ مصطفى حجازى
ص ١٠٣
 - تعريف ونقد :
نشوار المحاضرة
واخبار المذاكرة
للقاضى أبى على الحسن التنوخى
تحقيق : الأستاذ عبود الشالحى
تعريف ونقد : الأستاذ محمد عبد الفنى
حسن
ص ١٥٠
 - موقف الشعر من الاعلام
للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف
ص ١٢١
 - ملاحظات
على تطور التأليف المعجمى عند العرب
للاستاذ ريجيس بلاشير
ترجمة الأستاذ أحمد درويش
ص ١٣٠

تحت إشراف: اللجنة التنفيذية :

نائب رئيس المجمع الراحل
المرحوم الأستاذ زكي المهندس

④ كلمة الدكتور ابراهيم مذكور في حفل تأبينه

ص ١٥٨

⑤ كلمة الدكتور مهدي شلام

ص ١٦٢

⑥ كلمة الشعر

للدكتور ابراهيم ادهم المرداش

ص ١٧٠

⑦ كلمة الأسرة

للاستاذ كامل المهندس

ص ١٧٢

⑧ زكي المهندس

امام الاشكالية العظمى

للدكتور محمد عزيز الحبابي

ص ١٧٤

من أنبياء المجمع :

⑨ وفاة نائب رئيس المجمع

ص ١٧٨

⑩ خبراء جدد

ص ١٧٨

⑪ صلاة المجمع الثقافية

ص ١٧٨

⑫ مسابقة المجمع الادبية

ص ١٨٠

بحوث و مقالات

أحياء التراث للدكتور إبراهيم مذكور

(١)

تتوالى

الحضارات الإنسانية

وتتعاقب ، يأخذ بعضها عن بعض ، ويرث لاحقها سابقها ، وللحضارات الكبرى آثار ومخلفات شتى : والحضارة الإسلامية من أعمق الحضارات القديمة أثراً ، وأوسعها ثقافة . انتشرت ثقافتها شرقاً وغرباً ، وامتدت إلى العالم القديم في قاراته الثلاثة ، وأسهم فيها عدة شعوب ، وتتابع إنتاجها نحو ثلاثة عشر قرناً ، وكتبت بلغات مختلفة ، بين عربية وعبرية وسريانية ، أو فارسية وتركية وكردية : تعددت ألوان هذه الثقافة وتنوعت أبوابها ، فيها منقول أو معقول ، أدب ولغة ، علم وفن ، سياسة وعمران . وتحت كل شعبة من هذه أقسام متعددة ، وفي كل قسم بحوث ودراسات مختصرة ومطولة : متون وأصول ، شروح وحواش . وقد وضعت في عصور متتابعة ، وعلى أيدي باحثين متلاحقين ، ونمت على مر الزمن نمواً كبيراً .

بيد أنها لم تسلم من عدوان هذا الزمن نفسه فقضت الحرائق والحروب ، زالعسف والظلم على قسط كبير من أصولها ، ومن أوضح مظاهر هذا العدوان غزو التتار في القرن السابع الهجري الذي أباد الحرث والنسل ، وقضى

علينا بأن نحرم من مؤلفات لا يعرف منها إلا الاسم ، أو بعض ما نقل عنها من مؤلفات أخرى معاصرة أو لاحقة . ومع هذا لا يزال ما وصل منها إلينا عظيماً ، تعمّر به المكتبات العامة في الشرق والغرب . ومن حسن الحظ أن الولاة والأمراء والباحثين والعلماء كانوا يتنافسون في جمع الكتب واقتناء نفائسها . وكان ينسخ من المؤلف الواحد عشرات المخطوطات لسد حاجة الطالبين ، وقد يعاد النسخ في عصور متلاحقة ، فتتوفر للنص الواحد عدة نسخ ، بل عدة روايات .

وللوضع السياسي والخلاف المذهبي شأن في تخير الكتب واقتنائها ، فكان الفاطميون والبهيمون مثلاً حراساً على جمع كتب الشيعة ، حرص السلاجقة على جمع كتب أهل السنة . وأضحى لكل نوع من الكتب مكان يبحث عنه فيها ، ففقه المالكية مدين في مدارسته وحفظ أصوله لشمال أفريقيا ، في حين يرجع إلى الشام ومصر في البحث عن كتب الشافعية ، وبعد اليمن اليوم أكبر مصدر لما بقي من مؤلفات المعتزلة ، وبخاصة المتأخرون منهم . . . ولما كان النفوذ السياسي في الإسلام قد آل في القرون الأخيرة إلى

الدولة العثمانية ، فإن مكتبات استامبول تعد الذخيرة الكبرى للتراث الإسلامى ، وفيها مؤلفات قد لا توجد فى مكان آخر ، وفى حصرها حصراً دقيقاً ما يمكن من استكمال حلقات مفقودة . وقد بذلت فى ذلك جهود ملحوظة فى الثالث الأول من هذا القرن ، وما أخرجنا إلى استكمالها . وحبذا لو أنشئ فى استامبول معهد للدراسات العربية يعد طائفة من الباحثين لجميع هذه المخطوطات وحصرها ، ويقتنى أن الحكومة التركية سترحب بذلك .

ولسنا فى حاجة أن نشير إلى ما للتراث العربى من شأن فى تاريخ الثقافة الإنسانية ، فهو عنوان حضارة سادت العالم عدة قرون ، وهمة وصل بين القديم والحديث . أخذ عن الحضارات القديمة ، وأثر فى الحضارات الحديثة . أحيا معالم التراث اليونانى ، واحتفظ بأجزاء منه ضاعت أصولها الأولى ووجه نظر الغرب إليه ، فبدأ يأخذ عنه ويتبع خطاه . ونشأ من ذلك تراث القرون الوسطى اللاتينى . وللتراث العربى شأن أيضاً فى الحضارة الغربية الحديثة ، أثر فى عملها وفلسفتها فى فنها ، صناعاتها . وهو اليوم للعرب والمسلمين جميعاً مجد الماضى ، ونبراس الحاضر ، وهدى المستقبل .

* * *

وقد عنى المسلمون من قديم بحفظ تراثهم المكتوب ، فاقتنوا فى نسخه ، وآجادوا فى

تغليفه ، وأودعوه أماكن أمينة . وأنشئت منذ عهد مبكر مكتبات لجمعه وحفظه ، وأعدت فى المساجد خزائن خاصة به . وتعددت مخطوطاته - ويكاد يصل ما بقى منها إلى بضعة ملايين ، موزعة بين الشرق والغرب فى العالم القديم والجديد . وقد تسابق الغربيون منذ القرون الوسطى إلى جمع المخطوطات العربية ، وتنافسوا فى شرائها ، ولم يرضوا عليها بمال . واشتد تنافسهم فى التاريخ الحديث وجدوا فى اقتنائها منذ القرن الثامن عشر ، ولها أقسام خاصة مسجلة ومفهرسة فى المكتبات الأوربية الكبرى ، وبخاصة المتحف البريطانى ، ومكتبة باريس الأهلية ، والأسكوريال ، والأمبروزيانا ، ومكتبات بعض الجامعات الأمريكية نصيب منها . وعلى دعائهم قامت حركة الاستشراق منذ أوائل القرن الماضى .

ولا يزال فى العالم الإسلامى والعربى ثروة كبيرة منها ، وما أجدرنا أن نرعاها ونعاهدها وقد أشرنا من قبل إلى الثروة الهائلة التى تحتفظ بها مكتبات استامبول . ودعونا إلى متابعة كشفها وفهرستها والتعريف بها . وفى إيران قدر ما أخرجنا أن نقف عليه ، وأن نفيد منه . وسبق لحيدر آباد الدكن أن أعرفت ببعض مخطوطاتها .

والتبادل الثقافى ضرورى ونافع ، فى المطبوع والمخطوط على السواء ، وعن

إلى مئات الألوف وقد لا تكون ثمة
مجموعة تعادلها في بلد عربي آخر . إلا أن
منها ما فهرس وعرف به ، ومنها ما لم يفهرس
بعد ، وأغلبه تنقصه الأحرار الملائمة والأماكن
الصالحة .

* * *

وأول خطوة في سبيل إحياء التراث العربي
المكتوب أن يحصر ، وأن تجمع مخطوطاته
وتفهرس ويعرف بها ، تمهيداً لنشرها ، وهذا
ما سنعرض له فيما يلي .

أبراهيم مذكور
رئيس الجمع

طريق الفيلم والتصوير ممكن تبادل المخطوطات
على اختلافها . وفي العالم العربي ثروات يعتز
بها ، وهي موزعة بين المكتبات العامة
والخاصة ، وندعو مخلصين أصحاب المكتبات
الخاصة أن يكشفوا عن كنوزهم ، وأن
يمكنوا الباحثين والدارسين منها . ويمكنني على
سبيل المثال أن أشير إلى « كتاب المغني »
للقاضى عبد الجبار الذى أخرجنا بعض
أجزائه ، واحتفظت مكتبات اليمن الخاصة
بالأجزاء الباقية .

ومخطوطات العالم العربي موزعة بين
عواصمه ومدنه ، وربما كانت القاهرة
والرباط من أعظمها حظاً . وفي مكتبات
مصر العامة والخاصة مخطوطات تكاد تصل



مِنَ الدَّرَاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

لِلأستاذ علي النجدي ناصف

ثم أحاول أن أكشف السر الذي هديت إليه في كل من المثاليين :

فأما المفرد الذي - بل محل الجمع فهو لفظ « العبد » ، ونحن إذ نتبعه بالإحصاء جمعاً وفرداً في القرآن الكريم - نجد أنه مذكوراً بلفظ الجمع مرتين ومائة مرة : كان لفظه مطابقاً لمعناه فيها كلها . ونجد أنه مذكوراً بلفظ الأفراد - والمراد به الجمع - مرة واحدة ، وذلك إذ يقول الله تعالى : (إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ، لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ، وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ^(١)) .

وذكر « العبد » بلفظ الجمع إذن - لا يسترعى انتباهاً ، ولا يشير «والا» ، لأنه من قبيل وضع اللفظ بموضعه ، والمطابقة بينه وبين معناه ، لكن الذي يسترعى الانتباه حقاً ، ويشير السؤال إلحاحاً -

القرآن الكريم

الأخذ بمقتضى الظاهر

في كثير من آياته ، فهو حيناً يضع المفرد مكان الجمع ، وحيناً آخر يخالف بين الضمير ومرجعه ، وهكذا .

ومعاذ الله أن يكون شيء من ذلك - إلا لأمر يراد : من حكمة بالغة وسرمكنون . والمرء إذ يتدبر هذه الآيات ، ويحجّل في أعطافها الفكر ، فيفتح الله عليه ، ويكشف له عن وجه الرأي فيها ، ويذهب عنه الحيرة - يشعر ببرد اليقين ، ويدوق حلاوة الإيمان ، ويزيد اقتناعاً بأن هذه القرآن تنزيل من حكيم حميد ، وأنه الكلام يعجز الإنس والجن أن يأتوا بمثله ، وكان بعضهم أبعص ظهيراً .

وسأقتصر في هذه الكلمة على مثال واحد مما حل فيه المفرد محل الجمع ، وآخر لما لا يطابق فيه الضمير مرجعه ،

(١) سورة مريم : ٩٣-٩٥

هو من التعبير بلفظ « العبد » مكان « العباد » ، أو « العبيد » في الآيات المذكورة ، مع أن المقام - بحسب مقتضى الظاهر - لأحد الجمعين ، لا المفردة .

فذن - إذ ننظر في الآيات - نراها - كما لا يخفى - تتظاهر على تصوير حال الناس يوم يعرضون على ربهم ، أى على تصوير حال البشر كافة ، منذ خلقهم الله إلى يوم يبعثون . هم إذن الكثرة التى لا أكثر منها ، والعدد الذى لا يحصىه إلا الله تعالى . فإذا هم لم يذكروا هنا بلفظ الجمع فمن يذكر ؟ ومتى يذكرون به إذا هم ذكروا ؟

خواطر تحوّل - لأول وهلة في نفس القارىء إذ يقرأ الآيات ، أو السامع حين يسمعها تنقل عليه ، ثم يبدو له أن ينظر في معناها ويكتنه سرها . وهو - حينئذ لا يملك أن يقر عليها ، ولا أن يضرب صفحاً عنها ، فتظل تراوده ، ويظل في حيرة من أمرها حتى يبلغ منها أرباً ، أو يسلو عنها يأساً .

على أنه إذ يروى فيها ، ويلقى باله إلى الحال التى تومئ إليها ، والمقام الذى تتحدث عنه - لم يمتنع عليه أن يتبين

بتوفيق الله أن المقام فيها للحساب والجزاء لا للعد والإحصاء وأن الأمر قد شبه عليه ، فوهم أن حياة الآخرة كحياة الدنيا وأن حال الناس هناك كحالهم هنا حين يعرضون على ربهم ، فإذا هم أجناس وأمم ، وطوائف وفرق ، تتخالف على العهد بها ، أصولاً وأنساباً ، وتتفاضل درجات ومنازل وتتميز مواهب وسمات ، تى ما تكاد تجددهم جامعة ، أو تؤلف بينهم آصرة إلا أنهم لا دم وحواء .

والحقيقة أن الأمر مختلف جداً . فالآخرة غير الأولى ، وحال الناس في هذه غير حالهم في تلك . ويومئ لفظ « العبد » في الآيات إيماءً خفياً إلى مشهد مهيب من مشاهد الآخرة ، مشهد لا كالمشاهد ، ولا الناس فيه كالناس . الملك يومئذ لله الواحد القهار ، وكل من في السموات والأرض خاضع مقهور ، والناس بين يدي ربهم أشباه متساوون ، كأنهم فرد واحد ، تتكرر ذاته ، وتتوحد صفاته . ذهبت من بينهم الفوارق فلا عليه ولا سوقة ، ورفعت من دونهم الحجب فالتقى الأحمر والأسود ، ومحيت الحجب فالتقى الماضي والحاضر ، ورد الأول على الآخر .

تقطع الأسباب فانفض الأنصار والأعوان ، تناكر الخلفاء فلا يسأل حميم حمياً ، قطعت الأرحام فلا يجرى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً . انحلت عرا الأنساب فكل يعزى لآدم وحده ، ولا يعزى بيه منه ولا لأحد من جدوده الأقربين أو الأبعدين . خرست الألسنة ، وخشعت الأبصار ، ووجلت القلوب ، وذهبت النفوس ضياعاً بين القلق والاطمئنان ، وبين اليأس والرجاء ، لا تدري ما الله صانع بها ، ولا المصير الذى هى صائرة إليه ، فتشابهت الملامح والسمات ، وتوافقت المشاعر والخلجات : المنظر واحد ، والمخير واحد ، حتى ليتمثل الجمع فى سميت الواحد ، ويتراءى الغائب فى شخص الحاضر ، ويغنى القريب عن البعيد . وما كان لذلك كله أو لشيء منه أن يكون لولا وضع « العبد » هنا بلفظه المفرد مكان « العباد » أو « العبيد » ، لكى يؤدى المعنى الذى ذكرنا أداء إشارة وتلميح ، لا حديث بسيط . وتفصيل .

وأما المثال الذى لم يطابق فيه التضمير يرجعه - فقولته تعالى : (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَاءُ

الضالون المكذبون لا تكلون من شجر من زقوم فمالتون منها البطون ، قشاربون عليه من الحميم) .

طعام الزقوم - كما تدل الآيات عليه - نوع آمن العقاب الذى أعده الله للعصاة من عبادته . ويختلف العلماء فى تفسير الزقوم ، فمن قائل : إنه اسم يطلقه أهل اليمن على كل ما يتقيأ به ، وهو ع هذا - لا يخص نوعاً من الشجر ، بل يضم كل ما تقلس له النفس ، ويهيج به الجوف فيقذف ما عسى أن يكون فيه . ويكون عقاب العصاة بالأكل منه حينئذ أنهم يحملون عليه ، وإنهم ليعلمون ما هو صانع بهم من التهوع وإثارة الجوف .

ومن قائل : إنها شجر باليمن لا ورق لها ، وفروعها أشبه شئ برؤوس الحيات ، فيكون عقاب العصاة بها أنهم يحملون على الأكل منها مع بشاعة منظرها ، وتقزز النفس منها ، وسوء ما تخيله لهم حين يطعمونها ، حتى ليحسبون أنهم لا يأكلون من شجر بل من رؤوس حيات .

ويفسر أبو جهل الزوم ساخرًا مستهزئاً حين ذكر له ، فيقول : « إن هذ كلمة

لم تكن من لينة قريش ، وإن رجلاً أخبره
أن أهل يشرب يقولون : تزقمت ، إذ
أكلت التمر بالزبد^(١) ، فالزقوم في
تفسيره مأخوذ من هذا الأصل ، وطعمه
إذن نعمة رضا لانقمة غضب وسخط .

ويذكر القرآن الكريم شجرة الزقوم
في قوله تعالى : (أَذْكَاءٌ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ
الزُّقْمِ ، إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ، إِنَّا
شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ، طَلْعُهَا
كَأَنَّهُ رُفُوسٌ الشَّيَاطِينِ^(٢)) ووصفها -
باللعن ولم يسمها في قوله ، سبحانه
(وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ
وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً
لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ
فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا^(٣)) .

ونخلص من وصف القرآن لها بأنها
شجرة لا كشجر الدنيا ، فهي تنبت في
قرار الجحيم ، وتنمو على السعير ، خبيثة
المطعم ، بشعة المنظر ، تعافها النفس ،
وتنفّر منها العين . تضرم العطش في جوف
آكلها ، فلا يجد غير الحميم ، فيشرب
منه ضارياً به ، مشتقاً له .

هذه كلمة عن الزقوم ، بدالاً أن أقدمها
بين يدي الحديث عن تصريف الضمير
في الآيات التي ذكرتها في مستهل الكلام .
ونحن إذ نرجع إلى هذه الآيات نرى
أن شجر الزقوم فيها قد عائد عليه ضميران
أولهما هو المتصل « بمن » قوله : (فمالئون
منها البطون) ، واخر هو المتصل « بعلى »
في قوله : (فشاربون عليه) . والأول
كما لا يخفى - لمؤنث ، فهو مطابق للشجر
بحسب منناه ، والآخر لمذكر ، فهو مطابق
للشجر بحسب لفظه . ولا يمكن أن يكون
تصريف الضمير على هذه الصورة إلا الناشئة
من البلاغة واطائف الإشارات .

ويقول أبو حيان في ذلك : (فمالئون
منها) ، الضمير في « منها » عائد على
« شجر » ، إذ هو اسم جنس يؤنث
ويذكر . (فشاربون عليه) ، قال
الزمخشري : ذُكر على لفظ الشجر ،
كما أنث على المعنى في « منها » . .
وقال ابن عطية : الضمير في « عليه »
عائد على المأكول أو الأكل^(٤) .

(٣) سورة الإسراء : ٦٠

(٢) سورة الصافات : ٥١-٥٤

(١) الروض الانف : ١ : ٢٨

(٤) البحر المحيط : ٨ : ١٠ .

ولا خلاف أن اسم الجنس يجوز تذكير ضميره مراعاة لتذكير لفظه ، ويجوز تأنيثه مراعاة لدلالته على متعدد .
أما قول ابن عطية : « إن الضمير في » عليه « عائد على المأكول ، أو على الأكل - فليس بذلك ، لأنه يجعل لكل من الضميرين مرجعا ، قضمير « منها » للشجر ، وهو الوجه ، لأنهما متجاوران ، والمعنى عليه . وضمير « عليه » للمأكول أو الأكل الذي تشير إليه كلمة « لاكلون » . وهي مذكورة قبل « الشجر » ، وإذا يكون على ضمير « عليه » أن يتخطى كلمة « شجر » . وضميرها لكي يعود إلى المرجع الأول . ولا يخفى ما في هذا من مبالغة وتفريوة لغير حكمة ولا فائدة .

بقي أن القول بتأنيث الضمير الأول مراعاة لمعنى الشجر ، وتذكير الآخر - مراعاة للفظه لا يخفى من التساؤل عن سر هذا التخالف أولا ، وعن وجه تقديم المتقدم وتأخير المؤخر من الضميرين دون العكس بعد ذلك .

ويبدو - والله أعلم - أن هذا التخالف في صورته السابقة - إنما يراد به حكاية حال الآثمين حين يأكلون من شجر الزقوم وحين يقرفى بطونهم ما يأكلون منه ، فهم حين الأكل لا يأكلون من شجرة واحدة ، بل من عدة من شجره ، كأن لكل شجرة مذاقا متميزا ، فبعض الشجر أخبث من بعض ، وفي تعدد ما يأكلون منه ، إذن مزيد من العذاب وتنوع فيه . والضمير الذي يطابق ذلك ويمثل معناه هو ضمير الجمع لا ضمير المفرد .

وهم إذ تمتلئ بطونهم مما يأكلون ، وإذا تستقر فيها أصنافه المتعددة - لا تظال على أحالها من التميز والتنوع ، بل يمتزج بعضها ببعض حتى تصير في رأى العين شيئا واحدا ، على نحو ما يصير إليه الطعام في الحياة الدنيا ، حين يكون مؤلفا من أصناف متنوعة ، بعد أن تعمل المعدة عملها فيه . والضمير الذي يصلح لذلك ويمثل معناه هو ضمير المفرد لا ضمير الجمع . والله تعالى أعلم :

على النجدي ناصف

عضو المجمع

الجناس وأنواعه

في منظومة ابن طاهر الهوارى قاضى قانس

للأستاذ عبد الكون

الآلفاظ تحدث ميلاً وإصغاءً، إنيها، ولأن
اللفظة المشتركة إذا حملت على معنى ثم جاء
والمراد به معنى آخر كان للنفس تشوف
إليه « نفاه السبكي في شرح التلخيص .

والاستهانة به والقول بعدم جدواه مما
لا يصح قبوله ، كيف وهو واقع في الكتاب
العزیز والحديث الشريف ؟ قال تعالى :
« وهم ينهون عنه وينأون عنه » وقال
« فأقم وجهك للدين القيم » وقال : « قال
إني لعمركم من القالين » وقال : « والتفت
الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق » ،
وقال النبی (صلى الله عليه وسلم) : « غفر
غفر الله لها وأسلم سالمها الله ، وعصية عصمت
الله ورسوله » و ال : « نعوذ بالله من الأئمة
والعيمة والغيمة والكزم والقزم » . وهو في
كلام العرب كثير ، كما قال في العمدة

ضرب من البديع ،
والبديع لم يعرف
به وجوه تحسين الكلام ، بعد
رعاية مطابقته لمقتضى الحال ، ووضوح
دلالة على المراد ، اللذين يبحث عنهما
في علمي المعاني والبيان ، والثلاثة يعبر عنها
بعلوم البلاغة . وكان ابن المعتز هو أول
من جمع البديع ، وألف فيه كتاباً ، إلا أنه
لم يتوسع فيه توسع من أتى بعده ، وإنما
ذكر بعض ضروبه ، ومنها الجناس ويسمى
أيضاً النجيس ؛ لتجانس كلماته إن
تشابه في الحروف كلاً أو بعضاً ، ومن
ثم يعلم أنه من المحسنات اللفظية لا المعنوية
وهذا ما حمل بعضهم على الاستهانة به
حتى قال في كنز البلاغة : « أم أر من
ذكر فائدته » لكنه عاد فقال : « ونخطر
لى أنها الميل إلى الاصغاء إليه فإن مناسبة

ونحن نعلم أن البلاغة تتعلق باللفظ كما تتعلق بالمعنى، والديباجة الجميلة يستحسنها كل أحد، ولصناعة البديع فيها دخل كبير. نعم ينبغي عدم التكلف في ذلك وعدم الإكثار منه؛ فهو كالمالح في الطعام قليله صالح، وكثيره لاخير فيه. ولعل هذا أمثل ما يقال في الجناس وسائر المحسنات البديعية. وقد أحسن الهوارى صاحب المنظومة التي نحن بصدددها حين شبهه بالخال يكون في الخد الجميل فيزيده جمالاً، لكن الخيلان إذا كثرت في الوجه كانت شيناً وعيباً.

المنظومة

هذه المنظومة هي رجزية من ٤٤ بيتاً، منها ٩ أبيات للخطبة وبيتان للختم، وفيما يبقى للكلام على الجناس وأنواعه هو ٣٣ بيتاً، وقد سماها صاحبها بـتحفة الجلاس، وصدرها بسابقة ترض فيها لدم ابن حجة الحموي للجناس وغض ابن رشيق القيرواني منه، ورجح عليهما مذهب الصفدي في استحسانه واستبداعه، ثم عقب برأيه هو الذي أشرنا إليه آنفاً، والمتلخص في أنه على حسنه لا ينبغي الإكثار منه.

ذم ابن حجة للجناس

للأديب أبي بكر على بن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧ هـ قصيدة بديعية عارض بها بديعية عز الدين المرصلي. رالبديعيات قصائد عنى بنظمها المتأخرون، يضمّنونها أنواع البديع على سبيل التورية والرهز، ويجعلون موضوعها الغزل والمديح وما إليها. ولعل أول من ابتكر هذا اللون من النظم هو الصفي الحلي. والمهم أن ابن حجة شرح بديعته بشرح سماه «خزانة الأدب وغاية الأرف» وشخصه بالكثير الطيب بن اللطائف الأدبية والمختارات الشعرية، وهو مطبوع في مجلد ضخيم يحتوي على ٥٧٠ ص. ولما تكلم على الجناس في شرحه هذا قال ما يلي: «أما الجناس فإنه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الأدب، وكذلك كثرة اشتقاق الألفاظ فإن كلاً منها يؤدي إلى العقادة والتقييد عن إطلاق عنان البلاغة في مضمار المعاني المبتكرة». وبعد أن أتى بأمثلة مستكرمة ومُستثقلة منه، عاد فقال: «والجناس من صور الألفاظ».

ومن وافق على ذلك علامة عصره الفهاب محمود (الخفاجي) قال

: «إنما يحسن الجنس إذا قلّ وأتى في الكلام عفواً من غير كد ولا استكراه، ولا بملل ولا ميل إلى جانب الركة» .

وهذا هو ما يراه صاحب المنظومة، فهو وابن حجة إذن متوافقان في الرأي .

كلام ابن رشيق

عقد ابن رشيق في عمده باباً للجناس وهو يسميه التجنيس، أطال الكلام فيه على أنواعه، وذكر ما ورد منه في القرآن والجديد والشعر المطبوع منوهاً به، منبهاً على وجبه حسنه، ثم مثل ببعض ما أتى على سبيل الصنعة المجردة، فقال: «وهذا أسهل معنى ابن داوود، وأقرب شيء ممن تناوله، من أبواب الفراغ وقلة الفائدة، يشوئنا لا يشاك في تكلفه، وقد أذن منه نقول الساقطة من في نهم ونظمتهم حتى يردوا، بل نذكرها» .

وهو كلام لا غبار عليه، ولا يستحق ما قاله صاحب المنظومة في الغرض منه .

مذهب الصفدي

أما الصلاح الصفدي فإنه كان مصححاً بالجناس أكثراً منه، وألف فيه كتاباً سماه «جنان الجنس» ضمنه الكثير من نظمه فيه، وهو في الغالب من المتكالف المتهافت،

وقد انتقده عصره جمال الدين بن نباتة لما وقف عليه بكلمة استعمل فيها جناس التصحيف فقال: «بل هرجناس الخناس» ، والغريب أن صاحب المنظومة مع استحضانه لمذهب الصفدي، وترجيحه له، لم يأخذ به، وإنما مال في الأخير لرأي ابن رشيق وابن حجة الذين انتقدهما .

أنواع الجنس في المنظومة

جملة ما ذكره الهوارى في منظومته من أنواع الجنس خمسة، تصل باعتباراً منها إلى ستة عشر نوعاً :

الأول : التام ؛ ونحته ستة أقسام ، فإن كان من نوع كاسمين سعى متماثلاً نحو : « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ، وإن كان من نوعين كاسم وفعل سعى مستوفى ، كقول الشاعر .

ماديات من كرم الزمان فإنه

يحيى لدى يحيى بن عبد الله

ومنه المركب فإن اتفق في اللفظ سعى

المتشابه ، كقوله :

إذا ملك لم يكن ذاهباً

فأدغمه فادولته ذاهباً

والاسمى بالمفروق كقوله :

كلُّكم قد أخذ الجا

مَ ولا جام لنا

ما الذى ضرَّ مُديرَ الجا

م لـو جاملنا

وهذا إذا اختلف اللفظان في الرسم فقط
وكانا مستقلين ، أما إذا تركب أحدهما
من كلمة وبعض أخرى ، فسمى بالمرفق
وقد مثل له الناظم .

والثاني المُحرَّف ؛ وهو ما تختلف

هيئة حروفه نحو جبة البرد جنة البرد
وتشديد الحرف هنا ملغى كما في قولهم :
الجاهل إما مُفْرِط أو مُفَرِّط .

الثالث الناقص ؛ وهو ما نقص

منه حرف سواء كان في الأول مثل : « والتفتت
الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق » ، أو في
الوسط . نحو : جدى جهدى ، أو في الآخر
كقوله :

* يمدون من أيدي عواصم *

وهذا له اسم خاص وهو المُطَرَّف ، فإن
كان النقص بأكثر من حرف سمي
مُذَيَّلاً كقوله :

إن البكاء هو الشفاء

من الجسوى بين الجسوانح

الرابع المضارع ؛ وهو ما اختلف

حرف من حروفه مع تقارب المخرج سواء
كان ذلك أولاً أو وسطاً أو آخراً ، نحو ليل
دامس وطريق طامس ، وقوله تعالى : « وهم
ينهبون عنه وينأون عنه » ، وقوله عليه
السلام : « الخيل معقود في نواصيها الخير »
وقد مثل الناظم لمُختلف الحرف الأول
ومنه اللاحق ، وهو ما كان الاختلاف
في حروفه غير متقارب المخرج ، نحو « ويل
لكل همزة لُهمزة » ونحو : « إنه على ذلك لشهيد ،
وإنه لحب الخير لشديد » ، ونحو « وإذا
جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به » .
وقد مثل الناظم لمُختلف الوسط ، ومنه جناس
القلب وهو ما اختلف ترتيب حروفه ، فإذا
كان الاختلاف كلياً مثل فتح وحتف سمي
قَلْب كَلٌّ ، وإذا كان في بعض الحروف
فقط نحو : اللهم استر عوراتنا وأمن روعاتنا
سُمي قَلْبَ بعض . وإذا وقع أحدهما
في أول البيت والآخر في تمامه سمي مقلوباً
مُجَنِّحاً كقوله :

ساق يُسرني قلبه قسوة

وكل ساق قلبه قاس

وإذا اقترن المتجانسان سمي مُزدوجاً

ومُكرراً ومُردّداً ، وقد مثله الناظم بقول

الله تعالى : « جئتكَ من سبأ بنبإ يقين » .
الخامس جناس الخط ، كما سماه
الناظم ، ويسمى الجناس المطلق ؛ وهو
ما توافق فيه اللفظان خطاً من غير توافق
في الحروف نحو قوله عز وجل : « قال
إني لعمليكم من القالين » وما توافقا
اشتقاقاً وإن لم يتوافقا لفظاً كقوله سبحانه :
« فماقيم وجهك للدين القيم » ، ويسمى
جناس الاشتقاق كما أن الأول يسمى
جناس شبه الاشتقاق ، والناظم ضمن هذا
النوع في لاسقة جعلها ختام المنظومة ،
وذلك لعدم دخوله تحت تعريف الجناس ،
وكذلك فعل صاحب التلخيص ؛ إذ جعله
من الملحق بالجناس .

صاحب المنظومة

هو أبو عبد الله محمد بن طاهر
الهواري الفاسي ، أحد الأعلام في الفقه
والعربية والأدب ، أخذ عن جلة علماء
عصره ، وأخذ عنه السلطان سليمان العلوي
فمن دونه ، وولى قضاء فاس فحمدت سيرته
وألف عدة تآليف أكثرها نظم ، منها أرجوزة
فيما انفرد بن ابن عاصم عن المختصر
الخليلي من المسائل الفقهية ، وأرجوزة في
علم الكلام ، وأرجوزة في علم المنطق

وأرجوزة الجناس التي بين أيدينا ، وكتب
حاشية على شرح الشيخ سعيد قدورة على
السلم سماها « اليواقيت المنشورة » ، وله شعر
جيد ، وتوفي سنة ١٢٢٠ هـ

ومن شعره هذا الموشح الذي ارتكب
فيه من الجناس ما جاء على خلاف مذهبه
في عدم الإكثار منه ، ولكنه مع ذلك أحسن
فيه وأجاد وأبان عن براعته التامة في هذه
الصناعة :

شادن بالغرام

يستفز الغريم

وصلت لا بـرام

والهوى لا يريم

أغيد لا يُقيل

مهجتي بالمُقيل

وبطرف كحيل

حل فيه الكحل

وبخد أسيل

فوق غصن الأسيل

بُخله بالسلام

أضنى قلبي السليم

ليته بالكلام

أحيا صبا كليم

وَحُشَّةُ الْهَاشِمِيِّ

صَيَّرْتَنِي هَشِيمٌ

مَنْ عَدَا لَائِمِي

فِي هَوَاهُ لَتِيمٌ

أَيُّهَا الْفَاطِمِي

صَلِّ مُحِبًّا فَطِيمٌ

لِحَفْظِهِ كَمَا لِحَسَامِ

لِفُؤَادِ حَسِيمِ

مُظْهِرٌ بِابْتِسَامِ

دُرٌّ ثَغَرٌ بِسِيمِ

نص المنظومة

رَأَجَلُ مَا اعْتَنَى بِهِ الْإِنْسَانُ

وَحَيْرٌ مَا فَاهُ بِهِ اللِّسَانُ

بَدَأُ الْكَلَامَ بِالثَّنَا وَالْحَمْدِ

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْفَرْدِ

ثُمَّ عَلَى مَنْ شَرَّفَ الْبَيَانَ بِهِ

وَتَمَّ النَّعْمَى لَنَا بِسَبِيهِ

مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا الْمُخْتَارِ

وَأَلِيهِ وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ

أَزْكَى صَلَاةِ اللَّهِ وَالسَّلَامِ

مَا حَسُنَ الْجِنَاسُ فِي الْكَلَامِ

وَبَعْدُ فَالْقَصْدُ بِهَذَا الرَّجَزِ

نَظْمُ الْجِنَاسِ بِكَلَامٍ مُوجَزِ

مُنْمَقٌ مُرُونَقٌ عَجِيبٌ

يَرُوقُ لَلْحَازِقِ أَرِيبِ

سَمِيتُهُ بِتَحْفَةِ الْجُلَاسِ

فِي جَمْعٍ مَا جَاءَ مِنَ الْجِنَاسِ

وَاللَّهُ جَلٌّ وَعَلَا سُبْحَانَهُ

أَرْجُوهُ فِي التَّوْفِيقِ وَالْإِعَانَةِ

سابقة

مَا إِنْ بَدَتْ فِي قَوْلِهِ ابْنِ حِجَّةٍ

فِي ذِمِّ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ حُجَّةٌ

وَلَا أَتَى أَبُو عَلِيٍّ بِنِ رَشِيقِ

فِي الْغَضِّ مِنْ ذَا النُّوعِ بِالْفَهْمِ الرِّشِيقِ

وَمَذْهَبُ الشَّيْخِ الشَّهِيرِ الصَّفْدِيِّ

وَقَدْ مَضَى عَلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدِ

أَنَّ الْجِنَاسَ خَيْرٌ مِمَّا يُرْتَكَبُ

وَهُوَ بَدِيعُ الْحَسَنِ لَا يُجْتَنَبُ

وَالرَّأْيُ فِيهِ أَنَّهُ مُسْتَحْسَنُ

لَكِنَّمَا إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُ أَحْسَنُ

بَلْ قَلِيلٌ كَالْخَالِ فَمَا قَلَّ يَزِينُ

وَكثْرَةُ الْخِيَالِ فِي الْخُصْدِ تَشِينُ

ذكر الجناس التام واقسامه

إِنْ حَصَلَ الطَّبَاقُ فِي اللَّفْظَيْنِ

فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ دُونَ مِائَتَيْنِ

وَاتَّفَقَتْ فِي النُّوعِ وَالْمُرْتَبِيبِ

وَالْحَصْدُ فِي هَيْئَةِ التَّرَكِيبِ

فذلك يُنسب إلى التام
ويَتَنَوَّعُ إلى أقسام

فإن يك اللفظان من نوع فذا
بالتماثل يُسمى حيناً

وإن يكونا مختلفاً في النوع
فذلك مُستوفى بسدغ الوضع
وإن يكن بعضهما تركيباً

من كلمتين فادعوه المركباً
فحيثما يتفقان رسماً

فالمُتشابه لديهم يُسمى
ولتدعوه المفروق مهما اختلفا

في الرسم، والمرفوق إما اختلفا
من كلمة وبعض أخرى كالمُصاب
وطعم أصاب في كلام من أصاب

ذكر المحرف

وحيثما في هيئة الحروف
تخالفاً فانسببه للتحريف

وحكم ما شدد من ذى الأحرف
كمحكم ما خفف منها فاعرف

ذكر الناقص وفروعه

وإن يك المدد في إحداها
أنقص حيزاً، ناقص له سمي

في أول أو وسط أو في التام
وبالمُطرف ادعُ ذابلاً كلام

وبالمُذيل ادعُ ما زاد كما
بين الجوارى والجوى فلتعلمنا

ذكر المضارع واللاحق

وحيث الاختلاف في نوع فما
في غير واحد يكون منهما

فإن يكونا مُتقاربين
فهو المضارع بغير ميم

لا فرق بين طرف ووسط
كجىء بهذا المختبط المختبط

وإن تباعدَا فذلك اللاحق
كمثل مافى لاسق ولاسحق

وحيث الاختلاف في الترتيب
فهو جناس القلب في التركيب

كالفتح والحتف وذا يُلقبُ
بقلب كل حيناً يستوعب

وقلب بعض إن ببعض الأحرف
كمثل روعات وعورات يفي

وإن أتم في البيت أولى الكلمتين
صدراً وأخرى عجزاً بغير ميم

وفيها تجنيس قلب فادعُ
مُجنحاً ولا يعزُ وضعه

وعند الاقتران يُدعى حيث جاء

وحيثما اشتقناقاً أو شبه يَحْتَق

مردداً مكسراً مزدوجاً

بينهما في الجنس يلتصق

كسبباً بنبياً بقيس

ثم الذي رُمْتُ من الجنس

ثم جناس القلب بالتبيين

والحمد للإله رب الناس

ثم على أفضل رُسل الله

لاحقة

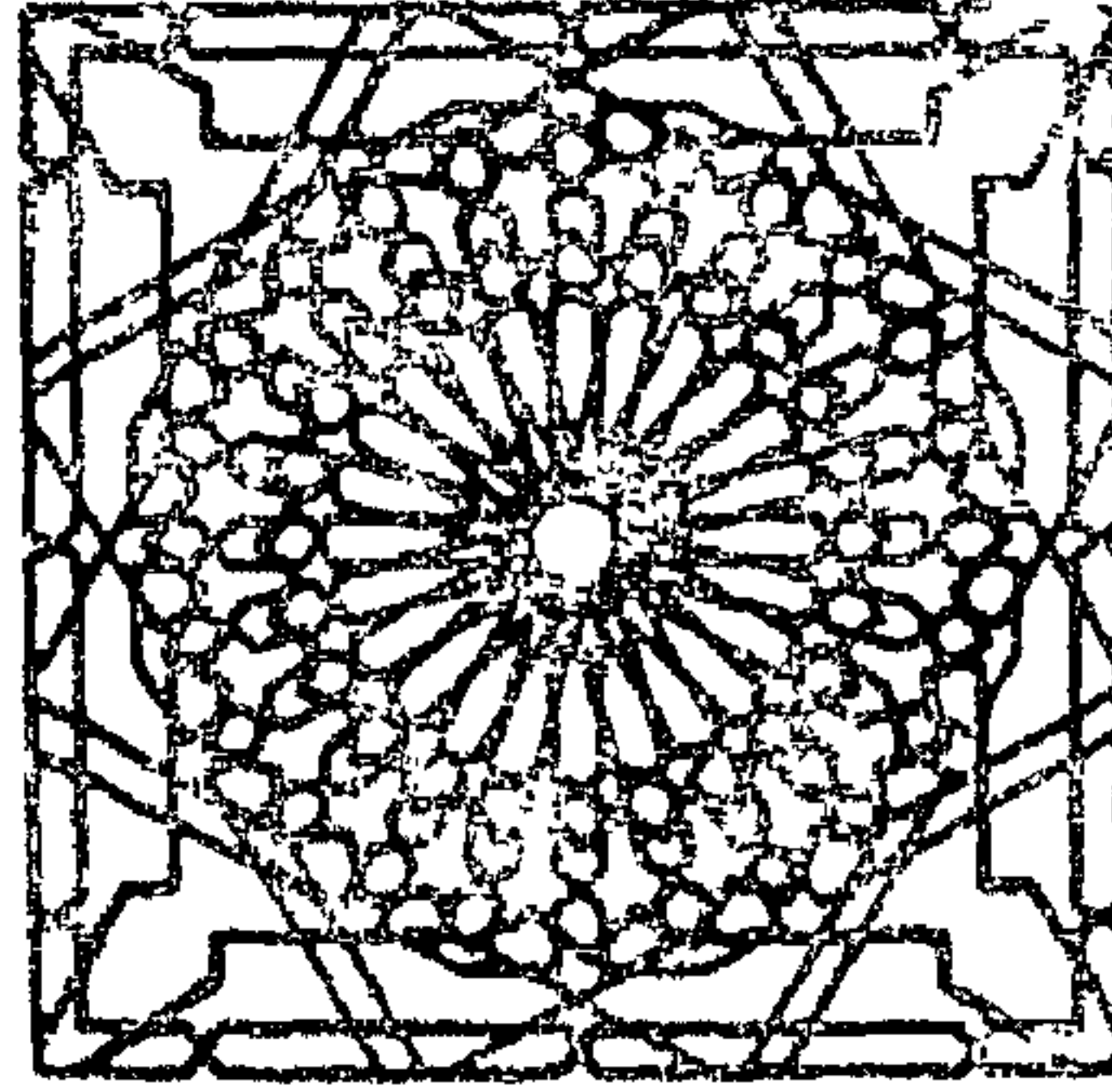
أزكى صلاته بسلاماته

وعندهم تجنيس خط وهو ما

توافق اللفظان فيه فاعلموا

عبد الله كنون

عضو المجمع من المغرب



مجلة شعرى تاريخى فريد

للكنوز شوقي ضيف

كل

من يدرس تراثنا

الشعرى يعرف أنه

يصور حياة أسلافنا من جميع أطرافها
لسياسية والاجتماعية والعقلية فقد مثلوا
فيه جوانب حياتهم ، ولم يقصروه على
وصف مشاعرهم الوجدانية الخالصة ، بل
وسَّعوا من قديم جنبااته ليصور بيئتهم
ومجتمعهم وحروبهم وأيامهم . وعرف
ذلك علماؤنا في العصر العباسي ، فحينما
حاول الجاحظ مثلا أن يتحدث عن
الحيوان ملأ كتابه عنه بأشعار الجاهليين
وفي الحيوان وطبائع أنواعه سواء منها
ما كان سباعاً أو بهيمة ، وبالمثل علماء
اللغة حين تحدثوا عن النجوم والرياح
والأمطار والفلوات ومراعيها وأشجارها
ونباتاتها وأزهارها ساقوا في ذلك أشعاراً
كثيرة ، كما ساقوا أشعاراً كثيرة تصور
عاداتهم وتقاليدهم وديانتهم .

وقد مضى الشعر العربى على هذا النحو
طوال عصوره يصور تاريخ العرب السياسى

والحربى وحياتهم الاجتماعية والفكرية ،
وتنبه لذلك مؤرخونا قديماً ، إذ نرى
الطبرى وغيره يتوقفون في تاريخهم مراراً
لينشروا بعض الأشعار التى نُظمت في
الأحداث السياسية والحربية ، وكأنا
هداهم حسهم التاريخى من قديم إلى
أن الشعر وثيقة تاريخية ينبغى أن تضاف
إلى وثائق الأخبار المروية . ولا أرتاب في
أنهم تنبهوا إلى أنه وثيقة أكثر نبضاً
بالحيوية والحياة من الروايات الشفوية ،
لأن هذه الروايات تعتمد على السمع ،
بينما يعتمد الشعر غالباً على البصر والمشاهدة ،
إذ يشاهد الشاعر الأحداث التاريخية
ويصورها ، وليس من رأى كمن سمع .
وليس ذلك فحسب ، فإن الرواية للحدث
التاريخى قد يدخل عليها الكذب والتعصب
والهوى ، وقد يدخل عليها أيضاً شيء
من النسيان لبعض دقائق الحدث .

ومن المؤكد أن الشعر أحياناً يكمل
التاريخ ، فقد ينسب المؤرخون معركة

كبرى ويذكرها بعض الشعراء كمعركة
الأسطول العربي مع الأسطول البيزنطي في
عهد الخليفة المتوكل ، فإن الأسطول الأخير
دُمِّرَ كأن لم يكن شيئاً مذكوراً . وسكتت
عن ذكر ذلك كتب التاريخ العربية ، ولولا أن
البخري صور المعركة وبطولة العرب
فيها ما عرفنا عنها شيئاً . وكلنا نعرف
أنه لو لم يقيض المتنبي لتصوير بطولة
سيف الدولة أمير قلعة حلب الذي ظل
ينازل جيوش الدولة البيزنطية نحو ثلاثين
عاماً وينزل بها هزائم متعاقبة ما تجسدت
هذه البطولة في نفوس الشباب العربي من
جيل إلى جيل بالصورة الرائعة التي رسمها
المتنبي للبطل العربي ، وإذن لكانت سرداً
تاريخياً لا يحوى شيئاً من هذا اللمع
الحماشي الشعري الذي أودعه المتنبي
سيفياته . ومن يقرأ كتاب الروضتين في
أخبار الدولتين : دولة نور الدين ودولة
صلاح الدين ، لأبي شامة المقدسي يلاحظ
أنه قسم وصفه لمعاركهما الحربية ضد
الصليبيين قسمين : قسماً لنفسه يسرد
فيه أحداث المعركة ، وقسماً للشعراء
يصفون فيه المعركة وأحداثها وصفاً شعرياً ،
يصور بسالة قائدها وجنوده تصويراً يشعل
الشجاعة والمضاء والعزيمة المصممة في نفوس

العرب كي يستحقوا الصليبيين سحقاً
لا يبقى ولا يذر .
وعلى هذا النحو كان الشعر العربي
دائماً سجلاً تاريخياً قيماً لأحداث القرون .
الماضية ؛ وليس هذا كل ما أريد أن أقوله ،
بل أريد أن أقول أيضاً إنه حين ننتقد
التاريخ الدقيق لدولة من دولنا في العصور
الغابرة ينبغي أن نأجأ إلى دواوين -
الشعراء الذين عاصروها . لعنا نجد فيها
ما افتقدناه أو بعض ما افتقدناه . ولعل
من الطريف أن نعرف أن دولة العيونيين
التي حكمت إقليم الأحساء والقطيف ودمجر
والبحرين نحو مائة وسبعين عاماً
لم تسجل تسجيلاً واضحاً لأحداثها
وشؤونها التاريخية لا عند ابن الأثير ولا عند
غيره من المؤرخين القدماء ، راولا أن شاعراً
سجل كثيراً من هذه الشؤون والأحداث
في أشعاره لضاع منا تاريخ هذه الدولة
إلا قليلاً . وهو شاعر من الأسرة الحاكمة
أسرة العيونيين خلف ديواناً كبيراً من
الشعر هو علي بن المقرب العيوني الذي عاش
نحو ستين عاماً من سنة ٥٧٢ إلى سنة
٦٣١ ولم يسجل ما عاصره من أحداث
دولته التاريخية فحسب ، بل سجل أيضاً

أحداثها منذ نشأت إلى عصره في تضاعيف
مديحه لأمرائها وفخره بآبائه وأسلافه ،
وبذلك كان الديوان سجلاً شعرياً تاريخياً
طريفاً . وقد طبع في مكة و الهند ودمشق
وآخر طبعاته في القاهرة بتحقيق وشرح
عبد الفتاح الحلو .

ويحدثنا ابن المقرب طويلاً عن قضاء
مؤسس الدولة العيونية عبد الله بن علي
التبدي على القرامطة نهائياً ، بينما تقول
كتب التاريخ إن دولتهم في الأحساء
والبحرين كانت قد تلاشت قبل ظهوره
بأكثر من ستين عاماً على يد الأصفر بن
أبي الحسن الثعلبي سنة ٣٩٨ للهجرة ،
ورُدَّت إلى خلافة بغداد . ويشير ابن المقرب
إلى اضطرابات وقلقل حدثت في هذه
الديار لمنتصف القرن الخامس الهجري ،
وأن ابن عياش استطاع الاستيلاء عليها ،
ومن يده أخذها عبد الله بن علي التبدي
جميعاً ، ولم يبق مع أحد من أعوانه شيئاً ،
وفي ذلك يقول :

فصار ملك ابن عياش وملك أبي الـ
بَهْلُول مَعْ مُلْكُنَا عَقْدًا لَنَا نَظْمًا

وأبو البهلول كان ضامناً لخراج جزيرة
البحرين . ويبدو من شعرا بن المقرب أن

ابن عياش كان قرمطياً ، إذ يذكر أن
عبد الله بن علي التبدي قضى عليه وعليهم
قضاءً مبرماً ، يقول :

سَلِ الْقِرَامِطَ مِنْ شَطَى جَمَاجِمِهِمْ
فَلَقَا وَغَادِرِهِمْ بَعْدَ الْعُلَا خَدَمًا
من بعد أن جَلَّ بالبحرين شأنهم
وَأَرْجَفُوا الشَّامَ بِالْغَارَاتِ وَالْحَرَمَا

وهو يشير إلى الطامة الكبرى طامة
إغارة أبي طاهر القرمطي في سنة ٣١٧
للهجرة على الحجاج في مكة يوم التروية
وهم يلبنون وهو يقتلهم قتلاً ذريعاً ، وقصة
اقتلعه الحجر الأسود مشهورة . كما
يشير إلى غاراتهم على الشام في سنة ٣٦٠
وما بعدها ، ومضى في القصيدة يذكر
غاراتهم على العراق وتحريق مؤسس دولتهم
: أبي سعيد الجنابي لكثير من قبيلة عبد القيس ،
ويشير إلى فساد عقيدتهم قائلاً :

وَأَبْطَلُوا الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَانْتَهَكُوا
شَهْرَ الصِّيَامِ وَنَصُّوا مِنْهُمْ صَنَا
وما بنوا مسجداً لله نعرفه
بل كلُّ ما أدركوه قائماً هُلِمَا

وابن المقرب ينص على تعطيل القرامطة
لقروض الدين ، ويفصل القول في حروب

هبد الله بن هلى مع ابن عياش وكيف
أنه فر منه إلى أوال (البحرين الآن) وتبعه
بعض قواده هناك وقضوا عليه ، يقول :

فانصاع نحو أوال يبتغى عصما
إذ لم يجد فى نواحى الخطّ معصما
فأقحم البحر منا خلفه ملك
ما زال مذ كان للأهوال مقتحما

والخط : القطيف ونواحيها . وكان
القرامطة قد استنجدوا ببني عامر بن
ربيعة ، فجاءهم من كل فج ، واحتشد
معهم كثير من البوادي ، ولقيهم عبد الله
ابن على فمزقهم شرمزق ، وفي ذلك يقول
ابن المقرب :

فاستنجدت عامرا من بأسها فأتت
مغدة لا ترى فى سيرها يتما
واليتم : البطء . ويذكر أن فرسانهم
كانوا ألفا كاملة ، وأنهم نكلوا بهم تنكيلا
شديدا :

دسناهم دوسة مريّة جمعت
أشلاهم وضباع الجوّ والرّخما

مريّة : قوية . فهم حطموهم حطما ، جعل
أشلاهم تتكاثر وتتناثر ، وتحط عليها ضباع
الأرض ونسور الجوّ . وتدين الأحساء

والقطيف وأوال لعبد الله بن على
العيونى وتصبح خالصة له ولأبنائه من
ورائه . ويتولّى بعده زمام الحكم فى البلاد
ابنه الفضل ويشيد ابن المقرب بشجاعته ،
ويذكر أنه هو الذى اقتحم الخليج إلى
البحرين وراء ابن عياش وأجهز عليه ،
ويتحدث عن أيامه وأنها كانت أيام أمن
ورخاء ، وفيه يقول :

منا الذى حاز من ثاج إلى قطر
وصير الرمل من مال العدو حمى

وثاج : قرية فى شمالى البحرين ، وقطر
فى جنوبها ، والرمل : مرعى فى الطريق إلى
عمّان ، حماه فكان لا يرعى فيه أحد ، على
نحو ما صنع قديما كليب . ويذكر من
رخاء البلاد فى أيامه أن قوما من التجار
حاولوا العبور إلى البحرين فأنكسرت بهم
السفينة ، وسلبوا . ولكن أموالهم غرقت ،
فعوّض كلا منهم : مقدار ما فقد من ماله ،
وكان بينهم جوهرى ، فقد عقودا من
اللؤلؤ قيمتها مائة ألف ، فأعطاه المال
واشترى به ثانية عقودا مماثلة . ثم نزل
هذا الجوهرى العراق ، وعرض جواهره
على سلطان هناك فبخرسه ثمنها : فقال له :
خذها بلا ثمن ، فإن هذه الجواهر جميعها
من مال ملك البحرين ، وقبض عليه القصة .

فأمر السلطان في الحال بهجام من شراب .
فشربه قائماً - كما يقول الخبر -
إجلالا للملك البحرين الفضل بن عبد الله .
واشتراه من التاجر ، كما قال ، دون أي
انتقاص للثمن الذي ذكره ، وفي ذلك
يقول ابن المقرب مفاخرًا :

منا الذي قام سلطان العراق له
جلالة والمدي والبعد بينهما

واطرد الأمن والرخاء في عهد ابنه
محمد أبي سنان ، وقد ظل أميراً على القطيف
وأوال ، أو البحرين ، ثمانية عشر عاماً ،
وكان بحراً فياضاً مثل أبيه الفضل ،
ويروى أن عامله على البحرين جاء إليه
بمال ولآلء وجواهر كثيرة ، وتصادف
أن كان في مجلسه شاعر عراقي يعرف
بالثعلبي ، دبج فيه مدائح كثيرة ، فقال
للعامل : ادفع المال إليه ، وكان فيه جوهرة
بألف دينار ، فبُهِت العامل ، ومات على
الأثر ، وإلى ذلك يشير ابن المقرب بقوله :

منا الذي من نداء مات عامله
غماً وأصبح في الأموات مُخْتَرِماً

وخلفه ابنه أبو فراس غرير ، ويروى
أن الثعلبي شاعر أبيه امتدحه يوماً بقصيدة

فطالب إلى صاحب خزائنه أن يعطيه جميع
مفاتيحها ويتنحى بعيداً عنها ليأخذ منها
ما يريد ، فقال الثعلبي : في بعض ذلك
غنى وسعة ، ريكفيني ألف دينار ، فأمر
له بأربعة آلاف ، وفي ذلك يقول ابن
المقرب :

منا الذي جاد إيثاراً بما ملكت
كفاه لا يد يجزيها ولا رحماً

وهذه النطايا للشعراء إنما وقفنا عندها
لندل على الرخاء الذي نعمت به تلك
الديار في عهد هؤلاء الأمراء ، وأيضاً لندل
على أنه كانت هناك نهضة أدبية رعوها
خير رعاية ، على نحو ما نرى الآن في
عطاياهم وجزائهم الغامرة للشعراء . وهذه
الأنخبار التي نسوقها مع الأبيات السالفة
إنما استقيمتها من الديوان نفسه ، فمع
كل قصيدة وأبياتها شروح لإشاراتها التاريخية .
وكان ديوان ابن المقرب يحمل تاريخ
اليونانيين شعراً وشرحاً أو نشرًا . ويذكر
أنه كان يلي الأحساء في زمن غرير عمه
علي بن محمد الله وأنه أتت على أهل الأحساء
هبة شديدة ، فأمر بخزائن الغلال والتمر
أن تفتح ويأخذ منها أهل كل بيت ما يسد
حاجتهم ، وأمر برفع الضرائب عنهم ،

وما زال ينفق عليهم حتى صلبحت ثمارهم
بأنهم صلبت معاشهم ، يقول ابن المقرب :

منا الذى نفض أموال الخزائن فى

خوث الرعيّة لا قرصاً ولا سلماً

وبيع السلم المؤجل معروف ، فهو قد
أعطاهم ما أعطاهم دون أى مقابل .

وحاصر هذا الأمير فى القطيف أبو الحسن
ابن عبد الله بن على ، وإليه لجأت جماعة

من فرسان عبد القيس ، عدادهم سبعون
فارساً ، فأكرمهم وأمر لكل منهم بدور

وأمتعة وخدم ، وسجل لهم فى البساتين
والأراضى إقطاعات يتوارثونها خلفاً عن

سلف ، يقول ابن المقرب :

منا الذى جعل الأقطاع من كرم

إرثاً توزعه الوراث مقتسماً

وأهم من ذلك أنه حضر هذا الأمير

ذات يوم أربعون شاعراً ، فأعطاهم أربعين

فرساً مُسرجاً ملجماً

ولعل فى هذا العدد الوفير من الشعراء

ما يدل بوضوح على النهضة الأدبية زمن

العيونيين ، وإلى هذا الحطاء وأولئك الشعراء

يشير ابن المقرب بقوله عن أبي الحسن :

وجاد فى بعض يوم وهو مُرتفق

بأربعين جواداً تغلّك اللججما

وخلفه ابنه الحسن على القطيف ، ووفد

عليه عمه على بن عبد الله - المار ذكره - أمير

الأحساء فتلقاه خارج القصر ما شاء وأقطعه قرية

الظهران على ساحل البحر ، وهى - كما

يقول شارح الداء - ذات نخيل وأشجار

وثمار وزروع . وحرم أن توقد بها نار -

للضيافة غير ناره ، يقول ابن المقرب :

منا الذى لم يدع ناراً بساحته

تذكى سوى ناره للضيف إن قدما

ولابد لقارىء ديوان ابن المقرب أن

يلاحظ أنه يتحدث تارة عن أمير

القطيف وتارة عن أمير الأحساء ، وكانت

للأول الإمارة الكبرى فى تلك الدولة ،

وغالباً تكون معه أيضاً إمارة أوال -

أو البحرين الحالية . ومن أهم أمراء

الأحساء فى عهد الحسن بن أبي الحسن

ابن عبد الله أخوه شكر ويذكر

ابن المقرب أن شخصاً ثار عليه يسمى

الذائلى وأنه جمع له جموعاً غفيرة

من البدو ، وحاصر الأحساء ثلاثين

يوماً ، اقتحم فى نهايتها أبوابها ، وكما

يكتب له النصير ، غير أن شكراً تلقاهم

مع أناء وجنده وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً

عند بستان يسمى بالخائس وكان من

قتلهم المسيب أحمد شجاعهم ، يقول ابن
المقرب :

منا الذي عامَ حَرْبِ النَّائِلِ جَلَا
يوم السَّبِيْعِ ويومَ الْخائِسِ الْغَمِّمَا

وكان شكر فارساً مغواراً ، وفي عهده
وعهد أخيه الحسن - ويلقب بالزُّثْر -
سار صاحب جزيرة كيش بمراكب كثيرة
لغزو أوال ، ونزل فيها بمكان يسمى سُتْرَة ،
وفاجأهم فيه شكر ، واحتدم القتال بين
الفتتين ، ودارت على صاحب جزيرة
كيش وجنده الدوائر ، فقتل منهم ألفان
وثمانمائة ، ولم يسلم منهم إلا عدد يسير ،
وفي ذلك يقول ابن المقرب :

ويومَ سُتْرَة منا كان صاحِبُه
لاقت به سامةٌ والحاسكُ النَّدْمَا

ألفين غادر منهم مَعْ ثَمَانِ مِئْثَى
صَرَغَى فكم مُرْضِعٍ من بعده يَتَمَا

ويتم : أصبح يتيا . ويتوفى شكر سنة
٥٦٢ ونظال نحو عشرين عاماً لا يلقانا
أمير نابه للعيونيين يتحدث عنه
ابن المقرب مفاخرًا كعادته في أشعاره .
حتى إذا كانت سنة ٥٨٤ تولى على الإمارة
جميعها أهم أمراء هذه الأسرة العيونية :

محمد بن أبي الحسين أحمد بن عبد الله
ابن علي وكان قد بدأ بولايته على الأحساء
وترك القطيف للحسن بن شكر بن الحسن
ابن عبد الله فلم يفكر أولاً في ضمها إليه ،
وحدث أن حلَّ على القطيف في القيظ
ونزل منها على صَفْوَى ، فخشي الحسن
أن يكون غرضه الاستيلاء على بلده ،
فأثار عليه آل شبانة وآل الجحاف
وعساكر القطيف وفرسانها ، ونازله ،
ودارت الدوائر عليه وعلى من معه ،
وفي ذلك يقول ابن المقرب :

لما أَتَتْ أَهْلُ الْقَطِيفِ بِجَحْفَلٍ .
متوقِّدٍ كَتَوَقَّدِ النَّيْرَانِ

ورمى الأمير جموعهم فتمزقت
كالشَّاءِ إِذْ جَفَلَتْ من السَّرْحَانِ
فَرَّتْ فِوَارِشُهُمْ لما قد عاينت
هَرَباً ولم تَعْطِفِ على النسوانِ
وحوى طعائنها وأحرز مالهم
غَضِباً وأنزلهم بشرَّ مكانِ

وبذلك مدَّ الأمير محمد بن أبي الحسين
لواء إمارته إلى القطيف وجميع بلاد تلك
الدولة ، بل لقد أخذ يمدّه على القبائل في
نجد ، واتسع في مدّه غرباً وشمالاً ، مما جعل

الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٥٦٢هـ).
يعهد إليه بخفارة الحاج من بغداد إلى
مكة ذهاباً وإياباً، وفرض له في كل سنة
ألفاً ومائتي ثوب من عمل مصر أكثرها
من الإبريسم كما فرض له من البصرة
كل سنة ألفاً وخمسمائة حمل خنطة وشعير
وأرز وتمر مدة حياته، وإلى ذلك يشير
ابن المقرب إذ يقول:

منا الذي كل عام بالعراق له
رسم سنّي إلى أن ضمن الرّجما
والرجم: حجارة القبر. يريد إلى وفاته .
ويشيد به في أشعاره إشارات كثيرة ،
جعلته يقول له : نشدتك الله الذي
لا إله إلا هو أن لا تتحامي ما يحويه
ملكى من أمر ونهى وفرس ومال وخادم
ولا تشاورنى في شيء مما أملك ، فأمرك
فيه كأمري ، وله يقول :

رياح الأعادي عن حمالك قصار
وفي حشدّها عما تروم عشار
وكل امرئ ليست له منك ذمة

يُضامُ إلى رَغْمٍ له ويُضارُ
وما عزّ من أمسى سواك معاذة

ولو عصمتُهُ يُعَرَّبُ ونزار
فِعْش في عظيم الملك ما لاح كوكب
وأظلم ليل أو أضياء نهار

وقد استطاع أن يمد رياسته على قبائل
نجد الشرقية وأن يحمي الحجاج ،
كما أراد الناصر ، في ذهابهم وإيابهم
إلى الحج ، فأصبحت الطرق آمنة ،
ولم يعد بين القبائل من يقطع الطريق
على الحجاج وينهب أموالهم أو يسفك
دماءهم ويسبي نساءهم . وجاءته أخبار
في سنة ٥٩٨ بأن بنى مالك الطائيين
يتجمعون حول لينة - ماء بطريق مكة
يرده الحجاج - كي يقطعوا عليهم الطريق
فجمع لهم فرسان قومه ، وفاجأهم ،
يقتل فيهم ويسفك دماءهم . وكانوا
جمرة من جمار العرب ذوى بأس ونجدة ،
فأوقع بهم وقعة مبيدة ، أهلك فيها كثيراً
من الرجال وأخذ الأموال وسبي الحرير
والذراري، وفي ذلك يقول ابن المقرب :

وفي لينة أردى شغامي طي
جهاراً ولون الجو بالنقع حائل
عشية لا يلوى عنان جواده

حمى والعذارى دأبهنّ التعاول
الشغامييم : الطوال ، ويريد الشجعان
وكانما أرادت طيء أن تشار لهذه
الواقعة من أمير القطيف والأحساء ، فجمع
رؤساء بني ربيعة بن حارثة من طيء وهم

سعيد بن فضل ومائع بن حديثه ومسعود
ابن بريك جموعاً غفيرة من قبيلاتهم ،
وانضم إليهم دهمش بن سند وقبائل
شتى من زبيد وعرب الشام ، واثتمروا
فيما بينهم أن يقطعوا الطريق على حجاج
بغداد ونقض ذمة الأمير محمد بن أبي
الحسين وإثبات أنه لا يستطيع أن يفي
بما حمّاه الخليفة الناصر من تأمين طرق
الحجاج . وعلم الخليفة بما اعتزموا عليه ،
فأنبأه الخبر ، فجمع عرب إمارته وانضم
إليه عرب العراق العقيليون من بنى المنتفق
وبنى خفاجة ومن خالطهم من قبائل قيس
وربيعة ، وسار حتى لقي جموع طيء ومن
معهم بظاهر الكوفة ، واقتتلوا قتالاً عنيفاً ،
ودارت الدوائر على طيء وحشودها ،
وتقهقروا حتى بلغوا رحالهم . وأرسل
رؤساء طيء إلى الأمير محمد يناشدونه
العفو عنهم ، فرق لهم وعطف عليهم
وأجارهم وأجار أهلهم وأموالهم ، ولم
يُجر دهمشاً ، فدخل مشهد الإمام على بن
أبي طالب وتحرم به مستجيراً بقبره .
فأقام الأمير محمد عليه الحراس خوفاً
من هربه ، وأرسل إلى الخليفة الناصر
بذكر له أمره ويسأله رأيه فيه ، فأرسل

إليه جنوداً ساقوه في الأغلال إلى بغداد .
واستتابه الناصر ، فتاب ، وخلع عليه وخلى
سبيله . ويردد ابن المقرب ذكر هذه
الواقعة في مدائحه للأمير محمد من مثل
قوله :

ولما أتت أهل الشام يقودها
إليه الردى قود الجنيب لراكب

سميد ومسعود ورهط حديثه
يسيرون جرد الخيل بين النجائب

أتاهم يجوب البيد بالخيل والقنا
فتى عبدلى فى الوغى غير هائب

فلم يُنجهم إلا الفرار وجيرة
أتت منه ما فيها معاب لعائب

ومال أمير المؤمنين بسوده
إليه وسماه زعيم الأعارب

حمى البر من حسد العراق فحازه
إلى الشام واستولى على كل ناعب

ودانت عرب نجد جميعاً بالولاء للأمير
محمد من دياره إلى مكة والمدينة ،
ومن العراق إلى الشام ، ولم يعد هناك
من يقطع الطريق على الحجاج ولا من

يعبث بالأمن ، وسارت القوافل من عُمان
إلى حلب ومن بغداد إلى مكة دون حاجة
إلى خفارة . وهو حدث مهم ومأثرة -
عظيمة . ولولا ابن المقرب وديوانه ما عرفنا
أعمال هذا الأمير وما كلفه للجزيرة
العربية في أيامه من أمن ما بعده أمن ،
وهو أمن شمل الحجاج إلى بيت الله
الحرام ، فلم يعودوا يُنهبون ولا يسلبون
أموالهم وأزوادهم ، ولم تعد السيوف
والرماح تنوشهم وتهدر دماءهم . ومن
العجب العجيب أن هذا الأمير العظيم يَأتمر
به بغض أهله في سنة ٦٠٣ للهجرة ، إذ قدّر
له أن يُغوى ابن عمه غرير بن الحسن
ابن شكر راشد بن عميرة على
اغتياله نظير أخذه لجميع أمواله
وذخائره ، أما الإمارة فتكون لغرير .
وتمت المؤامرة وقُتل الأمير غيلةً ، وبكثته
إمارته طويلاً ، وأن ابن المقرب وأعول
يمثل قوله :

ليبلك العُلا والمجد والبس والندي
لقد صلّ وادها وجفت مسابله
وتندبهُ البيضُ الصوارم والقنا
لما أنهلتها كفه وأنامله

لعمري لئن كان الأمير محمد
قضى وأصيب يوم نحس مقاتله
لقد مُنيت منه الأعادي بثائر
همام أبي أن يحمل الضيم كاهله
وصل . أجذب . ولا نرى لابن مقرب
مديحاً في غرير ، بل على العكس نرى له
فيه لماً كثيراً ، وهو لمز شمل به أيضاً
خليفته على الأحساء أبا ماجد محمد
بن علي بن عبد الله ، مما جعله
يجتاح أمواله من طريف وتالد وصامت
وناطق ، ولم يبق له صفراء ولا بيضاء .
ولا راعى فيه حق النسب والولاء ،
وزجّ به في غياهب السجن وضيق
عليه في الأصفاد ، وجعل على الأبواب
لحفظه الحراس والأرصاد . ونظن ظناً
أن ذلك كله لم ينزل به لندبه الأمير
محمدًا ولمز قاتليه ومن خلفوه ، بل أيضاً
لأنه فكر في أن يستخلص الأمر لنفسه ،
إذ يقول في بعض قصائده :

إلى م بنى الأعمام نخضى على القذى
ودمغ المساقى قد تداعت حوافله
وهل يحمل العزم الثقيل أخو العُلا
ويضعف عن حمل الظلّامة كاهله

وما بعد سلب المال والعز فاعلموا
مقام وزاد المرء لأبد آكله
ومضى يستشير قومه وأهله للثورة على
الحاكمين ثورة تأتي عليهم . وأقام في
السجن مدة ، ظل فيها يدبج القصائد
في مديح محمد بن علي بن عبد الله حتى عفا
عنه ورد إليه حريره ، فولى وجهه نحو
العراق ونزل البصرة ، ومدح واليهما
باتكين بن عبد الله الرومي ، وانعقدت
بينهما صلة منذ هذا التاريخ : سنة ٦٠٥
للهجرة . واتجه نحو بغداد ، فمدح الخليفة
الناصر ، ونال بعض جوائزه ، وتعرف
على أدباء بغداد وعلمائها وفي مقدمتهم
أبو البقاء العكبري العالم النحوي المشهور .
ورأى أن يعود إلى موطنه الأحساء محملاً
بتجارة من أعمدة الحديد ، غير أنه فوجئ
في مدينة واسط بآبن الدبشي ضامن
المكوس يطالبه بضريبة تبلغ نصف ثمن
بضاعته ، مما جعله يضلّيه ناراً حامية من
هجائه المقذع . وحين قدم البصرة طالبه
ضامن المكوس فيها شرف الدين المعروف
بالكاتب ببعض الضرائب ، فاستجار منه

بممدوحه باتكين أمير البصرة بمثل قوله :
يا شمس دين الله كم لك من يد
يُثنى بها بادٍ ويشهد حاضراً
ولدى أعمدة قليل قدرها
جداً وللدويان وال قادر
ولقد جرى فيها بواسط وقعة
ما كان لي فيها هنالك ناصر
فادفع بجهاك أو بمالك مُنعماً
عني ، فمالك للعفا ذخائر
 ويعود إلى موطنه الأحساء في سنة ٦٠٥
مؤملاً زوال البغضاء بينه وبين محمد
ابن علي أميرها . ونجده يستعطفه ببائية
طويلة يذكر فيها مناقب قبيلته وعشيرته
وأهله العيونيين ، ويطلب في مديحه طامعاً
أن يرد عليه أمواله وبساتينه ، متوسلاً
إليه بقرابته وأواصرها الوثقى بمثل قوله :
أبا ماجد أنظر إلى ذي قرابة
بعين رضا يغضي لها الخائن الخب
ولما أنشده القصيدة أقبل عليه
واعداً له وعداً جميلاً ، غير أنه
لم يبادر إلى تحقيق وعده ، فمدحه ابن

المقرب بكافية يستنجزه فيها وعده ،
مكرراً ذكر القرابة وما بينهما من رحم
واشجة ، ومغالياً في مديحه غلوا شديداً
بنثل قوله :

تَرَى الْعَرَبَ الْعَرَبَا يَحْجُونَ بَيْتَهُ
كَأَنَّهُمْ جَاءُوا لِدَبْحِ النِّسَائِكَ
رِجَالاً وَرُكْبَاناً فَمَنْ طَالِبٌ غِنًى
وَمَنْ تَائِبٌ عَنْ زَلَّةٍ مُتَسَادِرِكُ

وعاد إلى وعده . ولم يحظ منه الشاعر
بغير الوعد والمماطلة فيه ، وفي هذه الأثناء
استطاع الفضل بن الأمير محمد
ابن أبي الحسين بمساعدة الخليفة
الناصر وما أمده به من الجند
والسلاح أن يستولى على القطيف وأن
يفتك بغير وقتلة أبيه ، فرحل إليه ابن
المقرب وأخذ يدبج فيه مدائح كثيرة
مثنياً فيها على أبيه ومترحمًا ، غير أنه
لم يحظ منه بطائل ، إلا قليلاً ومقداراً
حقيراً ، مما جعله يتلوّمه بقوله :

فَلَا تَتَّكِلْ يَا فَضْلُ فِي الْفَضْلِ وَالنَّدَى
[على سالف أسداه جَدُّ ووالِدُ
فَلَا حَمْدَ إِلَّا بِاللَّيْ يَفْعَلُ الْفَتَى
ولو كثرت في أولييه المحامدُ
وعبثاً يذكره بما أصابه من مصادرة

أَمْلاكه وأمواله وسجنه في سبيل ميله إليه
ونديه لأبيه واستثارة الناس ضد قاتليه .
ولم يكن الفضل في همة أبيه وعزمه
وشجاعته ، وزادت القطيعة بينه وبين
ابن المقرب وغيره من أبناء عمومته حين
وقع صلحاً بينه وبين أمير جزيرة كيش
تنازل له فيها عن بعض جزر البحرين
وبعض مقاسيمها ، وفرض على نفسه
إتاوة له سنوية : خمسمائة دينار ، مما جعل
الناس في القطيف والأحساء يستخطون
عليه سخطاً شديداً . ويثور عليه ابن أخيه
علي بن ماجد بن محمد بن أبي الحسين ،
ويفرح به الشاعر كما فرح به أهل إمارته
الأحساء وغير الأحساء ، إذ نشر العدل
في ربوع البلاد ورفع عن الناس الجور
والمظالم ، وله يقول :

أَضَحْتُ بِكَ الْأَحْسَاءُ سَاكِنَةً وَقَدْ
رَجَفَتْ بِمَنْ فِيهَا وَكَادَتْ تُقَلِّبُ
وَمُنَعَتْهَا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ سُدى .
في كُلِّ نَاحِيَةٍ يُغَارُ وَيُنْهَبُ
وَمَلَأَتْهَا عُدْلاً وَكَانَتْ عُمَمَتْ
جَوْرًا تَغُورُ بِهِ الدِّيَارُ وَتُخَرَّبُ
فعلى بن ماجد قد أشاع في الأحساء
الآمن والعدل اللذين لاتصلح حياة الرعية

بدونهما ، وعمّ الرخاء ، غير أن ذلك لم
يدم طويلاً ، إذ ثار عليه مقدم بن غرير
ابن الحسين بمساعدة ابن أبي جروان أحد
رؤساء قبيلة بني عبد القيس .

وضعت أداة الحكم حينئذ ضعفاً
شديداً ، وعاث فيها المفسدون ،
وأصبح لأهل البادية السلطان الأكبر
وخرجت الأموال إلى أيديهم ، واجترأ
الناس ، وصار كلُّ له هوى يميل إليه ،
ويود لو يكون الملك وزمامه في يديه ، وزُجَّ
في السجون كثير من العيونيّين وغيرهم
وصودر ما في خزائنها من أموال . ونرى
لأبن المقرب يصور كيف فسد الحكم
حينئذ فساداً من الصعب درؤه أو إصلاحه
في قصيدة له نونية طويلة يوجه فيها
الحديث إلى قبيلة عبد القيس جميعها
لعلها تتدارك الصدع المتفاقم ، قائلاً :

أرجالَ عبدِ القَيْسِ كم أدعوكم
في كل حينٍ - للمُعلّ - وأوانِ
القومُ تأكلكم ويأكل بعضكم
بعضاً كأنكم من الحيثانِ
من عزّ منكم كان أكبرُهم
شقَّ العَصَا وتذكّر الأضغانِ
لم يغضب البدويُّ إلا قلمُ
سُدّوه ، كي يرضى ، بمال فلان .

والله ما نحسّ البلادَ سِواكمُ
لا بالعدي انتحست ولا السلطانِ
ويدعو عبد القيس إلى الالتفاف ثانية
حول أميرها القديم ، ويتجه إلى ابن أبي
جروان باللوم العنيف أن يكون أداة من
أدوات الخراب في الإمارة العبدلية . ثم
يأخذ في استعطافه ، حتى يكف عن ظلم
الناس ، إذ كان مقدم بن غرير لعبة في
يده . وتظلم الدنيا في عين ابن المقرب ،
فيخرج من البلاد إلى العراق ، ويمتدح
والى البصرة باتكين بن عبد الله الرومي
والخليفة الناصر في سنتي ٦١٣ و ٦١٤ هـ
للهجرة ، ويعود إلى موطنه ، فيجد صولجان
الحكم بيد أبي القاسم محمد بن مسعود
ابن محمد بن علي ، فيمتدحه بقصيدتين :
دالية وميمية ، ويشيد فيهما بكرمه
وشجاعته ، ويتنصل في ثانيتهما من وشايات
خصومه وما يزورونه عليه من القول .
ويمضي في استعطافه وأنه تحمل ماتحمل
من اجتياح ماله وسجنه في سبيل أسرته
الحبيبة إليه ، ويتوسل إليه أن يبق على
ذمامه وأن يرعاه بعنايته ، ويمتدح ابنه
مسعوداً أيضاً بقصيدتين لامية وميمية ،

ويبدىء ويعيد في وصفه بالكرم والشجاعة والفروسية والتنكيل بالأعداء. ويتولى إمارة البلاد أخوه الفضل على بن مسعود، فيمتدحه بقصيدة لامية، يشيد فيها بحكمه وحسن تدبيره وسياسته، وعدالته ونشره لأحكام الشريعة وأخذه على أيدي المفسدين والفاسقين، يقول:

رفعت عماد المجد من بعد ما وهى
ورث وأضحى ركنه وهو مائل
وقمت بأحكام الشريعة فاستوت
لديك ذوو الأجيال: طى ووائل
وأوهيت كيد الفاسقين فأصبحوا
وناصرهم من جملة الناس خاذل

وفي القصيدة ما يدل على أن الأسرة: أسرة مسعود لم تكن تسبغ عليه مودتها وعطاءها، إذ يشير إلى أن المكان إذا نبا به اغترب وأن من عادته الاغتراب والهجرة عن الوطن، إذا وقع به أذى أو أحس ضيما، يقول:

ولى عن مكان الدل منأى ومزحل
وذا الناس في الدنيا غريب وآهل

ونراه في العراق سنة ٦١٧ وعادة ينزل أول ما ينزل فيها بباتكين أمير البصرة

ويولى وجهه نحو بغداد فيمتدح خليفته الناصر، غير أنه في هذه المرة يوغل في رحلته شمالا، فينزل في الموصل وسنجار وديار بكر، ويمتدح مرارا بدر الدين لؤلؤا مدبر الموصل والقائم على شئونها منذ سنة ٦٠٧ للملكها القاهر بن نور الدين أرسلان شاه. ويمد رحلاته إلى الملك الأشرف موسى بن الملك العادل الأيوبي صاحب حران وديار الجزيرة. ويعود إلى دياره وموطنه فيجد أميرها الفضل قد أفسد أداة الحكم فيها إفسادا لا يمكن إصلاحه، إذ قرب منه جماعة من غير أهل بيته اتخذهم حاشية له، فاتفقوا مع رؤساء قبيلة بنى عقيل أن يعصفوا بالبلاد عصفاء، حتى إذا استشارهم الفضل أشاروا عليه أن يحكمهم في أملاك أقربائه يأخذون منها ماشاءوا. وحاصروا الأحساء وأفسدوا ثمارها وزروعها، ونزل الفضل على مشورة حاشيته، فملك البدو من بنى عقيل البساتين ظلما، وصار الرجل من أهل الأحساء يضطر إلى بيع البستان الذى تبلغ قيمته مائتى دينار بدينار واحد أو دينارين أو بثوب أو بجزور وما أشبه

ذلك. ويأسى ابن المقرب لما أصاب الأسرة والدولة ويرى فيه نذيراً بانتهاء أيامها ، ويصور أساه وحزنه في نونية ، يقول فيها وقد أمضه الأسى وأوجعه الحزن الشديد :

ياليت شعري أي الذنب كان لنا
حتى به اجتياح دانينا وقاصينا
أضحت بساتيننا نفدي بأحسنها
شقصاً لأدنى خسيس من موالينا
بجيلة التمر والشاة الرعوم غدت
أهلاً كُنّا واحتمت أملاك عاديّنا
إنّا إلى الله لا أرحامنا نفعت
ولا طعان حُماة القوم يحميننا

والشقص : الشيء اليسير . وجلة
التمر : وعاءه . والشاة الرعوم : الهزيلة .
وهو يبكي اجتياح أموال عشيرته من
العيونيين ، ويقول إن البستان يباع
- خوفاً وقهراً - بوعاء من التمر أو بشاة
هزيلة . ويسترجع محزوناً لدولته وأسرته ،
ويرى نهايتها قد دنت . وفعلاً لا يمضي
نحو عشر سنوات ، حتى تغرب شمس
تلك الدولة إلى غير مآب ، وت خلفها دولة
من العتميليين ، هي دولة بني عصفور .

وواضح أن ابن المقرب دَوّن لنا في شعره وديوانه تاريخ أسرته على مر السنين حين حكمت القطيف والأحساء والبحرين الحالية ، ولم يترك حادثة مهمة دون تدوين . وفي هذا ما يدل بوضوح على قيمة هذا اللون من شعر المديح والفخر ، ففي تضاعيفه قدم لنا ابن المقرب وثائق تاريخية دقيقة عن دولة العيونيين لم تقدمها لنا كتب التاريخ ، ولولا ديوانه لضاع تاريخ هذه الدولة فيما ضاع من تاريخ دولنا وإماراتنا الصغرى في العصور السابقة .

ولا نفيد من ديوان ابن المقرب وثائق تاريخية عن الدولة العيونية فحسب ، فقد تعرض للقرامطة وعقيدتهم الفاسدة ، على نحو ما مرّ بنا ، ومما ذكره عنهم أنهم كانوا ابتدعوا في البحرين بدعة سموها الماشوش ، إذ كان يجتمع الرجال والنساء في الليلة العاشرة من شهر المحرم ويشعلون الشموع ويرقصون ويختلطون ، حتى إذا تعبوا من الرقص أطفأوا الشموع ، وظلوا في اختلاطهم . فحين تولى إمارة القطيف والأحساء والبحرين عبد الله بن علي رأس الأسرة أبطل هذه العادة ، وشدد فيها

النكير وإلى ذلك يشير ابن المقرب إذ يقول :

منا الذى أبطل الماشوش فانقطعت
آثاره وأنمحي في الناس وأنطسما

انطسما هنا : انطمس . ومما يسجله الديوان من وثائق تاريخية ارتفاع المكوس على انتقال البضائع من بلد إلى بلد كما مر بنا في شكوى الشاعر من ابن الدبيثي ضامن المكوس في واسط . وأنه طالبه بنصف ثمنها مكسا أو ضريبة جمركية ، وله يقول :
نِصفُ البِضاعة حين تَظْفَرُها
مَكْسٌ ، لقد بالغت في التَّكْرِ

ومدائح في باتكين بن عبد الله الرومي وإلى البصرة وثائق مهمة في بيان أعمال الولاية لعصر الخليفة الناصر ، وربما كانت تلك أعمالهم دائماً ، فهو لا يقف عند مديحه بالكرم والشجاعة والتقوى والعدالة التي لا تستقيم حياة الرعية بدونها ، بل يتعرض لأعماله ، ويصفها وصفاً تفصيلياً في ثلاث قصائد : داليتين ولامية ، من ذلك قوله :

بَنَى بالبصرة الفَيْحاء سُوراً
يضاهاى السدَّ سَبْكَاً وانعقاداً

وزينها بأسواق أَراناً
بها كلُّ البلاد لها سَواداً

وكم من مَشْهَدٍ ورباط زُهْدٍ
ومدرسةٍ بَنَى وَهْدَى أَفاداً

وجامعها المعظم إذ تداعى
وقال القائلون عفا وباداً

أقام له إلى الأهواز عِيراً
صِلاداً تحمل الصَّمَّ الصِّلاداً

فهو قد بنى حول البصرة سوراً يحميها من غارات الأعداء . ويقول الشاعر في قصيدة أخرى إنه بنى حوله خندقاً ليحول بين البلد وما قد يدخلها من الأسود ليلا . ويذكر أنه عني بأن يقيم بها أسواقاً كبيرة للتجار وأن تعمم بالبضائع ، ويقول الشاعر في قصيدة أخرى إن سوقها الكبيرة تفوق سوق الثلاثاء ببغداد يريد سوق البزازين فيها . ويذكر أنه عني بمشاهد وأربطة الزهاد أو المتصوفة . والرباط كما هو معروف مركز إعداد الجيش لحرب الأعداء ، ومن قديم تسمى زوايا المتصوفة أربطة ، لأنهم كانوا يستعدون فيها ومن ينضم إليهم للجهاد في سبيل الله ، وكان العصر عصر الحروب الصليبية وكان صلاح الدين يبني هذه

الأربطة في القاهرة وفي جميع بلاد دولته ،
ليجتمع فيها المتصوفة والمجاهدون في سبيل
الله . ويبدو أن الخليفة الناصر كان يصنع
صنيعه في بلاد العراق ، ولذلك عنيّ واليه
على البصرة باتكين بإعداد الأربطة في
مدينته ، ولم يعن بأربطة المتصوفة ومشاهدهم
فحسب ، كما يقول ابن المقرب ، بل
عنيّ أيضاً ببناء المدارس ، ويقول الشاعر
في لاميته :

أَحْيَى بِهَا لِلشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ
وَأَبَى حَنِيفَةَ أَحْرَفًا وَقُصُولَا

فكان فقه المذاهب الثلاثة : مذهب
أبي حنيفة ومالك والشافعي يُدرّس فيها ،
يدرسه العلماء المتخصصون . وليس ذلك
فحسب ، فقد كان يدرس فيها الحديث
وتفسير الذكر الحكيم كما يقول الشاعر
في داليتة الثانية :

وَحَشَا تَلَكُمُ الْمَدَارِسُ بِالْكُتُبِ

بِ الشُّرَافِ الصَّحِيحَةِ الْإِسْنَادِ
وَوَاضِحَ أَنَّهُ يَشِيرُ إِلَى أَنَّهُ كَانَ فِي
المدارس مكتبات جليلة تضم الكتب
والمخطوطات الصحيحة الوثيقة . ويذكر
ابن المقرب أن باتكين بنى جامعها الكبير حين

تداعى في عصره . ويقول في اللامية
إنه اتفق أن امتد إليه حريق أتى عليه ،
فأعاد عمارته ، وجلب إليه من الأهواز
وغير الأهواز مواد البناء من الأخشاب
والرخام . ويقول :
كَمْ مِنْ رُواقٍ زَادَ فِيهِ وَحُصْرُهُ
زَادَتْ إِلَى تَرْفِيلِهِ تَرْفِيلَا

فقد ازداد في أرواقه حين بناه ، وتأنق
فيما جلب إليه من الحصر . ويذكر أنه
بنى للوفود دار ضيافة ، وليس ذلك
فحسب كل ما نهض به باتكين
في البصرة ، فقد شيد فيها مارستانا للمرضى
وذوى العاهات ، يقول الشاعر في الدالية
الثانية . وهو يعدد أعماله :

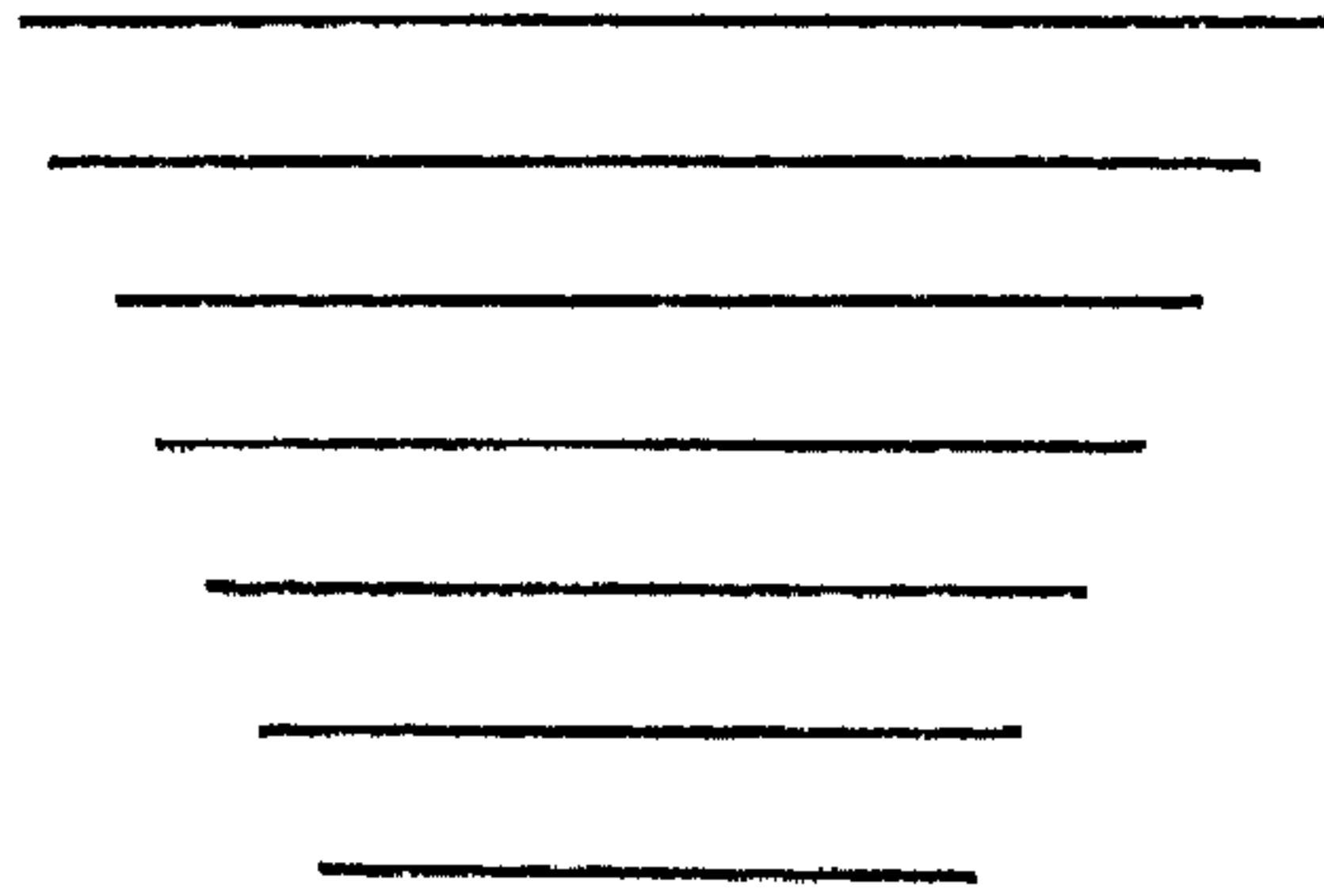
أَمْ لَأَنَّ شَيْدَ الْمَرَسْتَانِ لِلزَّ
مَنْىَ وَحَفِظَ الْعُقُولَ وَالْأَجْسَادِ

ويقول أيضاً في نفس القصيدة
إنه آمن السبل وفتك بالصوص ، وإنه
يقيم الحدود كما تفرضها الشريعة
الإسلامية . وليس من شك في أن هذه
صورة مثالية لولاة الخليفة الناصر في
العصر وما كانوا ينهضون به في ولاياتهم

لا من نشر الأمن والعدل فحسب ، بل
أيضاً من إقامة حدود الشريعة وتطبيقها ،
وتشييد المارستانات والجوامع والعناية
بفرشها وحصرها ، وتشديد مدارس الفقه
والحديث والتفسير ، والعناية بمكتباتها
وتزويدها بالكتب النفيسة ، وتشديد
الربط والمشاهد ، وعمارة الأسواق والعناية
بأسوار البلدان . وكل هذه الأعمال التي
ساقها ابن المقرب لباتكين والى البصرة
لأنجد لها أثراً ولا ما يشبه الأثر في كتب
التاريخ ، ولذلك لانبالغ إذا قلنا إن ديوان
ابن المقرب يعد سجلاً شعرياً تاريخياً

فريداً ، وهو سجل لا يخص فقط دولة
العيونيين في القطيف والأحساء والبحرين
بل يتسع ليشمل دولة الخليفة الناصر
وعماله على البلدان في العراق . ولعل في
كل ما قدمنا ما يدل بوضوح على أن شعر
المديح عند أسلافنا في صميمه شعر تاريخي
يسند التاريخ حيناً كما قلنا في صدر
هذا الحديث . وحيناً يضيف إليه وثائق
وحقائق جديدة ، بل قد يضيف
تاريخ دولة بأكملها ، لم يدون
منه المؤرخون إلا شذوراً قليلة .

شوقي ضيف
عضو المجمع



سُحْرُونا القدامى والحجّة

للدكتور أحمد الكوفي

عضو المجمع

عاشى

العرب في صحراء
رحيبة جديبة مليئة
بالتلال والنجاد وبالقيعان والأغوار
والوهاد، يقل سكانها، ويقل الجائلون
فيها، ويسدل الليل ستاره فيغمر الظلام
والهكون والوحشة كل شيء، فتتسلط
الأوهام، وتتجسم المخاوف والأحلام،
فيدعى كثير من العرب أنهم رأوا الجن،
وخالطوها، وصادقوها وخالصموها، ونسبوا
منها .

والتصديق والشك وإما أن يلقوا
راوية شعر أو صاحب خبر، فالراوية
عندهم كما كان الأعرابي أكذب في شعره
كان أظرف عندهم، وصارت روايته
أغلب، ومضاحيك حديثه أكثر، فلذلك
صار بعضهم يدعى رؤية الغول أو قتلها
أو مراقبتها أو تزويجها^(١) .

لكن تعليل الجاحظ صالِح لبيان السبب
في انتشار هذه الأكاذيب ورواجها، أما
السبب في نشأتها فهو ما أسلفته .

وكل حديثهم في هذا خرافة .

ولقد علل الجاحظ لذيوع الشعر المتصل
بالجن تعليلاً حسناً بقوله : « ومما زادهم
في هذا الباب وأغراهم به ومدّ لهم فيه ،
أنهم ليس يلقون بهذه الأشعار وهذه
الأخبار إلا أعرابياً مثلهم ، وإلا غيباً لم
يألف نفسه قط بتمييز ما يوجب التكذيب

١ - تصورهم للجن

نصّبوا بعض أصناف الجن بالتحدث
عندها كالأغيلان والسعالى، وأطلقوا كلمة
الغول على كل شيء من الجن عرض
للمسافرين، ويتلون في أمكال الصور
والثياب، سواء أكان ذكراً أم أنثى،
والأكثر أنه أنثى .

(١) الحيوان للجاحظ ٧٩/٦

وأطلقوا كلمة السَّعْلاة على واحدة من
نساء الجن تتغول لتفتن المسافرين ،
وقالوا إن هذا منها على سبيل العبث ،
أو لعلها تفرع إنساناً فيتغير عقله ^(١) .

وزعموا أن خلق الغول كالإنسان ،
ولكن رجليها رجلا حمار .

وادعوا أنها تتغول لهم في الخلوات ،
وتظهر لخواصهم في صور شتى ، فيخاطبونها
وربما ضيفوها ، وكانت تتراءى لهم
فيتبعونها فتتبعهم ، ولهذا كانوا إذا
ما رأوها صاحوا بها :

يا رجل عذري نهقي نهيقاً
لن تنزلي السبيل والطريقا
لأنهم زعموا أحياناً أن رجليها رجلا عنز .
وتكلموا كثيراً على الأنثى من الغيلان
قال أبو المطراب :

ونخالفني الوحوش ع الوفاء
وتحت عهد دهن وبالبعاد

و - ولا قفرة ذكر وأنثى
كأن عابهما قطع البجاد ^(٢)

وزعم تأبط شراً أو زعموا له أنه رأى
الغول وضربها ضربة قضت عليها ، وجاء
في تصويره لها أنها صغيرة الرأس ،
مشقوقة اللسان ، يشبه لسان الكلب ،
مشوهة الساق ، تلبس ثوباً من جلود بالية :

إذا عينان في رأس دقيق
كرأس الهر مشقوق اللسان
وساق مخدج ولسان كلب
وثوب من عباء أو شنان ^(٣)

ونسبوا مثل هذا التصوير إلى شاعر
آخر هو أبو الغول الطهوي ^(٤) .

والعجيب أنهم تأثروا بهذا التصوير ،
فاستمد بعضهم منه صوراً شتى ، فمثلاً
شبه الخطفي بنك جوير - النوق السائرة
بالليل ترفع أعناقها تهز زئوسها بالجن التي تمد

(١) الحيوان ٤٨/٦

(٢) مروج الذهب ٢٥٢/١

(٣) صبح الأعشى ٤٠٥/١ والأغانى ٧٣٩/٢ وبلوغ الأرب ٣٧٩/٢ ومعجم البلدان ٢٣١/٤

(٤) المؤلف والمختلف الآدمى ١٦٣

أَعْنَقَهَا، وَقَالُوا إِنَّهُ سَمِيَ الْخَطْفَى لِقَوَاهُ هَذَا ،

يَرْفَعُنَ بِاللَّيْلِ إِذَا مَا أَسْدَفَا
أَعْنَقَ جِنَّانٍ وَهَامًا رُجَفَا
وَعَدَقًا بَاقِيَ الرَّسِيمِ خَيْطَفَا^(١)

وشبهه بعض الشعراء خيلهم السريعة
الضادرة بالسعالى كقول عمرو بن
الأيهم التغلبى :

وقراهن شُرْبَا كَالسَّعَالَى

يتطلعن من ثغور نِقَابِ

٢ - تشكها

رووا كثيرا من الأقاصيص عن تشك
الجن لهم بصور شتى ، ومنها أن عبید
ابن الأبرص سافر فى ركب من بنى أسد ،
فبيناهم يسيرون إذا هم بشعبان ضخم
ينقلب على أرمضاء فاغرافاه من العطش ،
وكانت مع عبید فضلة من ماء ، فنزل
فستى الشعبان حتى روى واستنعش ،
فانساب فى الرمل وتوارى .

فلما كان الليل ونام القوم نَدَّتْ
رواحلهم ، فقام كل واحد يطلب راحلته ،

فتفرقوا ، وبيننا عبید وحده وقد أيقن

بالهلكة إذا هو بهاتف يهتف به :

يا أيها السارى المفضل مَذْهَبُهُ
دونك هذا البكر منا فارْكَبُهُ

وبكرك الشارد أيضا فاجْنُبُهُ
حتى إذا الليل تجننى غيْهَبُهُ
فحط عنه رحله وسيبُهُ

فقال له عبید : يا هذا المتكلم نشدتك
الله إلا أخبرتنى من أنت ؟ فقال :

أنا الشجاع الذى ألفيته رَمْضًا
فى قف-رة بين أحجار وأعقاد
فجذت بالماء لما ضنَّ حامله
وزدت فيه ولم تبخل بإيجاد
الخير يبقَى وإن طال الزمان به
والشد أخبرت ما أوعيت من زاد

فركب عبید البكر ، وجنب بكره ،
فبلغ أهله مع الصبح ، فنزل عن مركبه
وحل رحله وخلاه ، فغاب عن عينه ، ثم
جاء إخوانه الذين سلموا بعد ثلاث ليال^(٢)

(١) البيان والتبيين ٢٨٣/١ والحيوان ٥٣/٦ العنق : السير الشديدة . الرسيم : أشد منه . خيطف

سريع .

(٢) الأغاني ٨٩/١٩ أعقاد : جمع عقد وهو كشيء الرمل .

ولا شك أن هذا الخبر وأمثاله بين الافتعال والوضع ، والغرض منه الترغيب في عمل الخير ، وقد نقله أبو الفرج من كتاب لابن الكلبي عن أبيه ، وعلق عليه بقوله : وهو خبر مصنوع يتبين التوليد فيه .

كذلك زعموا أن الجن تتشكل أحياناً في صور حيات ، كما ترى في القصة التي ذكرها الدميري ، إذ روى أن فتى قتل حية ، ثم اضطربت عليه فقتلته لأنها جنية^(١) .

وإذا كان من الطبيعي ألا يصدق أحد هذه المزاعم كما نفى أبو الفرج الأصفهاني قصة عبيد والشعبان فإن ابن هشام علق على قول كعب بن زهير الذي شبه فيه تقلب المرأة بتلون الغول^(٢) .

فما تدوم على حال تكون بها
كما تلون في أثوابها الغول

فقال : إن للعرب أمورا تزعمها لاحقيقة لها ، منها أن الغول تتراعى لهم في الفلوات ، وتتلون ، وتضلهم

عن الطريق ، وإلى ذلك ذهب أبو عبيدة ، فقد سأله رجل عن قوله تعالى : « طلعها كأنه رؤوس الشياطين » كيف ذلك ؟ وإنما يقع الوعد والوعيد بما عرف مثله ، وهذا لم يعرف ، فأجابه بقوله : إن الله تعالى كلم العرب على قدر عقولهم ، أما سمعت قول امرئ القيس :

أيقتلني والمشرقي مضاجعي
ومسنونة زرق كأنياب أغوال
وهم لم يروا الغول قط ، ولكن لما كانت تهولهم أوعدوا بها^(٣)

فالغول أو الجنى المتشكل وهم أو تخيل ، ولذلك سموا الغول الخيتعور ، وهو كل شيء لا يدوم على حال واحد ، ويضمحل ، كالسراب والهباء ، قال الشاعر :

كل أنثى وإن بدالك منها
آية الحب حبها خيتعور

أما المسعودي فقد علل لهذا الوهم تعليلاً حسناً مقبولاً في قوله : « وقد تنازع الناس في المهواتف والجنان .. وإن مات ذكره

(١) حياة الحيوان للدميري ١ / ٣١٩

(٢) جهرة أشعار العرب للقرشي ٣٠٨

(٣) شرح بافت سعاد لابن هشام

المعرب وتنبيء به من ذلك إنما يعرض لها
من التوحد في القفار، والتفرد في الأودية ،
والسلوك في المهامه الموحشة ، لأن الإنسان
إذا سار في هذه الأماكن رُوع ووجل وجبن ،
وإذا هو جبن داخلته المظنون الكاذبة ،
والأوهام المؤذية السوداء الفاسدة ،
فصورت له الأصوات ، ومثلت له الأشخاص ،
وأوهمته المحال ، كما يعرض لدوى
الوماوس لأن المتفرد المتوحد
يستشعر المخاوف ، ويتوهم المتالف ، ويتوقع
الحتف ، فيتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف
به ، واعتراض الجان له^(١) .

٣ - مساكنها واستعاذتهم بها

اعتقد بعضهم أنها تخالطهم في كل
مكان ، فاستعاذوا بها واحتتموا ، وقد أخبر
القرآن الكريم بذلك فقال تعالى : « وَأَنَّهُ
كَانَ رَجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ
الْجِنِّ ، فزادوهم رَهَقًا » .

وقد أفاض الشعراء في هذا ، قال
شاعر :

هيا صاحب الشجراء هل أنت مانع
فإني ضيف نازل بفنائك

وإنك للمجنان في الأرض سيدى
ومثلك آوى في الظلام الصعالك
وزعموا أن أحدهم إذا مرض وطالت
علته أن الجن مسته عقوبة له على قتله
حية أو يربو عاً أو قنفذاً أو أرنباً أو غزالاً ،
لأنهم من مراكب الجن وأحبائها^(٢) ، فقدموا
الدية للجن جوارق ملاء بالحنطة والشعير
والتمر على جمال من طين ، ووضعوها
بجانب جحر إلى جهة الغرب وقت
الغروب ، فإذا أصبحوا ووجدوا الجمال
على حالها قالوا إن الدية لم تقبل ، فزادوا
عليها ، وإن رأوها تساقط وتبدد ما عليها
من حب قالوا إنها قبلت ، واستبشروا
بشفاء المريض ، وفرحوا وضربوا بالدف ،
قال بعضهم :

قالوا وقد طال عنائي والسقم
احمل إلى الجن جمالات وضم

قد فعلت والسقام لم يـرِم
فبالذى يملك برئى أعصم

(١) مروج الذهب للمسعودى ١ / ٢٥٤

(٢) بلوغ الأرب ٢ / ٢٩٩

أما مساكنها فهي الفلوات ، وقد أكثروا
من زعمهم أنهم سمعوا عزيها هنالك^(١) ،
ولعل الذى خيل إليهم هذا رجع الأصوات
وصدى الرياح المتناوذة ، والعود القاصفة ،
والوحوش المصوتة فى بيدااء كلها وهاد
ونجاد.

وبقى هذا التخيل إلى ما بعد العصر
الجاهلى ، فجران العود النميرى يقول فى
قصيدة غزلية قصصية :

حملن جران . العود حتى وضعنه

بعلياء فى أرجائها الجن تعزف^(١)

قال الأصمعى : « إنما العزف من الريح
على الرمل ، فتسمع لها صوتاً ، والجن .
لا تعزف ، ولكن الأعراب قالوا بجهلهم^(٢) »

٤ - صحبة وزواج

راجت أقاصيص زواج الإنس بالجن ،
وربما كان رواج هذا الزواج عائداً إلى
رواج السحر والخفاء ، وزواج ما كان
يتحدث به السمار والرواة من غرائب
تشوق السامعين .

وقد أفرد ابن النديم فى كتابه الفهرست
ثبتاً بأسماء عشاق الإنس للجن ، وعشاق
الجن للإنس ، وعلق عليها بقوله : وكانت
الأسمار والخرافات مرغوباً فيها ، مشتبهة
فى أيام خلفاء بنى العباس ، لاسيما فى أيام
الخليفة المقتدر ، فصنف الوراقون وكذبوا
وكان ممن يفتعل ذلك رجل يعرف بابن
دلان وآخر يعرف بابن القطار^(٣) .

أكثرنا من ذكر صحبتهم للجن
ومعاشرتهم ومخالطتهم لها ، افتخاراً بشجاعتهم
وقدرتهم على ما يعجز الناس عنه ، قال عبيد
ابن أيوب العنبرى إنه رأى نار الغول
التي كانت توقدها للغريب المتقنر ليسانس
بها ويهتدى إليها :

فلله در الغول أى رفيقة

لصاحب قفر فى المهامه يذعر

أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت

حوالى نيراناً تلوح وتزهر^(٤)

(١) و (٢) ديوان جران العود النميرى ١٢/١٩

(٣) الفهرست ٤٢٨

(٤) الحيوان ٤٢/٥ و ٥٠/٦ وفى مروج الذهب ٢٥٣/١ أن القائل أبو المطراب .

وزعموا أن ابن الحارث الضبي أوقد
ناره بالصحرَاء، فطرقته الجن، فدعاهم
إلى الطعام فأبوا :

أتوا ناري فقلت منون قالوا
سراة الجن، قلت عموايظلاما
فقلت إلى الطعام فقال منهم
زعيم نحسد الإنس الطعاما

وأحسن ما قيل في معنى الحسد أنهم
لا يأكلون ما يأكل الناس وإن كانوا
يشتهونه^(١).

وزعموا أن عمرو بن يربوع تزوج
الغول، وأولدها بنين، ولهذا سموا بني
السَّعْلاة^(٢).

وزعموا أن عبيد بن أيوب العنبري
حدث عن نفسه أنه تزوج الغول، وقال :

علام ترى ليلى تعذب بالمني
أخا قفرات كان بالذئب يأنس
وصار حليل الغول بعد عرارة
صفيًا وربته القفار البسابس^(٣)

(١) الحيوان للجاحظ ١٥٣/٤ و ٦٠/٦

(٢) شرح أدب الكاتب لابن السيد

(٣) الحيوان ٥١/٦ العرارة : النساء يلدن الذكور البسابس : القفار الحالية

(٤) الأغاني ١٨ / ٢٠٩

(٥) الحيوان ٧٢/٦ ولأغاني ٢٠٩/١٨ ومعجم البلدان ٢٣١/٤ والمؤتلف والمختلف ١٦٣

والأمثلة على هذا كثيرة .

٥ - قتلهم الغول

ادعوا أن الغول إذا ضربت ضربة واحدة
مئات، فإن أعاد الضارب ضربة أخرى
قبل أن تموت فإنها لا تموت، قال تائبط:
شرا إنه لقي الغول فراودها عن نفسها
فأبى فقتلها

فطالبتها بضعها فالتوت
فكان من الرأي أن تقتل^(٤)

وقال شاعر:

فثنيت والمقدار يحرس أهله
فليت يميني قبل ذلك شلت

وينسبون أبياتاً في هذا إلى أبي البلاد
الطهوي وتائبط شرا^(٥).

٦ - الجن في الأدب اليوناني

لم يشذ العرب بتخيلهم للجن وتصورهم
أشكالها وادعاهم مخالطتها، فإن الأدب
اليوناني حافل بهذا التخيل والأساطير
الإغريقية ملاءى بأخبار وأحداث عن

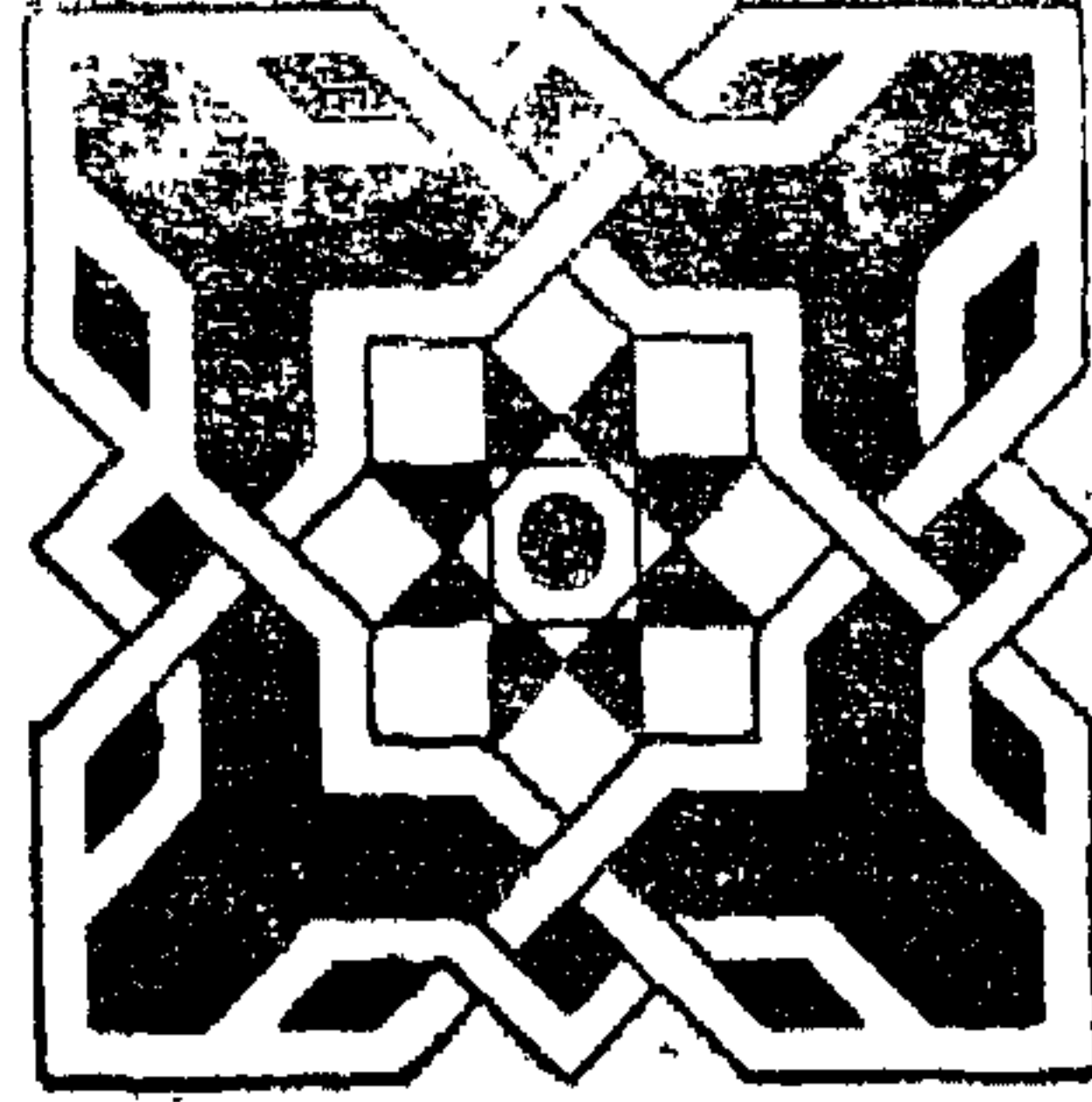
الآلهة وأنصاف الآلهة وعرائس البحار والبشر في ثنايا الإلياذة والأوديسة ، وفي
شعر هسيود وروايات سوفوكليس ،

وفي زعمهم أن من مميزات سكان الأولمب

المقدرة على التشكل بهيئة إنسان أو حيوان
أو نبات أو جماد ، فليس عجيباً أن مثّل
هومير بعض أساطير الإغريق في صور
شعرية شائقة ، وليس عجيباً أن عمّرت
أساطيرهم بأقاصيص الغرام بين الآلهة

ويوريبيدس
وما قصة غرام أفروديت بأودونيس
إلا صورة من قصة الجنية العاشقة في
تصوير شعري رائع .

احمد الحوفي
عضوالمجمع



الملاحم

بين اللغة والأدب والتاريخ

للاستاذ محمد شوقي أمين

١ - شاعت كلمة « الملاحم » في العصر الحديث ، اسماً لتلك القصائد المطولة التي تصور أحداثاً من التاريخ ، تتجلى فيها بطولة الحرب والقتال ، عليها مسحة من الخيال تنقل أو تخفف ، وبين تضاعيفها تساق الأساطير بتملر يسير أو قدر كبير .

٢ - أما في اللغة ، فالملاحم جمع ملحمة على وزن مدرسة ومحكمة ، والملحمة : الواقعة العظيمة من وقائع الحروب ، إذ يتلاحم فيها الجيشان المقتتلان . يقول « بشار بن برد » :
في كل يوم لنا عيد وملحمة
حتى سبأنا بأسياض وأغمار

وكانت تستعمل « الملحمة » في معنى الفتن التي تقضي إلى الحرب ، ومن ذلك ما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عمران بيت المقدس : خراب يثرب ، وخراب يثرب : خروج الملحمة ، وخروج الملحمة : فتح القسطنطينية » .

وقد وُصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه « نبي الملحمة » وقيل في تفسير هذا الوصف : إنه نبي القتال ، لمجاهدة الكفار والمشركين ، ولكن بعض المفسرين عدلوا بكلمة « الملحمة » في وصف الرسول إلى معنى

وقد تناول كثير من الباحثين والنقاد موضوع « الملاحم » في الأدب العربي ، والجمهرة من هؤلاء انتهوا إلى أن هذا الأدب قد خلا من « الملحمة » : وثمة فريق يجادلون في ذلك الرأي : على أن الذين اتفقوا على خلو الأدب العربي من الشعر الملحمي ، اختلفوا في بيان العلل والأسباب ألواناً من الخلاف :

ومدار البحث هذه الأسئلة الثلاثة :

(أ) علام تدل كلمة « الملاحم » في أصولها اللغوية ، وفي استعمالها على مدى العصور ؟

(ب) من أين جاءت كلمة « الملاحم » التي أصبحت الآن اسماً لتلك القصائد المطولة للتصنية المعروفة في آداب بعض الأمم ؟

آخر ، وهو التأليف والإصلاح ، فقالوا :
نبي الملحمة ، أى نبي الإصلاح . فالكلمة هنا
مأخوذة من : لحم الأمر ، بمعنى أحكمه ،
وألف بين أجزائه ، فإذا هو متماسك متين .

وكما استعملت كلمة « الملحمة » فى معنى
الوقعة العظيمة ، استعملت فى معنى المجادلة
والمناقضة . وفى الجزء الأول من كتاب
« الإمتاع والمؤانسة » يقص « أبو حيان
التوحيدى » على أحد الوزراء حديث المناقشة
التي جرت بينه وبين « ابن عبيد » فى تفضيل
الحساب على الإنشاء ، فيقول له الوزير :
هذه ملحمة منكورة !

وفى « جمهرة أشعار العرب » للقرشى
سبع قصائد تسمى : « الملحومات » وهذه بضم
الميم ، مفردها ملحمة بضم الميم ، وهى غير
الملحمة المفتوحة ميمها المجموعة على ملاحم
وإن كانت تلك القصائد سميت « الملحومات »
لأنها محكمة النظم ، ملحمة النسيج ، كما سميت
الملحمة المفتوحة الميم بمعنى الفتنة والقتال ،
لما يكون فى ذلك من تلاحم الجيوش . فالاشتقاق
فى كلتا الكلمتين من منبع واحد ، والمعنى
فى كليهما قريب من قريب .

* * *

٣- هذا معنى الملحمة فى اللغة ، وفى
مناحي استعمالها اللغوى ، والأدبى ، فهل
استعملت بفتح الميم اسماً لنوع من الشعر ؟

لقد أسفر التتبع والاستقصاء - جهد
المستطاع - عن أن أقدم نص يدل على

استعمال كلمة « الملاحم » لنوع من الشعر ،
هو نص « الجاحظ » فى كتابه « البيان
والتبيين » ، وهو يكشف لنا عن أول شعر
ملحمى فيما نظن :

قال « الجاحظ » :

« فلما جن أبو يس كان يهذى بأنه سيصير
ملكاً ، وقد ألهم ما يحدث فى الدنيا من الملاحم ،
وكان أبو نواس والرقاشى يقولان شعراً على
لسانه على مذاهب أشعار ابن أبى عقب الليثى »
وفى « الأغانى » روى « أبو الفرج عن غيره
هذا القول :

« ثلاثة لم يكونوا قط ، ولا عرفوا :
ابن أبى العقب صاحب قصيدة الملاحم ، وابن
القرية ، ومجنون بنى عامر . . . »

وصاحب « كشف الظنون » يقول عن
« ابن أبى العقب » أن هذا الرجل كان معلم
الحسن والحسين : وملحمته منظومة لامية
أولها :

رأيت من الأمور عجيب حال
لأسباب يسطرها مقالى

ما هذه « الملاحم » التي يكتب « الجاحظ »
أنها كانت على مذاهب « ابن أبى العقب » ؟

لقد عبر « أبو الفرج » فى الأغانى عن هذا
الرجل بقوله : صاحب قصيدة الملاحم .
وإذن فالملاحم شعر . . . فما نوعه ؟

تفسير هذا النوع من الشعر يبين من التعليق
على نص « الأغانى » فى تعريف كلمة الملاحم

بأنها أصبحت اسماً لعلم خاص تعرف به
أوقات الفتن والوقائع بدلائل النجوم . وقد
جاء هذا التعريف في كتاب « أبجد العلوم »
لصديق حسن خان .

فالشاعر « ابن أبي العقب » كان ينظم شعراً
يضمينه وصف الأحداث والوقائع ، متوقفاً
أن تكون في قريب من الزمن أو بعيد ، معولاً
في ذلك على استدالات فلكية .

وهذا يتوضح في غير شك من القصيدة التي
ساقها « الجاحظ » معزوة إلى أبي نواس
يتكلف فيها هذا المذهب الشعري ، على جهة
السخرية ، لكي يدعيها « أبو يس » الموسوس
لنفسه ، ويندعيها في الناس ، حتى يقولوا عنه إنه
يستثنى ما يكون في الغد المجهول .

ويبدو أن الفقهاء كانوا يستنكرون هذه
الملاحم ، لأنها رجم بالغيب ، والله لا يظهر على
غيبه أحداً . وينسب إلى الإمام « أحمد
ابن حنبل » - كما في تاريخ الطبري - أنه قال :
« ثلاثة لا أصل لها : التفسير ، والملاحم ،
والمغازي » .

أضف إلى ذلك أن « السيوطي » يقول في
« حسن المحاضرة » :

« يزيد بن حبيب - مفسر مصر - أول من
أظهر العلم بها من حلال وحرام ، وكانوا قبل
ذلك يتحدثون في الفتن والملاحم » .

* * *

٤ - لم يفت « البستاني » في مقدمة
« الإلياذة » أن يدرس كلمة « الملاحم » ،
بيد أنه علم شيئاً وغابت عنه أشياء ، وسبحان
من تفرد بالكمال .

ودونك قول « البستاني » :
لم يتصل بنا أن العرب وضعوا اسماً
لمنظومات الشعر القصصى ، من نظائر
الإلياذة ، إلا أن يكون ذلك ما استحدثه
أهل المغرب ، وسماه بعضهم : الملاحم ،
وهو ما يتضمن من المنظوم أحوال أمة أو
قوم ، وفصلت فيه وقائع الحروب والتاريخ .

وقف « البستاني » ببحثه وتحديدده عند
« أهل المغرب » ، على حين أن هذا النوع
من الشعر يرجع كما أسلفنا إلى عهد بعيد
عهيد ، إلى عصر « الجاحظ » كما جاء في
كتابه « البيان والتبيين » ، بل إلى « ابن أبي
عقب » الذي علم الحسن والحسين في
القرن الأول الهجري ، كما جاء في كشف
الظنون ، وإن كان صاحب الأغاني «
ينبئ رجود الرجل على الإطلاق .

وفي كتاب « ابن أبي أصيبعة » أن
الرئيس « ابن سينا » تنسب إليه قصيدة فيما
يحدث من الأمور والأحوال عند قران المشتري
وزحل في برج الجدى بيت زحل ، وهو
أنحس البروج . وجملة ما قيل في هذه القصيدة

من أحوال التتر وقتلهم الخاق وخراجهم
للقلاع . وقد وأيناه في زداننا . وأرل هذه
القصيدة :

احذر بني من القران العاشر
وانفر بنفسك قبل نقر الناقر

ويضيف « ابن أبي أصيبعة » أن أحد التجار
أنشده قصيدة في هذا المعنى أولها :

إذا شرق المريخ من أرض بابل
واقترن النحسان فالخذر الخذر

ولا بد أن تجرى أمور عجيبة
ولا بد أن تأتي بلادكم التتر

وكان هذا الشعر الذي ينسب إلى « ابن
سينا » يدرج في نزع الملاحم ، ويطلق عليه
هذا الاسم ، كما نرى ذلك في مقدمة « ابن
خلدون » إذ عقد فيها فصلاً عنوانه : « فصل
في ابتداء الدول والأمم ، وفيه الكلام على
الملاحم ، والكشف عن مسمى الجفر » .

يقول « ابن خلدون » :

« ثم كتب الناس في حدثان الدولة منظوماً
ومثوراً ، ورجزاً ، ما شاء الله أن يكتبوه ،
وبأيدى الناس متفرقات منه ، وتسمى الملاحم ،
وبعضها في حدثان الدولة على العموم ،
وبعضها في دولة على الخصوص ، ووقفت
بالمشرق على ملحمة منسوبة لابن العربي
الحاتمي ، وسمعت أيضاً أن هناك ملاحم أخرى
منسوبة لابن سينا وابن عقبة . »

٥ - ولم تكن « الملاحم » مقصورة على
القصيد ، فقد نثرت بعد أن كانت منظومة ،

وهذا يستفاد من قول صاحب « كشف
الظنون » عن ابن أبي عقبة : أن « ملحمة
منظومة » .

فما الملاحم المنشورة ؟

في ذيل كتاب « تذكرة داود الأنطاكي »
حديث عن الملحمة ، تناول فيه الأشراف
والعلامات التي تهيء لوقوع الأحداث ، وتدل
عليها ، فالغالب أن كلمة « الملاحم » تطلق
على كل حديث يتناول التكون بالمستقبل ،
ويبنى عليه تصوير الوقائع والأحداث التي
تكون . وقد نقلنا من قبل كلمة الإمام « ابن
حنبل » وكلمة « السيوطي » ، وفيهما استعملت
كلمة « الملاحم » دون تعيين لدلولها من شعر
أو نثر . .

٦ - من مجموع هذه النصوص التي أجملنا
اقتباسها ، والإشارة إليها ، بل من أمثالها في
شئى المراجع والأصول ، بإجمال أو تفصيل ،
ولم نشأ أن نمضي في نقلها ، إرادة الاختصار
والاقتصار - تتجلى لنا الحقائق الآتية :

أولاً - أن كلمة الملاحم أطلقت على نوع
من الشعر ، يصف ما يجري على الدول والأمم
من أحداث وشجون ووقائع ، مما ينضاف
إلى المستقبل ، من طريق الاستدلال عليه
بأحكام النجوم ، كما في نصوص « الجاحظ » ،
وصاحب « الأغاني » و « ابن خلدون » .

ثانياً - أن هناك قصائد مطولة وغير
مطولة ، على هذا النحو ، سميت « الملاحم » ،
وأثبتت كتب الأدب والتاريخ وجودها ،

ونقلت طرفاً منها ، كقصائد من مختلف
في تسميته : أهر « ابن عقب » أو « ابن
أبي عقب » ولم ينفرد هو بها . فقد نظم على
هذا الغرار « ابن سينا » و « ابن العربي » .

ثالثاً - أن تاريخ إطلاق كلمة « الملاحم »
على هذا النوع من الشعر ، يرتد إلى القرن
الهجري الأول ، وأنه مسجل فيما دونه
المؤلفون في القرن الهجري الثاني . كما أُلحنا
إلى ذلك فيما عرضناه من النصوص ، فإن كان
هذا الإطلاق في القرن الأول على جهة الظن
والاحتمال ، للشاك في حقيقته ، فهو في
القرن الثاني على جهة اليقين والثبوت ،
لوروده في كتاب « البيان والتبيين » .

رابعاً - أن الإطلاق العصري لكلمة
« الملاحم » على معنى القصائد المطولة التي
تتناول التاريخ الأسطوري للأمم والدول ،
كإلياذة هوميروس ، لا يختلف عن الإطلاق

العربي القديم ، إلا في شيء واحد : هو أن
الملاحم العربية القديمة كانت تقص ما عسى
أن يكون من أحداث الأمم والدول في المستقبل
المغيب . وأما الملاحم في آداب الأمم الأخرى
فتتناول قصص تاريخها الماضي وما يشيع
فيه من أساطير :

بعض المراجع :

- البيان والتبيين ج ٢ - ٣٦ - ٢٣١
الأغاني ج ٢ - ٩
ديه ان بشار ج ٢ - ٣٠٣
تاريخ الطبري ج ٢ - ٦٠٧
الإمتاع والمؤانسة ج ١ - ٩٧
الإتقان للسيوطي ج ٢ - ٢٢٠
حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ - ١٣١
عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ج ٢ - ١٦
مقدمة الإلياذة - البستاني
ذيل تذكرة داود

محمد شوقي أمين
عضو المجمع

تحقيق لسان العرب

— ٨ —

للسان عبد السلام هارون

في الجزء الرابع عشر

٩٢٨ - (غضل) ٩٠ س ١٣ وببيروت

٤٩٧ قول الشاعر :

كَأَنَّ زَمَامَهَا أَيْمٌ شَجَاعٌ

ترادُّ في غصونٍ مُغْضِئَةٍ

والصواب « ترادُّ » كما في المخطوطة ،

وكما هو في اللسان (راد) والمقاييس

(أيم) . ترادَّت الحية : اهتزت في

انسياها .

٩٢٩ - (غل) ١٤ س ١٧ وببيروت

٥٠١ والمخطوطة أيضاً قول ذي الرمة

يصف الثور والكناس :

يحفُّره عن كلِّ ساقٍ دقيقةٍ

وعن كلِّ عرقٍ في الثرى متغلغلٍ

وإنما يحفر الثور هنا لينبش عن سيقان

النبت المدفونة في الأرض ، لا يؤثر دقيقةٌ

على جليلة ، وكذلك يبحث عن العروق

التي تغلغل في باطن الأرض . والوجه

فيه : « عن كل ساقٍ دفينَةٍ » ، كما هو

في ديوان ذي الرمة ٥٠٥ .

٩٣٠ - (غول) ٢٢ س ٤ : « والغول

بعد المغازة ، لأنه يغتال من يمرُّ به » .

وفي المخطوطة : « بعد المقاره » ، وصوابهما

« المفازة » بالفاء والزاي ، كما في

الصحيح . وعلى ذلك الصواب وردت في

طبعة بيروت ٥٠٨ .

٩٣١ - (غيل) ٢٥ س ٢٢ وببيروت

٥١٢ قول الشاعر :

* حجارةٌ غيلٍ وارشات بطُحْلِبِ *

وهو عجز بيت لامرئ القيس في

ديوانه ٤٧ . صدره :

* ويخطو على صُمِّ صِلاب كأنها *

والصواب : « وارسات » بالسين -

المهملة ، كما في الديوان واللسان (ورس) .

وجاء في المخطوطة : « وارسات » بالسين
المهملة ، ووضع فوق السين سكون ، وهو
علامة من العلامات القديمة لإهمال الحرف
كما أشرت إلى ذلك في كتابي « تحقيق
النصوص » فظنها القارئون نقطاً يعبر عن
السين ، وليس كذلك . والوارسات :
المصفرات . شبه حوافر الفرس في صلابتها
وملاستها بحجارة ماء قد علاها الطحلب
فاصفرّت واملاست وصلبت .

٩٣٢ - (فتل) ٢٩ س ١١ وبيروت
٥١٥ والمخطوطة ، قول لبيد :

* حَرَجٌ مِنْ مِرْفَقِيهَا كَالْفَتْلِ *
وصوابها : « فِي مِرْفَقِيهَا » كما في
الديوان ١٧٥ والمقاييس (بطن) .
وصدره :

* قَدْ تَجَاوَزَتْ وَتَحْتَى جَسْرَةً *

وفي المقاييس : « قَدْ تَبَطَّنَتْ » .

٩٣٣ - (فسكل) ٣٤ س ١٣ وبيروت
٥٢٠ : « ثُمَّ السَكَيْتَ ، وَهُوَ الْفِسْكَالُ
والفاشور » .

وفي المخطوطة : « الفاشور » بدون
نقط للفاء ، وصوابها « القاشور » بالقاف

كما في الصحاح . وفي اللسان (قشر) :
« والقاشور : الذي يَأْتِي فِي الْحَبْلَةِ آخِرِ
الْخِيلِ ، وَهُوَ الْفَسْكَالُ » .

٩٣٤ - (فضل) ٤١ س ٨ وبيروت
٥٢٦ والمخطوطة أيضاً : وقال ابن عثمة :
لَكَ الْمَرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا

وَحَكَمَكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ

وموضع الخطأ في اسم الشاعر ، فالصواب
أَنَّهُ « ابْنُ عَنَمَةَ » ، وهو أحد شعراء -
المفضليات والأصمعيات . واسمه عبد الله
ابن عَنَمَةَ بن حُرْثَانَ بن ثعلبة بن ذؤيب
ابن السَّيِّدِ بن مالك بن بكر بن سعد بن
ضَبَّةَ . وهو شاعر إسلامي مخضرم ، شهد
القادسية . والبيت الذي أنشده ابن
منظور هو السادس من الأصمعية الثامنة التي
يرثي بها بسطام بن قيس . انظر الأصمعيات
٣٧ . وقد سبقت الإشارة إليه في التحقيق
رقم ٤٠٢ .

٩٣٥ - (فلل) ٤٧ س ١٩ وبيروت
٥٣٢ والمخطوطة أيضاً : « وَاسْتَفْلَ الشَّيْءَ :
أَخَذَ مِنْهُ أَدْنَى جِزْءٍ لِعُشْرِهِ » . وليس للعُسر
هنا وجه ، وإنما هي « كُشْرِهِ » كما في
القاموس .

٩٣٦ - (قتل) ٤٨ س ١٣ وببيروت
٥٣٢ والمخطوطة كذلك ، قول ابن مقبل :

فمرت على أضراب هِرَّ عشيَّة
لها توأبانيَّانٍ لم يتفلا

و « أضراب » صوابها « أظراب »
بالطاء المشالة ، كما في الديوان ٢١٢ والمقاييس
١ : ٣٦٥ والصحاح (تأب) واللسان
(تأب) . والأظراب : جمع ظرب ككتف
وهو الجبل الصغير . و « هِرَّ » بالكسر : اسم
موضع . وقد سبق الكلام على البيت في
التحقيق ٥٩٩ .

٩٣٧ - (قبل) ٥٢ س ١٩ وببيروت
٣٥٦ والمخطوطة : « وقال الخليل : قبل
وبعد رفعا بلا تنوين لأنهما غائيان » ،
والوجه « غائتان » كما في التهذيب ٩ :
١٦٢ وهو المعروف في اصطلاح النحويين .
وفي كتاب سيبويه ٢ : ٤٤ : « فأما ما كان
غاية نحو قبل وبعد وحيث فإنهم يحركونه
بالضمة .

وسميت الظروف المقطوعة عن الإضافة
غايايات لأن أصل استعمالها أن تستعمل
مع ما أضيفت إليه ، فلما اقتطع عنهن -

ما أضيفن إليه وسكت عليهن صرن حدوداً
وغايايات » .

٩٣٨ - (قبل) ٦٣ س ١١ وببيروت
٥٤٦ قول ابن مقبل :

يُرْخَى العِذارُ وإن طالَتْ قبائِلُهُ
عن حُزَّةٍ مثل سِنْفِ المَرْخَةِ الصَّغِيرِ
والخطأ في « حُزَّة » فإن صوابها
« حَشْرَة » كما في الديوان ٩٧ والمعاني
الكبير ١١٣ . والحشرة بالفتح صفة للأذن ،
وهي الرقيقة المنتصبة . ومنه قول النمر
ابن تولب :

لها أذن حَشْرَة مَشْرَة
كإعيطٍ مَرخٍ إذا ما صَفِرُ
كما يقال أيضاً أذن حَشْرٌ . قال
ذو الرمة :

لها أذن حَشْرٌ وذِفْرَى لطيفةٌ
وخذ كمرآة الغريبة أسججُ
وجاءت في المخطوطة : « حَرَة »
بهذا الضبط وبدون أسنان .

٩٣٩ - (قتل) ٦٨ س ١٥ وببيروت
٥٥١ : « أبو عمرو : المجرب والمجرس
والمقتل كله الذي جرب الأمور وعرفها » .

وفي المخطوطة : « المحرَّب » بالحاء المهملة موضع « المجرب » ، وكلاهما محرف ، والصواب « المجرَّد » براء مشددة مفتوحة بعدها ذال معجمة ، كما في التهذيب ٩ : ٥٥ واللسان نفسه في مادة (جرد) وفيه : « أبو عمرو : هو المجرَّد والمجرَّس » . وفيه أيضاً : « ابن الأعرابي : جرَّده الدهر ودلَّكه وديَّته ونجَّده وحنَّكه » . وفي اللسان - (جرس) : « ورجل مجرَّس ومجرَّس : مجرَّب للأمر » .

٩٤٠ - (قرمل) ٧٣ س ٩ وببيروت ٥٥٥ : « القرملة : شجرة ضعيفة لا ذرى لها ولا سُترة » . وجاءت « ذرى » في المخطوطة مضبوطة بفتحة فوق الراء فقط وصواب ضبطها « ذرى » بفتح السدال لا ضمها . والذرى : ما كنك من الريح الباردة من حائط أو شجر . ويقال فلان في ذرى فلان ، أى فى ظله .

٩٤١ - (قسطل) ٧٥ س ٤ وببيروت ٥٥٧ قول الشاعر :

كأنَّ عليها القسطلانيَّ مُخْمَلاً
إذا ما التقت شَفَاتُه بالمناكب

وفي المخطوطة : « شفاته » بالفاء والتاء والذي في التهذيب ٩ : ٣٩١ : « إذا

ما اتَّقت شَفَاتُه بالمناكب » . والشَّفَان : الريح الباردة مع المطر .

٩٤٢ - (قول) ٩٢ س ١ وببيروت ٥٧٣ قول رؤبة :

فاليوم قد نَهْنَهْنَى تَنَهْنَهْنَى
وأوَّل حلمٍ ليس بالمسْفَه

ومع ما يستتبعه ضبط « أوَّل » من انكسار الوزن ، فيه خطأ الرواية ، صوابها « وأوَّل » كما ضبطت بذلك في المخطوطة ، وهو الثابت في ديوان رؤبة ١٦٦ . والأوَّل هنا : الرجوع . يعنى أنَّ حلمه عاد إليه في مكبره واحتناكه بالسَّن . فهذا هذا .

٩٤٣ - (قول) ٩٢ س ٥ وببيروت ٥٧٣ والمخطوطة : « وسمعت الكسائي يقول :

في قراءة عبد الله : ذلك عيسى بن مريم قال الحق الذي فيه يمترون . فهذا من هذا . كأنه قال : قال قول الحق » .

وصواب رواية هذه القراءة : « قال الحق » أى قول الحق ، كما في التهذيب ٩ : ٣٠٤ وتفسير أبي حيان ٦ : ١٨٩ حيث قال : « وقرأ ابن مسعود والأعمش : قال بألف ،

ورفع اللام » . وزاد ابن خالويه في شواذ القراءات ٨٤ قراءة « قال الله » لابن

مسعود أيضاً، وفيه : « قال الحق ، وقال
الله ، بضم اللام ، ابن مسعود » . وأقول :
فلا عبرة إذن بما ورد في كتاب المصاحف
للسجستاني ص ٦٤ من ضبط « قال »
بالفتح ضبط قلم لا عبارة ، أو بالأحرى
ضبط مطبعة تخطئ وتصيب .

وكلمة « قال » الثانية في عبارة ابن
منظور مقحمة تكراراً . وصواب العبارة :
« كأنه قال : قول الحق » .

٩٤٤ - (قول) ٩٣ س ١ وبيروت
٥٧٣ والمخطوطة ، قول الراجز :
وابتدأت غضبي وأمّ الرّحال
وقول لا أهل له ولا مال

والشاهد فيه « قول » على لغة بني
أسد في بنائه للمجهول بمعنى « قيل » .
وصواب « أمّ الرّحال » « أمّ الرّحال » ،
كما في تهذيب اللغة ٩ : ٣٠٥ . والرّحال
علم من أعلامهم ، به سمى عدد من الصحابة
والتابعين . ومن شعرائهم : الرّحال بن
عزرة .

على أن الرواية في تهذيب اللغة ، وكذا
في المنصف ١ : ٢٥٠ والمحتسب ١ : ٢٤٥
« وابتدلت غضبي » .

٩٤٥ - (قيل) ٩٨ س ٨ وبيروت
٥٧٩ والمخطوطة أيضاً قول الراجز :
يسقين رفهاً بالنهار والليل
من الصّبح والغبوق والقيل
والرفه في ورد الإبل إنما هو بكسر الراء .
وفي اللسان : « الرفه بالكسر : أقصر -
الورد وأسرع ، وهو أن تشرب الإبل الماء
كلّ يوم » .

٩٤٦ - (كفل) ١٠٧ س ٢٥ وبيروت
٥٨٨ : « وفي حديث أبي رافع : ذلك
كفل الشيطان ، يعني معقده » . والصواب
« معقده » بتقديم القاف ، كما في المخطوطة .

٩٤٧ - (كلل) ١١٣ س ٦ وبيروت
٥٩٥ والمخطوطة : « ابن الجراح : إذا لم
يكن ابن العم لحاً وكان رجلاً من العشيرة
قالوا : هو ابن عمي الكلالة » إلى آخر
النص . والصواب « أبو الجراح » ، كما
في التهذيب ٩ : ٤٤٨ . وفيه : « أبو عبيد
عن أبي الجراح » . وأبو الجراح هذا أحد
الأعراب الفصحاء الذين أخذت عنهم
اللغة . ذكره ابن النديم في الفهرست
٧٠ والقفطي في إنباه الرواة ٤ : ١١٤
والمرزباني في معجم الشعراء ٥١١ . وقد
سمّوه جميعاً أبا الجراح العقيلي .

٩٤٨ - (كلل) ١١٥ س ٢١ وببيروت
٥٩٥ والمخطوطة كذلك في تفسير قول
النايعة الجعدى :

بكرت تلوم وأميس ما كللتها
ولقد ضللتُ بذلك أى ضلال
« ما صلة كللتها أدعصتها » ولا وجه له ،
والصواب : « ما : صلة . كللتها أى عصيتها » .
كما في التهذيب ٩ : ٤٤٩ . وقوله « ماصلة »
أى زائدة .

٩٤٩ - (كلل) ١١٥ س ٢٢ وببيروت
٥٩٥ وكذا المخطوطة ، قول الشاعر :

* وفرحه بحصى المعزاء مكلول *
الصواب : « وفرجه » بالجيم كما في
التهذيب ٩ : ٤٤٩ والمفضليات ١٤٠ . والبيت
لعبد بن الطبيب في المفضليات . وهو في
صفة ثور . صدره :

* له جنابان من نَقْعٍ يشوره *

والفرج : ما بين قوائم الدابة . يقال
جرت الدابة ملء فروجها ، وهو ما بين
القوائم . ومنه قول امرئ القيس :

لها ذنبٌ مثل ذيل المروس
تسدُّ به فرجها من دُبُرٍ

٩٥٠ - (كلل) ١١٥ س ٢٢ وببيروت
٥٩٥ : « والكُلَّة : الصَّوْقَة ، وهى صوفة
حمراء فى رأس الهودج . وصواب الضبط .
« الكِلَّة » بالكسر ، كما فى التهذيب
والقاموس ، إذ صرَّح فى القاموس بضبطه
بالكسر . ووردت هذه الكلمة فى المخطوطة
مجردة من النقط والضبط ، ووجهها
ما أشرتُ إليه . وأما الكُلَّة بالضم فهى
تأنيث الكل ، وهى كذلك بمعنى التأخير .
والكُلَّة ، بالفتح : الشفرة الكالة .

٩٥١ - (كلل) ١١٧ س ٨ وببيروت
٥٩٦ والمخطوطة والتهذيب ٩ : ٤٥١ :
وأنشد قول العجاج :

* حتى يُحلُّون الربا الكلا كلا *

ونسبة هذا الشطر إلى العجاج غير -
صحيحة . وليس للعجاج ديوانه أرجوزة
على هذا الروى ، وإنما الأرجوزة لرؤبة فى
ديوانه ، وهى طويلة جداً بلغت أشطارها
٢٩٧ شطراً مائتين وسبعة وتسعين شطراً .
وشطرننا هذا هو الشطر ٣٩ فى ص ١٢٢
والرواية فيه :

* حَوْماً يُحلُّون الربى كلا كلا *

٥٩٢ - (كيل) ١٢٦ س ٨ وبـيروت
٦٠٥ قالت امرأة من طيِّ :
فَيَقْتُلْ خَيْرًا بامرئٍ لم يكن له

نِوَاءٌ ولكن لا تكايلَ بالدم
: أما هذه المرأة فهي بنت بهدل بن قرفة
الطائي ، كما في الحماسة ١ : ٢١٢ بشرح
التبريزي وحواشي المرزوقي ٢١١ .

و « خيرًا » لا وجه لها هنا ، وصوابها
« جبرًا » كما في المرزوقي والتبريزي .
قال المرزوقي : « جبر هو القاتل لولي هذه
المرأة » .

وأما « نِوَاءٌ » فهي خطأ في اللفظ وفي
الضبط ، وصوابها « بَوَاءٌ » بالباء المفتوحة
في أولها وبالنصب ، كما اتفق على ذلك
ضبط المرزوقي والتبريزي . والمراد : لم
يَكُن القَتِيل بَوَاءً لجبر ، أو لم يكن جبر
بَوَاءً لهذا المرء القَتِيل ، أي يكون دمه وفاءً
بدمه ويرتضى قتله بدلًا منه . والبَوَاءُ :
السَّوَاءُ . وفلانٌ بَوَاءٌ فلان ، أي كفؤُه إن
قُتِل به . وهذا كان دينَ الجاهليَّة . فلما
جاء الإسلام سقطت المكايلة في الدماء ،
فلا يقتل بدل الواحد إلا واحد ، شريفًا
كان أو وضيعًا . ورواية الرفع في « بَوَاءٌ »

إن صحَّت كان معناها أنَّ هذا القَتِيل
الشريف ، وهو بهدل بن قرفة ، لم يكن له
نظير ولا له كفيٌّ فيقتلَ به .

٩٥٣ - (مسل) ١٤٦ س ٢ وبـيروت
٦٢٣ والمخطوطة كذلك : قول أبي حية
النميري :

إذا ما تَغَشَّاهُ على الرَّحْل يَنْثَنِي
مُسَالِيَهُ عنه من وراء ومُقَدِّمِ

هو إنما يصف راكباً أدام السرى حتى
غلبه النوم فطفق ينثنى في عطفيه وناحيته
من مؤخر الرحل ومقدمه . وصوابه « إذا
ما نَعَشَنَاهُ » ، أي رفعناه وحاولنا إيقاظه .
سيبويه ١ : ٢٠٥ والصحاح واللسان (سيل)
والأزمنة للمرزوقي ١ : ٣٠٧ .
ومُسَالِيَهُ منصوب على الظرفية .

٩٥٤ - (ملل) ١٥٣ س ١٠ وبـيروت
٦٣٠ والمخطوطة أيضاً قول شبيب بن
البرصاء :

وهمَّ تَأْخُذُ النُّجُوءَ مِنْهُ
يَعْدُ بِصَالِبٍ أَوْ بِالْمُلَالِ

والنُّجُوءُ : الرعدة ، ومثلها « النُّحُوءُ »
بالحاء المهملة . والمُلَال بالضم : التقلُّب

من المرض أو الغم . و « يُعَدُّ » محرفة .
عن « يُعَلُّ » باللام كما في اللسان (نجا ،
نحا) . وَيُعَلُّ من العَلل ، وهو الشرب
الثاني . والصالب : الحمى الحارة ، وهي
الصداع أيضاً . وأنشد في اللسان (صلب) :
* يـرـوـعـك حـمـى من مُـلـالٍ وصـالـبٍ *

فالمراد أن الهمَّ تزداد وطأته بالصالب
والمُلال . وأشار في اللسان (نجا ١٨٠)
إلى رواية « يُعَكُّ » بالكاف . ورواية -
المقاييس ٤ : ١١ : « تَعَكُّ » ، وأتى به
شاهداً على قولهم : عَكَتْهُ الحمى ، أي
كسرتْه .

٩٥٥ - (ميل) ١٦١ س ١٨ وببيروت
٦٣٨ قول الجوهري : « الميلاء من الرمل :
العُقْدَةُ الضخمة ، والشجرة الكثيرة الفروع »
ووردت « العُقْدَةُ » في المخطوطة مهمة
الضبط . وضبطت في مطبوعة الصحاح
« العُقْدَةُ » بالضم أيضاً . ولا يمال في الرمل
عُقْدَةٌ وعُقْدٌ ، وإنما هي « العُقْدَةُ » بفتح
فكسر ، أو « العُقْدَةُ » بالتحريك ، كما
هو المجموع عليه في المعاجم المتداولة ، وفي

مقدمتها الصحاح نفسه ، وفيه : « والعُقْدُ
أيضاً بكسر القاف : ما تعقَّد من الرمل ،
أي تراكم ، الواحدة عقْدَةٌ . و كان أبو عمرو
يقول : العُقْدُ والعُقْدَةُ بالفتح » أي فتح
القاف . وفي اللسان : « والعُقْدُ : المتراكم
من الرمل ، واحدته عَقْدَةٌ ، والجمع أعقَاد .
والعُقْدُ : لغة في العُقْدِ » . وفي القاموس :
« وككتف ، وجبل : ما تعقَّد من الرمل
وتراكم ، واحدتهما بهاء » .

٩٥٦ - (نال) ١٦٢ س ١٩ وببيروت
٦٣٩ ، قول ساعدة بن جؤيَّة :
لَهَا خُفَّانٍ قَدْ ثُلِبَا ورَأْسُ
كَرَأْسِ الْعُودِ شَهْرَبَةٌ نَزُوْلُ

كما وردت كلمة « العُودُ » في المخطوطة
مضبوطة بضممة فوق العين وسكون فوق
الواو . وصوابها « العُودُ » بفتح العين ،
كما في ديوان الهذليين ١ : ٢١٦ وشرح
السكري ١١٤٧ ، والبيت في « صفة ضُبُع » ،
شبه رأسها في ضخامته برأس العود ،
وهو الجمل المسنن ، وأين العُود من العُود ؟!
فلا وجه للعُود هنا . وروى « شهرَبَةٌ »
و « شهرَبَةٌ » أيضاً ، وكلاهما بمعنى -
الكبيرة المسنة .

٩٥٧- (نخل) ١٧٦ س ٨ وببيروت
٦٥٣ قول الشاعر :

قَدَّرُ احْلِكَ ذَا النُّخِيلِ وَقَدْ أَرَى
وَأَبَى مَالِكِ ذُو النُّخِيلِ بِسَدَارِ
وجاء في المخطوطة : « وَأَبَى » بالنون
وتشديد الياء المفتوحة ، والصواب مافى
طبعنى بولاق وببيروت . و « أَبَى » هى
أَبْوَى ، قلبت الواو ياءً وأدغمت فيها عملاً
بقاعدة اجتماع الواو والياء وسبقت إحداهما
بالسكون . والبيت من شواهد الخزنة

٢ : ٢٧٢ بولاق ، وقد ورد فيها وفي شرح
ابن يعيش ٣ : ٥٦ ومجالس ثعلب ٥٤٤
وخطأ آخر هو فى الطبعين فقط ، وهو
ضبط « مَالِكِ » بكسر الكاف ، وإنما هى
« مَالِكِ » ، أى ليس لك ذو النخيل
بمنزل تقيم فيه .

٩٥٨- (نيل) ٢١٠ س ٨ وببيروت
٦٨٦ قول لبيد :

* ما جاوز النيل يوماً أهل إبليل *
وفي المخطوطة : « ما حاور » بالحاء
والراء المهملتين ، ولا معنى للمجازة
أو المحاورة هنا . وصوابهما « جاور »
بالجيم والراء ، كما فى التهذيب ١٥ :

٣٧٣ والخزنة ٢ : ٧٩ وشرح القصائد
السبع الطوال ٥٠٩ .

ونسبة البيت إلى لبيد ثابتة فى شرح
القصائد وفى التهذيب أيضاً . لكنه نسب
فى الخزنة إلى النعمان بن المنذر يعجب
لبيداً . وكذلك نسب إلى النعمان فى
الأغاني ١٤ : ٩٢ والفاخر للمفضل بن سلمة
٧٣٠ ولم يرد البيت ولا أخواته فى ديوان
لبيد أو ملحقاته . فنسبته إلى لبيد مقول
فيها .

ونص البيت فى الفاخر :
فقد رُميتَ بساءٍ لست غاسله
ما جاور النيل يوماً أهله النيلا
وفى الخزنة :

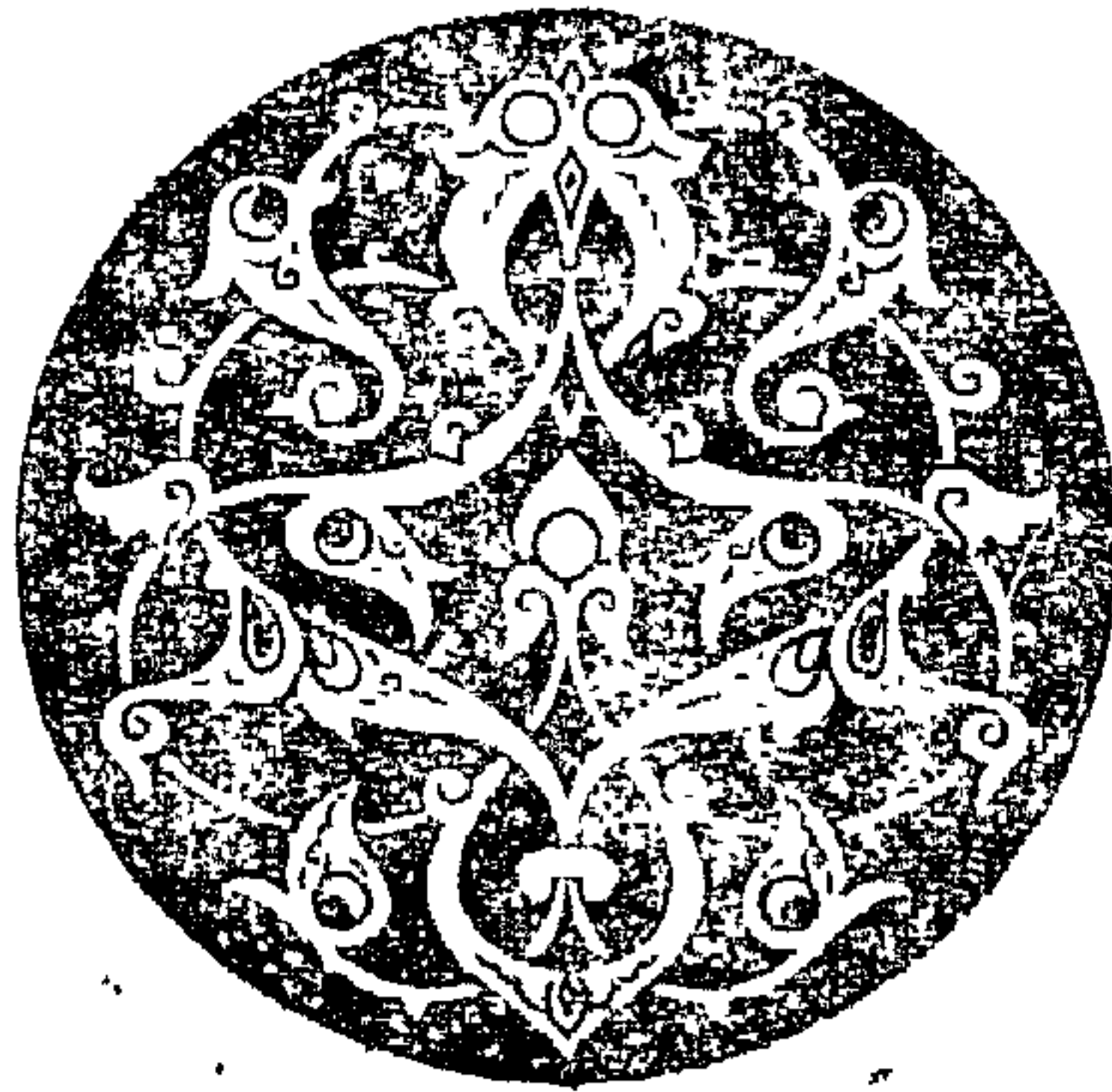
فقد رميت بشيء لست غاسله
ما جاور السيل أهل الشام والنيلا
وفى شرح القصائد السبع لابن الأنبارى
فقد ذكرت به والركب حامله
ما جاور الغيل أهل الشام والنيلا
وفى الأغاني :

فقد ذكرت بشيء لست ناسيه
ما جاورت مصر أهل الشام والنيلا

- ٩٥٩ - (هـ د ل) ٢١٥ س ١٥ وببيروت
٦٩١ والمخطوطة قول ذى البرمة :
إذا ناقتى عند المحصب شاقها
... رواحُ اليماني والهديلُ المرجعُ
وصواب روايته كما في ديوان ذى
الرمة ٣٤٥ وأدب الكاتب ١٦٢ والاقتضاب
٣٥٣ : « أرى ناقتى » .
- ٩٦٠ - (هـ ض ل) ٢٢٣ س ١ وببيروت
٦٨٩ والمخطوطة أيضاً والصحاح ، قول
الكميت ، (وهوفى مدح خالد بن عبد الله
القسرى) :
في حومة الفيلق الجأواء إذ ركبت
قيس وهيفضلها الخشخاش إذ نزلوا
- وصواب الرواية : « إذ نزلت قسراً »
كما في ديوان الكميت ٢ : ٢٢ والمعاني
الكبير لابن قتيبة ٩٦٤ والتهذيب ٦ :
٥٤٧ / ٩ : ١٥٨ . وجاء في اللسان (فلق) :
« قسراً » ، وهو تحريف ما ذكرت .
وقسراً هم قبيلة خالد بن عبد الله القسرى ،
وهم قسراً بن عبقراً بن أنمار . جمهرة ابن
حزم ٣٨٧ ، ٤٧٤ . وانظر ما سبق في التحقيق
رقم ٥٦٠ .

عبد السلام محمد هارون

عضو المجمع



طرف من الأدب واللغة للكاتب أحمد عمار

(٢)

« يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ
فتبينوا ». وإن كنت صادقاً فأنت من أهل
هذه الآية :

« حماز مشاء بنميم » .

فقال الرجل : أتوب إلى الله يا أمير
المؤمنين .

الرباني الموصوف بعلم الرب .
والربي المنسوب إلى الرب .
الشعراني الكثير الشعر .
والشعري منسوب إلى الشعر .
الليثاني الطويل اللحية .
والليحي نسبة إلى الليحة .
الرقباني الغليظ الرقبة .
والرقبي نسبة إلى الرقبة .

صب الرشيد الماء على يدي أبي معاوية
الضرير بعد أن أكل طعاماً عنده ، ثم قال
له : أتدرى من يصب الماء على يدك ؟

أشد الأعمال ثلاثة : إنصاف الناس من
نفسك ، ومواساة الأخ من مالك ، وشكر
الله تعالى على كل حال . (حديث شريف)

محمد : حميد مرة بعد مرة ، كما نقول :
مكرم ومعظم .

ومحمود : حميد مرة واحدة .

وقد سمى العرب محمداً نحو خمسة عشر
رجلاً .. وكذلك سمى أحمد بضع مرات .

قال هشام بن عبد الملك لسالم بن عبد الله -
وكانا في الكعبة - سلني حاجتك . فقال :
أكره أن أسأل في بيت الله غير الله .

لن ترجع الأنفس عن غيِّها

ما لم يكن منها لها زاجر

(أبو نواس)

قال أبو العتاهية : وددت أنه لي بنصف

شعري .

نقل رجل إلى عمر بن عبد العزيز كلاماً ،
فقال له عمر : إن كنت كاذباً فأنت من
أهل هذه الآية :

قال : لا : قال : أنا . فقال :
أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم إجلالا
للعلم .

وجلس الرشيد مجلسه فقال : أى الناس
أكرم خادماً ؟ قالوا : أمير المؤمنين .
قال : بل الكسائي ، يخدمه الأمين والمأمون ؛
(وكان الرشيد قد عهد إليه بتأديبهما - فقام
الكسائي ليلبس نعليه ، فابتدراهما فوضعاهما
بين يديه)

عائشة أم المؤمنين : ترثي أباهما
نضر الله وجهك يا أبت . وشكر لك
صالح سعيك ، فلقد كنت للدنيا مذلاً
بإرادتك عنها ، وللآخرة معزاً بإقبالك عليها .
ولئن كان أجل الحوادث بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم رزؤك ، وأعظم المصائب
بعده فقدك ، إن كتاب الله ليعد بحسن الصبر
فيك ، حسن العوض منك .

إن المرء ناظر باحدى عيون ثلاث :
عين مودة تريه القبيح حسناً ، وعين شتان
تريه الحسن قبيحاً ، وعين عدل تريه حسنه
حسناً وقبيحه قبيحاً .

(ابن المقفع)

الزلال : بالكسر المصدر والزلال
بالفتح الاسم .
والوسواس : بالكسر المصدر والوسواس
بالفتح الاسم .

(اللسان)

يا أعدل الناس إلا في معاملتي
فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
(المتنبي)

القصيدة الحرباوية : (لأبي عمرو عثمان
ابن عيسى البلطى النحوى)
سميت كذلك لأنها تتلون كالحرباء :
وحرف رويها يكون مضموماً ثم مفتوحاً ثم
ساكناً .

(فن الكامل : إذا حرك الروى فهو
من الضرب السادس منه ، وإذا سكن فهو
من الضرب السابع)

إني امرؤ لا يطَّيِّدُ —
في الشادن الحسن القوام
فارقت شيرة عيشتي
إذ فارقتني والغرام
لا أستلذ : بقينة
تشدو لدى ولا غلام

ذو الحزن ليس يسره
طيب الأغاني والمدام
أمسى بدمع سافح
في الخلد منسكب سجام
ألقي صروف الدهر مُصنًـ

طبراً وما حدى كسها
مارستهـن ومارستهـ
في تصرفها الجسام
وهي ثلاثة وثلاثون بيتاً ، أتى بما لم يسبق
إليه ، وتحدى بها النُّحاة ،

القرآن والشعر :

أ - آية كاملة : كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية :

قولوا لهذا ينته عن ذممه أصحابيه* كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية ب - جزء من آية أو بتحوير بسيط

١ - إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير . (فاطر ١٨)

ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه - ٢ - ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا . (الإنسان ١٤)

ويقول أبونواس :

وفنية في مجلس وجوههم
ريحانهم قد عدموا الثقيل
دانية عليهم ظلالها
وذلت قطوفها تذليلا

٣ - يعملون له ما يشاء من محاريب
وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات . (سبأ ١٣)

وجفان كالجواني وقدور راسيات
٤ - قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين : (التوبة ١٤)

ويخزهم وينصركم عليهم
ويشف صدور قوم مؤمنينا

* * *
من أمثال العرب في الجناح :

١ - ركب فلان جناحي نعامة : جده

* في الأمر واحتفل :

٢ - فلان في جناحي طائر : قلق وهش .

٣ - ركب فلان جناحي طائر : فارق وطنه :

٤ - نحن على جناح سفر : نريد السفر .

٥ - فلان في جناح فلان : في ذراه وكنفه . (اللسان)

* * *

يقول المبرد :

عجيب أمر الإنسان ، إن سئح له الرجاء
أذله الطمع ، وإن هاج به الطمع أهلكه
الحرص ، وإن ملكه اليأس قتله الأسف ،
وإن أفاد مالا أطفاه الغنى ، وإن نالته فاقة
فضحه الجزع . فكل تقصير به مضر ، وكل
إفراط له مفسد .

* * *

قال زجل الرشيد : إني أريد أن أعظك
وإغليظة لك القول . فقال له الرشيد :
ليس ذلك لك .

لقد بعث الله من هو خير منك إلى من
هو شر مني ، فأمره أن يقول له قولاً ليناً .
يشير إلى قوله تعالى لموسى وهارون : « اذها
إلى فرعون إنه طغى ، فقولا له قولاً ليناً
لعله يتذكر أو يخشى » .

* * *

يقول الإمام مالك :
« من ترك قولاً : « لا أدري » أصيبت مقاتله

* * *

قال ابن عباس :
أرجى آية في كتاب الله تعالى : « وإن

ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » .

أحمد عمار

نائب رئيس المجمع

تطويع التكنولوجيا لاسترداد جمال الكتابة العربية

لأستاذ الهندس صلاح عامر

سياسة تقليص عدد حروف الكتابة العربية :
لقد درج الكثيرون من أهل العربية على
اتباع سياسة تقليص عدد الحروف العربية -
في سبيل تطويع الكتابة العربية لإمكانيات آلات
الطباعة ، وخاصة الآلات الكاتبة السلكية
واللاسلكية وفي الآلات الحاسبة ، وفي كل
ما يستدعي الكتابة الآلية غير اليدوية .
وسارت سياسة التقليص في خطتها مع أعلى
المحافل الرسمية بل لقد تبناها مجمع اللغة العربية ،
دهراً طويلاً فأنشأ لجنة تيسير الكتابة العربية .
ولقد انتهت دراسات هذه اللجنة بحمد الله

عند حد من التقليص للحروف العربية لا يزال
يرعى حرمة الكتابة العربية ونرجو ألا يتفاقم
الأمر . ويتراعى إلى المدى الذي وصلت إليه
سياسة التقليص في جهات رسمية أخرى مثل
ما هو جار في إطار معهد لبحوث التعريب
في الرباط .

وساكتفى بثلاثة أمثلة تبين آثار خطة التقليص
على جمال الكتابة العربية مبرزاً ذلك بين أنماط
ثلاثة أولها الكتابة المتبعة في طباعة الأحاديث
النبوية ثم أردفها بمثالين لمحاولات التقليص بين
مصر والرباط :

الْحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالْثَلَاثُونَ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

« مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ،
فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ،
وَذَلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

(١) طباعة المائية ترمي الى حذم جمال الخط العربي .

* ورأت اللجنة أن تستفيد من حروف المطبعة الأميرية
في فنمها الخطى الذى يعتبر مثلاً عالياً للكتابة العربية - فرأت
أن تتخذ منها الحروف التى لم يدخل عليها تعديل ، وأن تتجود
الحروف المعدلة بحيث تسير فى جودتها وحجمها ما لم يعدل ،
وبحيت تبدو الحروف فى جملةا على نسق واحد .

على أن هذه المزوجة بين الحروف المستبقة والحروف المعدلة
ربما حات دون التناسق المنشود على الوجه الأكمل . ولعل
التنفيذ العملى للطريقة على نطاق واسع يقتضى كتابة الحروف
كلها بقلم واحد ، وذلك ما رى تأجيل البت فيه .

٢ - نموذج لما قرره أخيراً لجنة تيسير الكتابة العربية ، ولقد بدأ استخدامه وهو كما قلت
لا يزال الحد الأدنى من أصول الكتابة العربية .

ASV-CODAR/TT N2/77

ASV-CODAR



Text typeset in naskhi 2 typeface

without vowels

تشد الرحال وقت الحج فيقضي الحجاج بجوار المسجد زمناً
يؤدون به الصلاة فإذا قدر لك أن تذهب إلى هذا المسجد
لراعى أن يجمع الألف المؤلفة مجمع العبادة حيث يقفون
جميعاً خاشعين أمام الله

أقبل العرب على فتح الشام واثقين من النصر

المانس نفيس

٣ - نموذج لمرحلة تقليص الحروف العربية فى الرباط ، وتوجد ثلاث مراحل أخرى أدنى وأفضل فى التقليص

آلة الطباعة أو الكتابة وأثرها على الخط العربى :

حقيقة لقد عانت كتابة الخط العربى الصحيح من قصور آلات الطباعة ، خصوصاً الآلات الكاتبة البرقية ، أو آلات تسجيل البيانات أو إدخالها فى العقول الالكترونية ، فلقد قصرت دون أداء هذه الكتابة صحيحة . فى أبسط الصور مثل الخط الرقعة أو النسخ ، فلقد بدأ التصميم الأساسى لهذه الآلات مما يوفى احتياجات الحروف الإفرنجية ، واحتياجات الحروف الإفرنجية لا تستدعى نوعية من الحروف الصغيرة والأخرى الكبيرة . أما بالنسبة للحروف العربية فالأمر أكثر من ذلك بكثير ، فإن الحرف الواحد قد يحتاج إلى أربعة أشكال فيتغير شكل الحرف بحسب موقعه فى الكلمة ، سواء أكان فى البداية أو فى الوسط أو فى آخر الكلمة وكذلك فإن الحرف قد يأخذ شكلاً رابعاً عندما يكون منفرداً . ولهذا فقد كان استخدام آلات الكاتبة البرقية الإفرنجية والمعدلة إلى العربية مؤدياً إلى اقتضاب فى كتابة الخط العربى وذلك مثل استخدام شكل الحرف الوسط مستعار من أحد أشكاله الأخرى وغيرها من التسويات التى قضت على جمال الخط العربى . فإن من يتابع كتابة الخط العربى ، وتقدمها يلمس كيف أنها قد وصلت إلى مستوى جعلها أساس فنون الزخرفة العربية كما تعددت أشكال الخط العربى ولكل منها روعته وجماله .

وكان كتاب هذا الخط من كبار الفنانين المرموقين ولقد قضى استخدام آلات الكتابة الإفرنجية لكتابة الخط العربى إلى زوال هذا الجمال ، بل لقد حرف هذا الأسلوب المستعار للكتابة العربية الكثير من قواعد اللغة العربية ، فإن من أبرز قواعد اللغة العربية التشكيل وهذا التشكيل للحروف عماد النطق العربى الصحيح وله دلالات فى المعنى تتغير عند فقدانه .

ولقد بذلت محاولات كثيرة لإخضاع اللغة العربية للقصور التكنولوجى فى تصميم هذه الآلات ، حتى لقد وصل الأمر إلى أن نادى البعض باستخدام الحروف العربية المنفصلة فى الكتابة ، بل لقد لجأت تركيا إلى استخدام الحروف الإفرنجية لكتابة الكلمات العربية ويالهول هذا المسخ . إنه لولا المصحف الشريف وما حباه الله به سبحانه وتعالى من الحفظ لذهبت الكتابة العربية إلى وادى النسيان ، بل إنه لولا زخارف المساجد التاريخية وما يزين جدرانها من كتابة الآيات القرآنية بالخط العربى الجميل انقذنا ذلك المستوى الرفيع الذى نفخر به للخط العربى . إن كتابة المصحف الشريف هى الحصن الذى حفظ الكتابة العربية أبداً الأبدى . فلقد وفق الله أهل السلف من علماء المسلمين بما عرف عنهم من دقة وتحري للحق أن يكون طبع المصحف الشريف مصوراً من أصول مكتوبة باليد وفق الخط العربى الأصيل ، وهكذا أدى المصحف دوراً يعتمد على أنه كتاب كل مسلم دوراً

الاتجاهات المختلفة الحالية للكتابة الآلية باللغة العربية :

الأول - كما قلنا سابقاً ينحصر في إعداد آلة كتابة سواء في جانب أضرار انطباعة أو في ناحية الحروف بما يعادل كافة الأشكال المختلفة للحرف الواحد وعندئذ يكون عدد المفاتيح والحروف حوالي ١١٠ بالإضافة إلى علامات التشكيل ، ولو تأملنا سرعة الكتابة الآلية الجديدة والتي تعتمد على تمييز الطباع للشكل الواحد للحرف الواحد والذي يناسب موقعه في الكلمة لوجدنا أن هذه السرعة ستكون بطيئة جداً مقارنة بالسرعة على الآلة الإفرنجية والتي لا تتجاوز أضرار الكتابة فيها الخمسين .

الثاني - الاتجاه الثاني كما أسلفنا هو ذاك العدوان الذي وقع على كتابة الخط العربي بتقليص عدد الحروف مما يتيح كتابة عربية غير مألوفة وغير مقبولة أو هو استخدام الحروف المتقطعة وأساء من ذلك استخدام الحروف اللاتينية لكتابة العربية الأمر الذي حدث في تركيا والذي مازالت مختلف الجهود تبذل للتخلص من أضراره .

أما الاتجاه الأمثل فهو الذي يجب أن يحقق احتياجات كتابة الخط العربي بقواعده السليمة كما يجب أن يحقق احتياجات السرعة اللازمة للكتابة الآلية أو بما يتيح كتابة آلية بسرعة تعادل السرعة المتحققة للكتابة الإفرنجية . ومثل هذا لا يتأتى كما سبق أن أوضحنا بزيادة الأضرار المقابلة لكامل أشكال الحروف العربية إلى ١١٠ غير علامات

مباركاً في أن ألف المسلمون وتعودوا رغم عوامل الزحف التكنولوجي المعادي لشكل الخط العربي الأصيل .

لا أريد أن أتجاوز حدود هذه المحسوسات إلى ما يقوله منصفون كبار من أن شكل الحروف العربية له أداء من ناحية الشكل لا يقتصر على النطق الصوتي أو تكوين الكلمات المركبة بل إن له أسراراً يعرفونها ودليلهم على ذلك أوائل سور القرآن المعروفة بحروف النور .

لا أريد أن أزيد في هذه المقدمة التي تؤدي إلى نتيجة هي الهدف من هذا البحث وهو أنه لا بد أن نغير من اعتبارنا لأهمية الكتابة العربية ، ولا بد من أن نرد للخط العربي الصحيح اعتباره كأداة للنطق العربي مبرزاً للمعاني السليمة للغة العربية وهذا يعني :

أن نطوع التكنولوجيا لهذا الاعتبار ، وهذا يعني أن تكون آلات الكتابة وعلى الأخص البرقية أو اللازمة للعقول الالكترونية ذات سعة لا تقل عن كتابة أشكال مختلفة لعدد حروف اللغة العربية الثمانية والعشرين بكافة أشكالها وكذلك بإضافة علامات التشكيل إلى إمكانيات هذه الآلات لوضعها على الحروف كلما لزم ذلك ويعني هذا أن تكون سعة البرقية مثلاً نحو ١١٠ حرفاً بالإضافة إلى علامات التشكيل .

التشكيل : أى أن احتياجات الكتابة الآلية السريعة تفسر باختزال عدد الأزرار إلى ما يعادل نفس عدد الأزرار المستخدمة في آلة الكتابة الإفرنجية على الأكثر أى ما يعادل نحو الخمسين :

وإذا كان لابد من الجمع بين الشرطين ، وهو الكتابة الخطية المتعددة الأشكال أى أربعة أشكال تقريباً للحرف الواحد مع استمرار تحقيق ذلك باستخدام زر واحد للكتابة . وتحقيق ذلك هو ما سنحاول الكلام عنه فيما يلي :

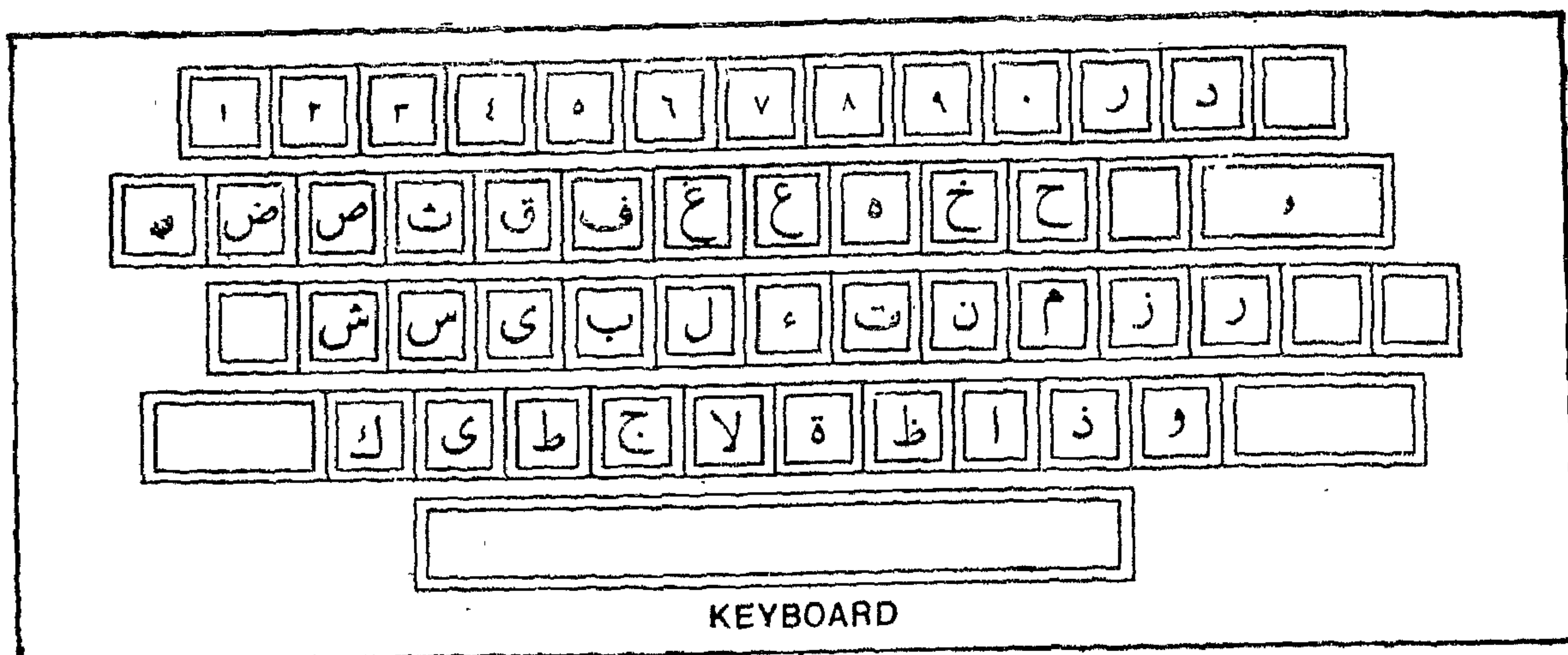
استخدام ذاكرة الكترونية للتمييز الدال على موقع الحرف :

لقد قام بحث لتحقيق ذلك المنال في جامعة مونتريال بكندا ، وسار البحث شوطاً بعيداً إلى الحد الذى أمكن فيه إنتاج نموذج لآلة كتابة عربية ، أو فارسية ، يقتصر عدد أزرار كتابة كافة أشكال الحروف العربية فيه على العدد الأصلى الأساسى للحروف وهو ٢٨ حرفاً رغم أنها تطبع الكلمات العربية

بالخط العربى الصحيح ، فبدلاً من أن يكون الاتصال ميكانيكياً بين الأزرار وخزانة الحروف بواسطة روافع تدق شكلاً واحداً للحرف فإن الاختراع يعتمد على ذاكرة الكترونية تتصل بالأزرار كهربائياً وماتقوم به هذه الذاكرة يتعادل تماماً مع الطريقة التى يميز بها عقل الإنسان عندما يكتب بيده كلمة عربية فإنه يدرك بتصوره قبل الكتابة موقع كل حرف فى الكلمة التى يكتبها ، ويكتبه بالشكل المناسب . وبالمثل فإن الذاكرة الالكترونية لا تعطى تعليماتها لخزانة الحروف الطابعة لكتابة أى حرف فى الكلمة إلا بعد تبين مدرك لموقعه بأى هل هو فى الأول أو فى الوسط أو النهاية أو هو منفصل ، وهذا لا يحتاج إلا إلى تأخير طبع الحرف إلى ما بعد الضغط على زر الحرف الذى يليه ، فتدرك الذاكرة الالكترونية شكل الحرف المطلوب طبعه وتعطى تعليماتها إلى خزانة الطابعة بما يودى إلى تحقيق ذلك :

ولنعط مثالا واضحاً لكتابة كلمة «محمد»

الأزرار التى يضغط عليها	عمل الذاكرة المميزة	خزانة الطابعة
الميم الأساسية الحاء الأساسية	تحفظ علامة الميم تحفظ الحاء ، وتعطى تعليمات للذاكرة مميزة شكل الميم الأولى	لا تطبع تطبع ميماً أول حرف متصل
الميم الأساسية الدال الأساسية فترة انتظار	تحفظ الميم ، وتعطى تعليمات مقررة حاء فى الوسط تحفظ الدال وتعطى تعليمات مقررة ميم وسط بعد فترة زمنية مدتها حرف تقرر دالاً نهائية	تطبع حاء بخط شكل الوسط تطبع ميماً متصلة فى الوسط تطبع دالاً فى نهاية الكلمة



لوحة المفاتيح ٢٨ حرفاً

دائرة التمييز
الإلكترونية

الطباعة الفعلية
باستخدام
٩٦ شكلاً للحروف

النتيجة كتابة عربية
سليمة

شكل توضيحي لألة الكتابة العربية
السليمة

يبين الشكل المرفق وهو المقدم من مجموعة صناعية أمريكية قامت بدراسة تطبيق التصميم المخترع بواسطة أساتذة جامعة مونتريال ومن الشكل يتبين :

١ - أن لوحة أزرار الحروف بسيطة لا تحتوي إلا على الشكل الأساسي للحرف العربي المنفصل وكذلك الأرقام ؛ وهذا الاختصار له دور أساسي في أن تكون سرعة الكتابة عالية ومعادلة على الأقل لسرعة الآلة الكاتبة الإفرنجية .

٢ - إن تحريك الخزانة الخاصة بالحروف العربية يتم باتصال كهربائي من أزرار لوحة ضغط الحروف ويبدأ بدوائر . إحداهما دائرة « إجراء كهربائي » للحرف عليها « ذاكرة » ثم تتفرع منها دوائر كهربائية ميكانيكية خاصة بتنفيذ التعليقات المتعلقة بطباعة الحرف أو الرقم المطلوب بالشكل المناسب :

٣ - من نتائج هذا النظام أن يستخدم في لوحة الأزرار عدد ٣٣ زرراً ويبقى من عدد ٥٢ زرراً في اللوحة الإفرنجية عدد وافر من الأزرار لاستخدامها في عملية كتابة التشكيل على الحروف العربية إذا أريد ذلك !

بعض آثار الانفتاح التكنولوجي على الكتابة العربية :

لا أقصد فيما أقول عن الطريقة المثلى للكتابة الآلية للخط العربي الصحيح أن أنسب

لنفسى أى فضل فيما تم من بحوث بل لست إلا ناقلاً للقدر الذى درسته من هذه البحوث فى لقاءات تمت فى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية مع بعض أصحاب هذه البحوث . والحقيقة أن المنهج الذى اتبعوه فى تطوير الآلة الكاتبة والمبرقة العربية ، هو نفسه ما يدور بخلد الكاتب للخط العربى بيده ، فإنه لا يعطى الحرف العربى شكله المناسب إلا بعد أن يميز موقعه فى الكلمة ، وهو ما تقزم به وحدة التمييز الالكترونى فى الآلة الكاتبة المبتكرة . ونتائج هذا الابتكار أن أصبح الكاتب لا يلمس إلا الحروف الأساسية للغة العربية وهو ما يعنى فى حالة إرسال رسالة بالمبرقة أن يكتب بشفرة مختصرة هى الشفرة اللازمة لثمانية وعشرين حرفاً فقط ، أما كتابة الشكل المناسب للحرف فيتم عند نهاية الاستقبال بواسطة وحدة التمييز الالكترونى والى تعطى تعليمات صحيحة عن شكل الحرف إلى خزانة حروف الطباعة حيث يطبع هذا الحرف بالدق على صفحة ورق الكتابة .

وإن نتائج اختصار الشفرة ، والى هى عبارة عن سلسلة العلاقات الكهربائية المكونة من نقط وشرط ، أن زالت كافة العوائق التى حالت دون استخدام اللغة العربية كأساس فى مختلف الأجهزة التكنولوجية الحديثة ، فلقد أصبح تخزين العقول الالكترونية بالمعاومات المعينة - سواء أكانت بيانات أو عمليات حسابية - ممكناً باللغة العربية ، بل يقرر علماء الحاسبات

الالكترونية أن اللغة العربية بطبيعتها يجرى فيها تركيب الجمل والتعبير عن المعاني والاشتقاق من مادة فعل واحد على طريقة التصريف المعروفة مما يخضع اللغة العربية للترجمة الحسائية أكثر من غيرها . وتستطيع بذلك أن تحقق ما يحتاجه استخدام اللغة العربية في الحسابات الالكترونية من تخزينها أو استخراجها إما على شاشات الكتابة الفوسفورية أو بالتسجيل على الأشرطة الخاصة بها أو غيرها من وسائل التخزين . ووسيلة الإدخال بسيطة مختصرة ، وطريقة لإخراج بالشكل المكتوب أو المرسوم على الشاشة قد أصبح على أحسن وجه .

كذلك قد توصل أولئك الباحثون في جامعة مونتريال إلى اختراع وحدات جديدة تعطي مزايا جديدة للآلات الكاتبة مثل استرجاع ما تمت كتابته بقصد التصحيح . وذلك باستخدام ذاكرة الكترونية مبسطة في وحدات التمييز ، كذلك توصلوا إلى استخدام ذاكرة أكثر

دقة تمكن من استيفاء قواعد اللغة العربية في الجملة الواحدة وتلك عن طريق التمثيل الحسائي للغة العربية ، أو بمعنى آخر قد اخترعوا ما يقوم بدور المصحح في الجرائد والمجلات .

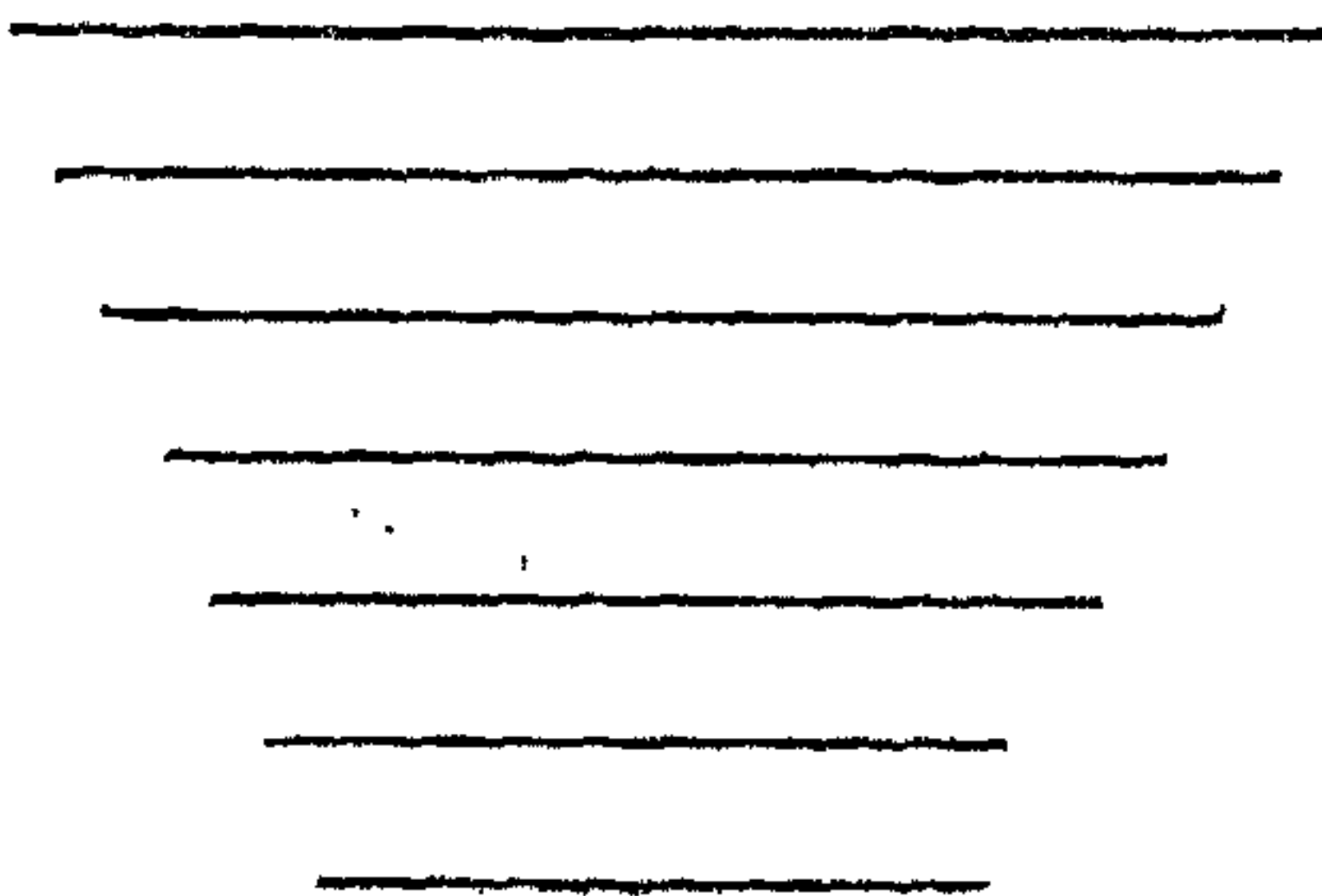
الخلاصة :

أنه لم تعد هنالك مشكلة يمكن أن تفرض على المتكلمين والكتابين للغة العربية ، بأن يقبلوا أى نوع من الكتابة المشوهة بسبب القصور التكنولوجي ، أو أن يرضوا بالخطأ اللغوي لعدم وضع علامات التشكيل على الكلمات .

كذلك لم يعد هناك سبب يفرض على هيئات الاتصالات السلكية واللاسلكية بأن تضع اللغة العربية في زوايا النسيان ، لعدم صلاحيتها لتعدد أشكال حروفها إلى أن تكون واسطة الاتصال البرقي والتلكس بكافة أنواع أشكال الخط العربي والقراءة الصحيحة .

والله الموفق .

صلاح عامر .



كتاب "السحر والشعر"

للدكتور مصطفى الشكعة

إِنَّ

محمد بن عبد الله

ابن محمد بن محمد بن

سعيد السلماني المشهور بالسان الدين الخطيب
يعتبر هدية الثقافة العربية والإسلامية إلى
الأندلس، كما يعتبر هدية الأندلس إلى
الثقافة الإسلامية والأدب العربي بشكل
عام.

وسيرة لسان الدين مسطورة على صفحات
كتب الأدب والتاريخ. فقد كان رجل
سياسة وحكم، ورجل علم وفكر وأدب
يمارس الحكم بالنهار، ويتعاطى القراءة
والتأليف بالليل، ولكثرة ما أنتج من علم
وأدب لقب بذي العمرين فإن نتاج فكره
وممارسته لحياته السياسية يصعب أن يتسع
لهما عمر واحد، وكانت آفة الأرق التي
أصيب بها لسان الدين هي التي وهبته
العمر الثاني الذي منحه فرصة القراءة
والتأليف.

ومؤلفات لسان الدين من الكثرة والنفاسة
بمكان، فقد ألف ما يناهز ستين كتاباً في
مختلف العلوم والفنون من أدب وتاريخ
وتراجم ورحلات وبلدان وسياسة وطب
وفقه وتصوف وعلم كلام واختيارات أدبية،
كما كان كاتباً شاعراً وشاحاً.

ولسنا الآن في مجال سرد كتب لسان
الدين وتقويمها؛ فإن ذلك إنما يضيق عنه
مجالنا^(١)، وإنما نحن نريد دراسة كتابه
«السحر والشعر» الذي هو ضرب من
ضروب الاختيارات الأدبية.

على أن «السحر والشعر» ليس الكتاب
الوحيد الذي صنفه لسان الدين في
الاختيارات الشعرية، فإن له كتاباً آخر،
ولكن في الموشحات المختارة أسماه «جيش
التوشيح»، وهو مطبوع في تونس والحصول
عليه سهل ميسور. ولقد ترجم جيش^٢

(١) يراجع الفصل الذي كتبناه عن لسان الدين ومؤلفاته في كتابنا «مناهج التأليف عند العلماء العرب». . طبع
دار العلم للملايين.

التوشيح ستة عشر وشاحاً أندلسياً وأورد لهم مائة وخمسا وستين موشحة ، وأشهر هؤلاء الوشاحين هم ابن بتي التطيلي الضرير ، ابن الأبيض ، أبو بكر الداني المعروف بابن اللبابة .

وإن كتاب جيش التوشيح إذن واحد من كتب الاختيارات الشعرية ، ولكنه لموغل في التخصص ، لأن مؤلفه قصر مادته على الموشحات دون غيرها من فنون الشعر .

فإذا ما عدنا إلى الحديث عن كتاب « السحر والشعر » وجدناه مقصوراً على مقطوعات من فن القصيد دون فن التوشيح ، ووجدناه أيضاً يضم أسماء بعض من ذكرنا من الوشاحين الذين ضمهم « جيش التوشيح » ، ولكن من خلال مقطوعات شعرية أوردها لهم المؤلف ، وليس من خلال الموشحات .

كتب الاختارات الشعرية :

يرجع هذا الفن من التصنيف الأدبي إلى القرن الثاني الهجري فإن المفضل الضبي المتوفى سنة ١٧٥ هـ هو أول من طرق هذا اللون من التأليف ، بتصنيفه مختاراته التي عرفت باسم « المفضليات » ، ثم تلاه عبيد الملك بن قريب الأصمعي

(١١٢ - ٢١٦ هـ) بمجموعة اختياراته التي عرفت باسم « الأصمعيات » والتي تشترك مع مجموعة المفضليات في كثير من النصوص ، ثم تلت هاتين المحاولتين محاولة ثالثة قام بها أبو زيد محمد بن أبي طالب القرشي أسماها « جمهرة أشعار العرب » ، وفيها عمد إلى جمع أشهر القصائد العربية تحت عناوين برافقة مثل المعلقات والمجمهرات والمنتقيات والمذهبات والمراثي والمثوبات والملحمات . وهذا النمط من التصنيف يمثل تطوراً ملحوظاً في هذا الفن من الاختيارات الشعرية .

فلما جمع أبو تمام « حماسته » كانت بمثابة فتح جديد ونقلة واسعة في تصنيف الاختيارات بحيث سار من جاءوا بعده على نهجه ، وأطلقوا على اختياراتهم نفس العنوان الذي أطلقه أبو تمام على اختياراته والتسمية هنا من باب تسمية الكل باسم الجزء ، فليست كل اختيارات أبي تمام مما يقع تحت باب الحماسة ، وإنما موضوعات حماسية على النحو التالي : الحماسة ، المراثي ، الأدب ، النسيب ، الهجاء ، الأضياف ، المديح ، السير والنعاس ، الصفات ، الملح ، مدامة النساء .

وبعد أنى تمام ظهرت حماسات كثيرة
رسمت على منواله على الأكثر، واختلفت
عنه فى الاقل ، وإن عمد بعضها إلى مزيد
من التفصيل ووفرة من النصوص، وأشهر
هذه « الحماسات » حماسة البحترى
وحماسة الخالدين وتعرف أيضاً بالأشباه
والنظائر، والحماسة الشجرية والحماسة
المغربية ليوسف البياسى الأندلسى المتوفى
٦٥٢ هـ، والحماسة البصرية لصدر الدين
أبى الفرج بن الحسين البصرى المتوفى
٦٤٧ هـ .

فالحماسات أو الاختيارات الشعرية
كما رأينا كلها مشرقية باستثناء الحماسة
المغربية، وحماسة أخرى لم تصل إلينا حتى
الآن ؛ هى حماسة الأعمى الشنتمرى ، وهنا
يكمن السر العظيم فى أهمية مختارات
لسان الدين « السحر والشعر » لأنها
صدرت فى فترة زمنية مناسبة ، وتعتبر حلقة
نفيسة تكمل السلسلة المتتابعة لظهور كتب
الحماسات والاختيارات .

نسخ الكتاب :

هناك عديد من النسخ الخطية متناثرة
فى المكتبات شرقاً وغرباً وأكثرها مما يصعب
قراءته ، على أن أفضل النسخ التى يمكن

الاعتماد عليها بحيث من يمكن خلالها تحقيق
الكتاب وإخراجه هى النسخ الآتية :

١- نسخة الأسكوريال المقيمة تحت
رقم ٤٥٦

٢- نسخة المكتبة الملكية فى الرباط
المقيمة تحت رقم ١٢٩٥

٣- نسخة المكتبة الوطنية فى تونس
المقيمة تحت رقم ٢٢٩٨

ولقد اعتمدنا فى هذه الدراسة على
نسخة مصورة من نسخة الأسكوريال
أطلعنا عليها تلميذنا قدور إبراهيم عمار
ابن محمد الذى بذل مجهوداً مشكوراً
فى تحقيق الكتاب ونال به درجة الماجستير
من جامعة عين شمس ، والنسخة مكتوبة
بخط مغربى جمع بين الوضوح والجودة .

تعليل عنوان الكتاب :

إن لسان الدين أطلق على كتابه عنوان
« السحر والشعر » ، وقد عمد إلى ذلك عمداً
حين علل مذهبه هذا فى مقدمة كتابه ،
والحق أن الأمر أيسر من أن يشغل لسان
الدين ، فيجعل من عنوان كتابه ما يوحى
إلى القارىء العابر أن فيه مادة يمكن أن

تكون سحرًا ، ومادة أخرى أسماها شعرًا ،
والأمر في حقيقة مفهوم لسان الدين أن
السحر هو ذلك الشعر المجود المخلق الذى
يهز النفس وينفذ إلى أعماقها ، ويستولى
على مجامع الإعجاب ويخلب الجوانح
والأعطاف ، وما كان دون هذا المستوى
فهو الشعر ، فالمسألة في حقيقتها وجوهرها
تكمُن في المدى الرفيع الذى استطاع الشاعر
أن يصيبه من خلال فن القول بكاراة فكرة
ورقة صياغة وقدرة إبداع وعمق إثارة
بإبراعة تناول ، فإن أصاب الشاعر هذه
الأغراض مجتمعة فجماع قوله سحر ،
وإن قصر عن واحدة منها فحصيلته قوله
شعر . ولا بأس أعلينا من أن نستعرض
قول لسان الدين في هذا السبيل :

« ولما كان السحر قوة ظهرت في
النفوس أفعالها ، واختلفت بحسب الوارد
أحوالها ، فترى في صورتها الحقيقية خيالها
وتبدى في هيئة الواجب متحالفها ، وكان
الشعر يملك مقادتها ، ويغلب عاداتها ، وينقل
هيئتها ، ويسهل بعد الاستصعاب خبيثتها
ويحمل في قده ، على الشيء وضده ، حتى

يفطن لهذا المعنى ، من يُعنى في سر الكلام
بما يُعنى فقال :

في منطق القول تزيين لباطل
والحق قد يعتريه سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه
وإن ذممت ققل : قى الزنابير
مدح وذم وعين الشيء واحدة
إن البيان يرى الظلماء كالنور

إذا حضر ما يناسبه ، وتقضى إليه
مذاهبه ، وقرنت به الألحان على اختلاف
حالاتها ، وما تقتضيه قوى استحالتها ،
عظم الأثر ، وظهرت العبر ، فشجع وأقدم ،
وسهر ونوم ، وحجب السخاء إلى النفس
ونبى ، وأضحك حتى ألهى ، وأحزن وأبكى
وكثير من ذلك يُحكى ، وهذه قوى
سحرية ، ومعان بالإضافة إلى السحر
حرية ، فمن الواجب أن يسمى الصنف
من الشعر الذى يخلب النفوس ويستفزها ،
ريثنى الأعطاف ويهزها ، باسم السحر الذى
ظهرت عليه آثار طباعه ، وتبين أنه نوع
من أنواعه ، ولهذا المعنى في قوله - صلى الله
عليه وسلم - « إن من البيان لسحرا »
تتوجه إشارة حرف التبعية ، وإليه ينظر

بالطرف الغضبيض ، وما قصر^١ عن هذه الغاية القاصية ، والازية المتصعبة على المدارك المتعاصية سعى شعراً تختلف أحواله عند الاعتبار ، وتتميز شبهه من النضار . وينقسم^٢ إلى أقسام : منها ما يلحظ عندما يلفظ ، لا يرى ولا يحفظ ، ومنها ما يعبث به ويسخر فلا يقتنى ولا يدخر ، ومنها ما يستخف ويستثقل ، فلا يروى^٣ ولا ينقل ، ومنها ما اشتمل على اللفظ فصيح ، ووصف صحيح ، وقافية وثيقة ، وإشارة من العبارة أنيقة ، واشتمل على الحكم والأمثال ، ومعظم الشعر على هذا المثال ، ولكل قسم بيت مذكور ، وشاهد مشهور ، فإذا قلت^٤ يسخر فعلى هذه المقاصد المنوية ، وإذا قلت^٥ شعر فالتخصيص والمزية^٦ .

إن واقع الحال يشهد بأن لسان الدين قدم لنا طرفة أدبية بهذه المقدمة في أسلوب عذب موقع ، وألفاظ حلوة منتقاه ، وديباجة وضاعة مشرقة ، وأما الفكرة التي لحاول أن يجعل منها قضية أدبية^٧ بوضع حدود واضحة بين السحر والشعر ، فما زالت غائمة غائبة ، ولعل^٨ السحر الذي ذهب إليه هو مجرد الشعر المعجب المجود ، وحتى هذا اللون من الشعر تختلف فيه مقاييس^٩ الناس ومعايير النقاد .

هذا وإن لسان الدين قد كفى قارئه - بل كفى نفسه - مؤونة الانشغال بالبحث عن الحدود التي تفصل بين ما هو سحر وما هو شعر حين قدم^{١٠} لباب الفخر بقوله : « ونمط هذا الباب يتنازع الكثير منه أسلوبا السحر والشعر » ثم يستطرد قائلا : « فليكن الخيار في نسبته إلى الناظر فيه بحول الله » .

على أن لسان الدين يقدم بعض مختاراته بوصفها نمطاً من أنماط السحر وينص^{١١} على ذلك نصاً صريحاً .

مثال ذلك ما أورده لأبي الفرج بن الجوزي ، وقد ليم على اكتحاله يوم عاشوراء في قوله :

« ولا ثم لي على اكتحالي

يوم أراقوا دم الحسين
فقلت : كُفُوا ، أحق شيء

فيه يلبس السواد عيني

ويورد في مقام الغزل بيتي جرير المشهورين :

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ

قَتَلْتَنَا ثُمَّ لَمْ يُخَيِّنَ قَتْلَانَا

بَصْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَأَحْرَاكَ بِهِ

وَهُنَّ أَوْضَعُ خَلَقَ اللَّهُ إِنْسَانًا

ويتمثل لسان الدين في مقام أنماط
السحر، بنماذج لا تحصى من شعر الغزل،
ولا ينسى نفسه أيضاً فيتمثل ببعض
شعره.

وفي باب الوصف يتمثل بنماذج عديدة
مختارة لشعراء من مختلف الأمصار
الإسلامية فمن ذلك ما نسبته إلى ابن قلاقس
الإسكندري:

بَلَدُ أَعَارَتُهُ الْحَمَامَةُ طَوْقَهَا

وَكَسَاهُ رِيَشُ جَنَاحِهِ الطَّائِفُ

فَكأنما الأَنهَارُ فِيهِ سُلَاقَةٌ

وَكأن سَاحَاتِ الدِّيارِ كُؤُوسُ

ويعتبر لسان الدين جميع مختاراته
التي قدمها في باب الوصف من نمط السحر.

وفي باب الملح يتمثل ابن الخطيب

بمختارات كثيرة طريفة من ذلك الذي

يعتبره من نمط السحر كقول الشاعر:

ذَكَرْتُ لَهُ صَيْفًا فَظَنُّ بَأَنِّي

ذَكَرْتُ لَهُ صَيْفًا فَقَامَ إِلَى السَّيْفِ

فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا فَظَنُّ بَأَنِّي

ذَكَرْتُ لَهُ خُبْرًا فَمَاتَ مِنَ الْخَوْفِ

وهكذا يختار لسان الدين نماذجه في

كتابه « السحر والشعر »، ويصنفها شعراً

أو سحراً حسب تقويمه الخاص لها، ذلك
التقويم الذي قد يتفق معه فيه بعض
النقاد، ويختلف معه فيه آخرون.

ومهما كان الأمر فإن مختارات لسان
الدين تعتبر من عيون الشعراء العربى وهى
ذليل واضح على ذوقه الرفيع وإطلاعه
الواسع.

لسان الدين يجمع الكتاب :

إن لسان الدين شأنه في ذلك شأن
كل عالم بفنه، يكتب مقدمة كتابه
ليوضح فيها منهجه ويذكر المناهل التي
انها اقتبس مادة الكتاب وهى هنا عراقية
حجازية مصرية يمانية خراسانية إفريقية
أندلسية، ويسجل أنه انتقاها بعناية
مستأنية وذوق رفيع فيقول في ذلك:

« فَإِنِّي لَمَّا قَيَّضَ اللَّهُ مِنِّي لِلْآدَابِ مَجْلِيَّ
سَمَاتَهَا، وَنَاشَرَ رَمَمَهَا بَعْدَ مَمَاتَهَا، وَصَاقِلَ
صَفْحَاتِهَا، وَقَدْ مَحَا مُحَاسِنَهَا الصَّدَا، عَلَى
بُحْدِ الْمَدَى بَعْدَ مَمَاتِهَا، وَمَوْضِحَ طَرِيقَتِهَا
الْمَثْلَى وَقَدْ أَضْحَتْ طَرَائِقُ مَدَدَا، وَالْغَاشَى إِلَى
ضَوْءِ نَارِهَا لَعَلِّي أَجِدَ عَلَى النَّارِ هُدًى، بِذَاتِ
فِيهَا كُلِّ مَنْ، وَلَمْ أَقْتَصِرْ مِنْ فَنُونِهَا الْغَرِيبَةِ عَلَى
فَنٍّ، فَجَعَلْتُ عَقَائِلَهَا تَتَزَاحَمُ عَلَى تَزَاحِمِ

المحور على ساكن جنان الحبور، فقيدت
في شواردها بالكتاب ما لم تقله ذوات
الأقتاب، وأتيت بيوتها من الأبواب،
فكان ما قيدته من الغرر، واقتنيته من
نوائس الدرر التي لو تجسدت للعيان
لكانت ياقوتاً، أو استطعمت لكانت
للقلوب قوتاً، ولو ورد في الخبر المنقول،
الأمر بحفظ القرائح والعقول، لكانت
كتاباً موقوتاً. فمن كل عراقية المنتسبة
متردة بين الرصافة ومحراب الدمي^(١)،
ماء الرافدين على أعطافها يسيل، وسر من
رأى ما انجلي عنه نهدا الأسيل، وشامية^(٢)
تقلب بين الجابية والبلاط^(٣) أي متقلب،
وبقية مما ترك آل حمدان في حلب،
وحجازية أوى لها في الفصاحة الزند،
أو تضيع في آفاقها الشيخ والرند، ويمانية
تعلمت وثى برودها، وخراسانية غار
سيحان ببرودها، ومصرية ضرب على
محاسنها الفسطاط، وهاجرت بسببها
الانباط، وسكنت مدينة الإسكندرية
حيث الرباط، وإفريقية تفرق النفوس
لتوقع فراقها، وتغار الشموس عند إشراقها،
وغربية حطت لها العضم، وطلعت آياتها
في المغرب فبهت الخصم، وأندلسية لها

(١) محراب الدمي باحة في أحد قصور صنعاء.

(٢) الجابية والبلاط قرستان من أعمال دمشق وناپلس.

(٣) المهارق : الصحائف .

المزية والشفوف، وأولياؤها الكماة وشهودها
الصفوف. . . . وأودعت منها المهارق^(٣)
كنوز نضار، لا يخفى عليها بغير القريحة
من نار، وصيرت المغرب الأقصى مشرق
أنوار، لأحضر في المحاضرة عقودها،
وأدفع عند الاقتضاء نقودها، وأنشر في
كتائب البيان ومواكب أرباب اللسان
بنودها، وعاقني عن إبدائها وإمالة ردائها
مهم من النظر صرفت إليه ركابي، وشاغل
إلى غير تلك الطبيعة حراي.

على أن السبب الأصيل في ظهور هذا
الكتاب إلى الوجود بعد أن أخذ من مؤلفه
فترة زمنية طويلة في الجمع والانتقاء هو
أن ولده عبد الله قد نما عوده، وبلغ مبلغ
الشباب، وأراد لسان الدين أن يثقفه
ويؤدبه، فسارع إلى إخراج الكتاب، لكي
يكون وسيلته إلى هذا الغرض، تماماً كما
كان «المفضليات» وسيلة تأديب «المهدي»
وتهذيبه.

إن لسان الدين يصوغ هذا المعنى في هذا
السياق الأدبي المتميز :

« ولما طلع الآن الولد عبد الله - يسر
الله نجاته، وعجل تليته لداعي الرشيد

وإجابته ^١ اغتنمت له فرصة العمر عند إمكانها ، واهتمت غرة الدنيا المتقلبة بمكانها ، وأعددت له العتاد الذي يجده ، واستدعيت له المدد الذي ينجده ، واستخرت له من شيوخ وقته من أغضى عنه جمامه ، واتصلت به أيامه ، وله قصائد في الوصايا والمبادئ يستقبل مع التوفيق دروسها ، ويجنى مع السعادة غرسها ، وظهر لي أن أيسر له الآن مجموع هذه الأناشيد ليحاض بها ويتمثل ، ويتأسس البيان بذكرها لديه ويتأمل ، في رقاع تزهو بالقلائد ، وتجعل ثنائيم على نجور الولائد ، على ترتيب معلوم ، ورصف مرسوم ، كالمدح وما يناسبه ، والنسيب وما يناسبه ، والوصف وإن تشعبت مذاهبه ، والملح ومنها محاسن الشيء ومعانيه والحكم والزهد وما اشتمل عليه واجبه ، مما تمامه نسك ، وختامه وسك ، ليكون أجمع للفكر ، وأسهل للذكر .

إن المقدمة — كما رأينا — مكتوبة بأسلوب مشرق ، ونهج موقع ، وقد أوضح لسان الدين أنه تنائق في اختيار مادة كتابه الشعرية ، وأخذ من كل غرض بسبب فاختار روائع المديح والنسيب والوصف والملح والحكم والزهد .

وهي أبواب أجاد الشعراء معالجتها على مر الزمان مهما اختلف المكان وتباينت الأوطان .

ولا شك في أن هذه الاختيارات قد أخذت من المؤلف زماناً طويلاً ربما كان الجزء الأكبر من عمره ، كلما قرأ نصاً شعرياً أعجبه

سجله واحتفظ به في بابه حتى إذا تجمع له من النصوص الجيدة ما يصلح لأن يشكل كتاباً سارع إلى النهوض بهذا العبء وكان الدافع الأكبر إلى ذلك هو أن ولده عبد الله قد بلغ مبلغ اليفاع ، وصار في حاجة إلى التثقيف والتأديب ، فكان أن وضع لسان الدين مختاراته تلك في صورتها التي بين يدينا ، وجعل منها واحداً من المصادر التي تنهض سبباً لتثقيف عبد الله وتعليمه ، وهو في هذا السبيل يختلف مع أبي تمام في « حماسته » ذلك أن أبا تمام جمع مادة « الخماسة » في زمن قصير حين حبسه الثلج عن السفر واضطر إلى الإقامة في همدان ضيفاً على صديقة أبي الوفاء بن سلمة حتى يذوب الثلج ، وتيسر أسباب السفر ، وليس الأمر كذلك فيما يتعلق بلسان الدين الذي جمع مادة كتابه متأنقاً مستأنياً خلال عديد من السنين .

منهج الكتاب :

يقع كتاب « السحر والشعر » في جزئين يضمهما مجلد واحد كبير أو في جزء أصيل وملحق ، تسبقهما مقدمة أنيقة الأسلوب تتناول مبحث السحر والشعر حسب أسلفنا القول .

ومجموع المقطوعات التي يضمها الأصل والملحق ألف وسبع وخمسون مقطوعة ، يضم الأصل سبعمائة وخمساً وأربعين منها ويضم الملحق ثلاثمائة واثنى عشرة . أما أبواب الكتاب فهي المدح ثم الفخر ثم الرثاء ثم النسيب ثم الوصف ثم الملح ثم الحكم والجد .

وأكثر الأبواب عدد مقطوعات هو النسيب ويضم مائتين وأربعاً وأربعين مقطوعة ، يليه باب الوصف ويضم مائتين وسبعاً وعشرين ، يليه باب الملح ويضم مائة مقطوعة وثلاث . أما بقية الأبواب فيضم كل منها عدداً من المقطوعات يقل كثيراً عن المائة .

هذا فيما يتعلق بالأصل أو الجزء الأول ، وأما الجزء التالي أو الملحق فأكبر أبوابه هو أيضاً باب النسيب الذي يضم مائة وأربعين مقطوعة ، وأما بقية الأبواب

فعدد المقطوعات في كل واحد منها دون الخمسين ، وأصغرها حجماً باب الحكم والجد الذي يضم عشرين مقطوعة .

أما المقطوعات نفسها فلا تزيد على أربعة أبيات وفي حالات قليلة تصل إلى خمسة ، ماعداً حالتى استثناء في مقطوعة خميرية لأبي نواس مطلعها :

ودار ندامى عطّلوها وأدّجّوا
بها أثر منهم جديد ودارس

فقد بلغت ثمانية أبيات ، ومقطوعة لأخرى لابن اللبابة في مدح المعتمد بن عباد بلغت أبياتها سبعة .

ولقد حرص لسان الدين - عن قصد منه - أن تكون مقطوعات كتابه مقسمة بين شعراء المشرق وشعراء الأندلس قسمة تكاد تكون منصفة ، فإن كانت ثمة غلبة لفريق فهي للمشاركة ، ولكن بصورة لا تخل كثيراً بالميزان الذي تمثله المؤلف . بل إن المؤلف حرص على تمثيل العصور الزمنية والاصقاع المكانية مع إهمال كامل للعصر الجاهلي الذي لم يختبر منه غير نص واحد لزهير ، ثم اختيار عدد قليل من النصوص لشعراء أمويين محدودين هم جرير وقيس

بنى عامر وقيس بن ذريح ويزيد بن الطثرية ،
وكلها في النسب ، ولعل لسان الدين فطن إلى
أنه مما يخل بمنهج كتابه أن يخصص بابين
طويلين - بل الحق أنهما أطول
الأبواب في كل جزء - ولا يذكر شيئاً
لشعراء النسب في أزهى عصور النسب
بل لعله من العجب حقاً أن يخلو بابا النسب
من نصوص استاذى هذا الفن وهما عمر
ابن أبي ربيعة وجميل بن معمر .

ولنا أن نتساءل والأمر كذلك : هل
ترك لسان الدين - عن قصد - النصوص
الجاهلية والإسلامية والأموية لأن مصنفه
يكتب الاختيارات الشعرية والحماسات
الذين سبقوه قد اختاروا من نصوص هذه
الحقب ما يفي بحاجات الدارسين ؟ ربما
كانت الإجابة بالإيجاب ؛ فقد صنع ذلك
كل من أبي تمام والبحتري في حماستيهما ؛
وأن ذلك من الذي وقر في خاطر لسان
الدين ، إذ أنه ليس مما يتفق وذوق عالما
الكبير أن تكون نظرتة لشعراء هذه العصور
نظرة من يسئ الظن بهم وفيهم امرؤ
القيس وليد والنايعة وحسان والحطيئة
وكعب بن زهير والأخطل والقطامي
والفرزدق وذو الرمة والراعي والسيد

الحميري وابن ميادة وعدى بن الرقاع
وغيرهم من نجوم الشعر وأعلامه .

إذا ما تبعنا أسماء الشعراء بعد ذلك
وجدنا نصوصاً لكل الشعراء المشهورين
في عصر الباكورة العباسية من أمثال بشار
وأبي نواس ومسلم وأبي العتاهية وديك
الجن وأبي الشيص ودعبل والعتابي والعكوك
وأبي تمام وعلي بن الجهم وابن المعتز
وابن الرومي ، ثم يمضي ابن الخطيب مع بقية
شعراء العراق في القرن الرابع الهجري
فيختار مقطوعات لمشاهيرهم من أمثال
الشريف الرضي ومهيار الديلمي والسلاسي
وابن حجاج وابن سكرة الهاشمي وابن
لنكك البصري وابن نباتة السعدي
وقلة أخرى من شعراء العراق ، بل
لعله يمضي مع الزمن ويختار من شعراء
العراق العجمي من أمثال المأموني والأبيوردي
في آخر القرن الخامس .

وإذا كان لسان الدين قد احتفل ببيئة بغداد
ذلك الاحتفال الذي جعله يكثّر من الاختيار
لهذه الكوكبة من شعرائها الذين ساف
ذكرهم ، فإنه قد احتفل بشعراء بيئة
أخرى مرمعة خصيبة هي بيئة حلب في ظل
سيف الدولة الحمداني ، فقدم عدداً كبيراً

من مقطوعات شعراء الأمير، مثل أبي فراس
والصنوبري والسري الرفاء وكشاجم ،
والخالديين والوأواء الدمشقي والناي وأبي
الفرج البغفاء والخباز البلدي ، وأخيراً
المتنبي ، وإن كنا لاحظنا أنه لم يورد لشاعر
العربية الكبير إلا عدداً قليلاً من المقطوعات
لا يتفق ومكانته الكبيرة التي احتلها عن
جداره في مملكة سيف الدولة ، وفي سماء الشعر
العربي . وما دام لسان الدين يصدد الاختيار
من البيئة الحلبية فقد وجد نفسه دون
أن يدري أمام عملاق معرة النعمان ، فاختار
له بعض مقطوعات من شعره .

ولما كان لسان الدين كاتباً شاعراً يثدق
نبرة الشعر الصادر عن الفكر قبل الجوانح
فقد أعجب بفرائد صدرت عن الملكات
الخصبة لكتاب العربية الكبار الذين كانت
لهم مشاركة في الشعر فأورد كثيراً من
المقطوعات لبديع الزمان وأبي بكر الخوارزمي
والوزير المهلب والصاحب إسماعيل بن عباد
وأبي إسحاق الصابي والأمير قابوس بن
وشمكير والبستي وسهل بن المرزبان وأبي
العباس الميكالي وهذان الأخيران من أعيان
مدينة نيسابور ، بل لعل كتاب يتيممة

الدهر للشعالي كان أمام لسان الدين وهو
يختار لبعض هؤلاء ، ومن الطريف أنه اختار
للشعالي نفسه مقطوعة أو مقطوعتين ،
كما اختار مقطوعة للباخرزي صاحب
الدمية التي تعتبر امتداداً لتيمة الدهر .

ولسان الدين عالم بالإضافة إلى كونه
كاتباً شاعراً فشده حنينه إلى العلماء ، ونظر
في أشعار بعضهم فأعجبته فاختارها وضمنها
دفتي كتابه ، فأورد مقطوعات شعرية لكل
من الزمخشري وابن الجوزي وعبد الوهاب
البغدادي والقاضي أبي الحسن الجرجاني
ومجد الدين الأربيلي والخليل بن أحمد
الفراهيدي وابن جبير الرحالة والقاضي
عياض ، بل من الطريف أنه آتى بنص
جميل لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق .

ولم ينس لسان الدين شعراء مصر ، فأورد
مختارات كثيرة لعدد غير قليل منهم
مثل الأمير تميم بن المعز - الذي جمع بين
الصفيتين المغربية والمصرية - والبهاء
زهير وصناجة الدوح شاعر الحاكم بأمر
الله وابن الحداد وابن الساعاتي وابن
قلاقس وابن سيد الناس وابن النبيه وابن
أبي الأصمغ وابن مكنسة وابن وكيع

التنمى ، كما اختار نصوصاً لعمارة اليمنى
الذى جمع بين الحياة فى مصر واليمن .

هذا ما كان من أمر النصوص المشرقية ،
فإذا التفتنا إلى النصوص الأندلسية بخاصة
والمغربية بعامة التى أوردنا المؤلف فى كتابه
« السحر والشعر » وجدنا لسان الدين لم
يكذب بترك شاعراً أندلسياً ناهياً إلا وقد
عطر صفحات كتابه بمقطوعة له أو أكثر
من أمثال المعتمد بن عباد وابن دراج
القسطلى وابن زيدون وابن اللبانة وابن
عمار وابن خفاجة وابن الرقاق والأعمى
التطيلي وابن شهيد وابن بلى والرصاصى
البلنسى وأمية بن عبد العزيز بن أبي
الصلت واليكى وابن زهر وابن سهل
الإسرائيلى وابن حمدى وابن صارة
الشترينى وابن خاتمة وابن الأبار وابن
هانى وابن المرحل ، وهؤلاء الثلاثة الأخيرون
يجمعون بين الصفة المغربية والصفة الأندلسية
وهناك أيضاً ابن زريق وصاعد البغدادى ،
وهذان أيضاً يجمعان بين الصفة العراقية
والصفة الأندلسية ، لأنهما نازحان من بغداد .

ولم ينس لسان الدين أن يختار نصوصاً
شعرية لبعض شيوخه إما إعجاباً بشعرهم
أو وفاءً لهم ، وأغلب ظنى أن العاملين معاً

كانا مسبباً فى هذا الاختيار فأورد نصوصاً
لكل من أبى البركات بن الحاج وأبى جعفر
ابن صفوان وأبى زكريا بن هذيل وأبى
القاسم بن أبى العافية وأبى بكر بن شيرين .

ومن شعراء إفريقية اختار لسان الدين
مقطوعات لكل من ابن رشيق القيروانى
وابن عبدون القيروانى وابن قاضى ميله
وابن هانىء ومالك بن المرحل ، وهذان الشاعران
الأخيران قد مر ذكرهما عند الإشارة إلى
شعراء الأندلس .

ونظر لسان الدين إلى صقلية وشعرائها
فلم ينس أن يذكر نماذج طيبة لكل من
ابن حمديس والأمير ثقة الدولة .

وإذا كان ثقة الدولة هذا الذى مر ذكره
هو واحد من الأمراء ، فإن ذلك لفت نظرنا
إلى أن لسان الدين قد احتفل بالعديد من
الخلفاء والملوك والأمراء الشعراء فأورد
لعدد منهم مختارات عذبة مثل
الرشيد وعبد الله بن المعتز وقابوس
ابن وشمكير وسيف الدولة الحمدانى وأبى
فراس الحمدانى وأحمد بن كيغلغ وتميم
ابن المعز وأسامة بن منقذ والناصر محمد
ابن قلاوون فى المشرق ، والحكم المستنصر
والمعتمد بن عباد فى الأندلس .

وعلى الرغم من كثرة النساء الشاعرات
المجيدات في كل من المشرق والأندلس فقد
لاحظنا أن لسان الدين لم يتمثل لواحدة منهن
باستثناء شاعرة أندلسية هي -
الشاعرة الرقيقة حمدة - أو حمدونة -
بنت زياد الوادي آشي إذ أورد لها أكثر
من مقطوعة ، ولا يزال تعجبنا من إهمال
لسان الدين لشعر النساء قائماً ؛ ففي الأندلس
شاعرات أخريات مجيدات مثل ولادة
بنت المستكفي وأم الكرام بنت صمادح
ومهجة بنت التيان وحفصة الركونية
وكذلك تعج كتب الأدب بالكثير من
تصوص الشاعرات المشرقيات المجيدات .

ولقد بدا لنا أن لسان كان يفضل
بعض الشعراء ، ويقدمهم إذا كانت كثرة
النصوص التي يختارها لشاعر بعينه تعتبر
مقياساً لهذا التفضيل ، فإذا صح هذا
الاستنتاج يكون الشعراء المفضلون لدى لسان
الدين مرتبين على النحو التالي : ابن المعتز
ثم لسان الدين نفسه ، ثم ابن نباتة
السعدي ، ثم البهاء زهير ، ثم مالك بن
المرحل ثم الرصافي البلسي .

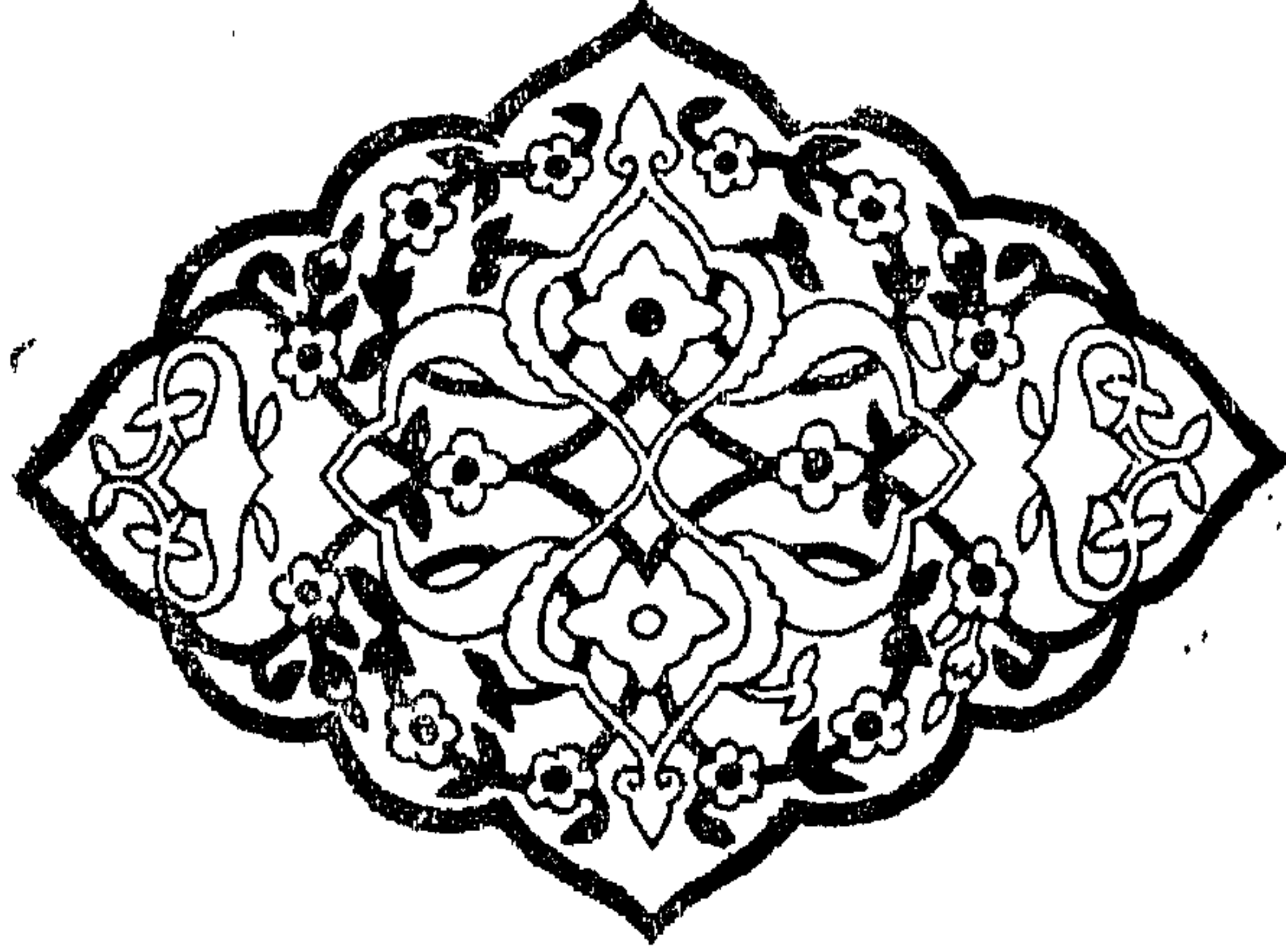
ولمناسبة إيراد لسان الدين عدداً كبيراً
من مقطوعات شعره تجدر بنا الإشارة

إلى أن أصحاب كتب الاختيارات والحماسات
لم تجر العادة بأن يوردوا نماذج من أشعارهم
في اختياراتهم لأن المكان المناسب لذلك
هو دواوينهم وليس المصنفات التي ضمنوها ،
مختاراتهم .

هذا وإن بالكتاب عدداً كبيراً من
المقطوعات الشعرية الجميلة يصعب حصرها
لكثرتها لم ينسبها المصنف إلى قائلها مما
يجعلها غير مكتملة القيمة ، فقيمة الشيء
مرتبطة بنسبه ، وليس من شك في أن
لسان الدين لو بذل مزيداً من الجهد ونسب
هذه المقطوعات إلى قائلها لكان قد زاد
من قيمة هذا النصوص وأعلى من قدر
قائلها .

بقيت ملاحظة أخيرة لعلها لا تتصل
بالمنهج بقدر ما تتصل بالمحتوى والذوق
العام ؛ وهي تتعلق بالنصوص الشعرية
ذات العبارات النابية والألفاظ البذيئة
وذكر العورات ، وهو ما يسمى بالأدب
المكشوف ، وقد كان لسان الدين وقوراً
رفيع القدر غير متهافت في حياته ولا منحرف
وإذا كان لنا من تبرير - إن صح التبرير -
فإن تقليده لمن سبقوه من أصحاب
الاختيارات ، وبخاصة أبي تمام قد يكون

الدافع لذلك ؛ فإن حماسة أبي تمام مليئة
بنماذج من هذا الشعر البديع المكشوف .
ومهما كان الأمر فإن كتاب « السحر
والشعر » للسان الدين ابن الخطيب يمثل
حلقة ذهبية في سلسلة كتب الاختيارات
الشعرية ، التي حفلت بنماذج فريدة من
الشعر تدل على ذوق أدبي رفيع وإحساس
شعري موهب ، اتسم بهما الأديب الألمعي
العالم السياسي الفيلسوف الطبيب الشاعر
الكاتب الوشاح الفقيه المؤرخ الجغرافي
لسان الدين بن الخطيب .
مصطفى الشكعة



* في القرآن والعربية : (٦) الصِّراع بين القُرَاءِ والنُّحَاة للدكتور أحمد علي بن الجندى

رابعاً : أشرنا في المقال السابق إلى مواقف النحاة من القراءات المعزوة إلى قبائل معينة تحت ظاهرة (الكمية : الانتقاص والضعف^(١)) وتم الآن الحديث عن تلك الظاهرة :

كما حذفت النون من : اللذون - في قول أمية بن الأسكر الكشاني : قومي اللذو بعكاظ. طيروا شررا^(٢) من روم قومك ضرباً بالمصاقيل^(٣)

* * *

وقد حذفت النون من الذين ، واستشهد لها أبو العباس ثعلب بقول الحارث ابن ويلة :
فإن ظفر القوم الذي أنت فيهم

١- عزاء البغدادي حذف النون من الذين واللذون واللثان - إلى بني الحارث ابن كعب وبعض بني ربيعة ، واستشهد لها بقول الأخطل :

هما اللثا لو ولدت تميم^(٤)
لقبيل فخر لهم صميم^(٥)

وما قاله الفرزدق :
أبني كليب إن عمي اللذا
قتلا الملوك وفككا الأغلالا^(٦)

واستشهد البغدادي بقول الشاعر :
وإن الذي حانت بفلج دماؤهم
هم القوم كل القوم يأثم خالد^(٧)

(١) ونقصه بها ضعف النطق بالصوت ونقصه

(٢) التصريح ١٣٢/١ ، حاشية عبادة على الشذور ١٥٧/١ ، ليس في كلام العرب ٦٤

(٣) خرافة الأدب ٥٠٣/٢ (٤) مجالس ثعلب ٤٣٣/٢

(٥) انظر الجزء السابق من مجلة المجمع (٦) الخزانة ٥٠٧/٢ ، كتاب مديونية ٩٦/١

والبصريون كعادتهم قالوا^(١) بأن هذا التقصير والحذف ضرورة ، وهكذا كلما رأى البصريون شيئاً يخالف نظمهم وقواعدهم حكموا عليه بالضرورة ، والضرورة مركب سهل عندهم ، وعللوا هذا الحذف بأنه : تخفيف لاستطالة الموصول بالصلة^(٢) .

أما الكوفيون ، فالحذف عندهم : لغة - طالت الصلة أم لم تطل - حكاه عنهم ابن الشجري في أماليه^(٣) .

والذي أراه أن هذه اللهجة عزيت إلى بنى الحارث بن كعب وبعض ربيعة ، فإذا كان الذى تكلم بها من هذه القبائل ، فهى لهجته ، فالبيت الأول للأخطل - وهو من تغلب وتغلب من ربيعة ، والبيت الثانى الذى عزي للفرزدق - غير صحيح وقائله الأخطل أيضاً^(٤) - لأن رواية الأخبار اتفقوا على أن عميه اللذين افتخر بهما هما من تغلب^(٥) ، وتغلب قوم الأخطل

لا الفرزدق ، فالأخطل مثلاً عندما يختصر هذه الصيغ ، فإنما يتكلم على عادة لهجته - لأنه تغلب من ربيعة ، وربيعه فيها تلك الظاهرة ، أما إذا تكلم بها أمية بن الأسكر فتكون فى شعره ضرورة ، لأن نسبه يؤول إلى مضر ، وليس فيها تلك الظاهرة . وقد حمل على لهجة ربيعة ويلحارث قوله سبحانه « مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم » فقد قيل إن المعنى : كمثل الذين استوقدوا ناراً - فلذلك قيل : ذهب الله بنورهم فحمل أول الكلام على لفظ الواحد وآخره على الجمع^(٥) . ومن العجيب أن بعض العلماء^(٦) يحمل قوله تعالى : « تماماً على الذى أحسن^(٧) » فيمن قرأ « أحسنوا » على الجمع بأن الأصل : الذين أحسنوا ، فحذف نون الذين لطول الكلام بالموصول

(١) الخزانة ٤٩٩/٢

(٢) الخزانة ٤٩٩/٢

(٣) المفصل للزحشرى ص ١٤٣

(٤) خزانة الأدب ٤٩٩/٢

(٥) أمالى الشجرى ٢٠٧/٢

(٦) محب الدين أبو البقاء المكي / انظر فى ترجمته . بغية الوعاة ٢٨١

(٧) الأنعام ١٥٤

والصلة ، ثم يعقب العكبري على تلك القراءة السابقة بقوله « وقد جاء في الشعر :^(١)

أبني كليب إن عَمِيَ السدا

قتلا الملوك وفككا الأغلالا^(١)

وهذا يشير من طرف خفي إلى مهاجمة تلك القراءة من جانب العكبري ، ومن سار في ركابه وأضرابه حيث نظر لها بالشعر ، والشعر محط الضرورة . لاسيما قد سجلت كتب الضرورة هذا الشاهد الشعري السابق في تضعيفها^(٢) ، على أن حذف النون من اللذين واللتين والذين عندها بعضهم ضرورة ، ورآها الآخرون لغة^(٣) .

* * *

٢ - كذلك مالت بعض القبائل البدوية

إلى حذف النون إذا وليها ساكن ، وقد عزاها الأزهرى في تصريحه إلى قبائل زبيد وخثعم ، واستشهدوا للظاهرة :

(ا) لقد ظفر الزوار أقفية العدا
بما جاوز الآمال (ملاشر) والقتل^(٤)

(ب) وبقول المغيرة بن حبياء :

إني امرؤ حنظلي حين تنسبني
لا « ملعتيك » ولا أخوالي العوق^(٥)

(ج) والحارث بن خالد المخزومي :

عاهد الله إن نجا « ملهنايا »
لتعودن بعدها حرميا^(٦)

(د) وقول كثير :

إذا وصلتنا خلّة كي تزيلها
أبيننا وقلنا الحاحية أول

لها مهل لا استطاع دراكه

وسابقة « ملحب » لاتتحول^(٧)

(هـ) وفي خصائص ابن جني :

نحن ركب « ملجن » في زى ناس
فوق طير لها شخوص الجمال^(٨)

(١) إعراب القراءات الشواذ : ورقة ٧٣ ج ١ للعكبري رقم ١١٩٩ تفسير دار الكتب المصرية .

(٢) أنظر : ما يجوز للشاعر في الضرورة ٦٤ للقرّاز القيرواني . ط تونس .

(٣) الضرائر للألوسي ٦٨ ط السلفية بمصر .

(٤) التصريح ٢ / ٢٩ .

(٥) الشعر والشعراء ص ١٥١ تحقيق السقا .

(٦) الكامل للمبرد ٢ / ٢١٨ .

(٧) الشعر والشعراء : ٢٠٢ تحقيق السقا .

(٨) الخصائص ١ / ٣٠٢

(و) وفي همع الهوامع :

كأنهما « ميلآن » لم يتغيّرا
وقد مرّ للدارين من بعدنا عَصْرٌ^(١)

وإذا كانت هذه الظاهرة وهي حذف

النون قد عزيت إلى خثعم وزبيد - فإنها
زحفت حتى اتسعت رقعتها فشملت
مناطق من تميم، وهذيل وخزاعة، كما
نلاحظ الظاهرة في لهجاتنا المعاصرة، مما
يؤكد أن في النازلين الأولين في مصر من
العرب قوماً من خثعم وزبيد :

ويقراً ابن محيصن : « يسألونك
عَلَّنْفَال^(٢) » بحذف النون عندما تلاها
ساكن - وهي لهجة خثعم وزبيد كما
تقدم .

يقول أبو إسحاق : يجوز حذف النون
من [مِنْ وعن] عند الألف واللام لالتقاء
الساكنين^(٣) ، ولكن ابن عصفور ومن
تبعه يسمّ هذه اللهجة بالضرورة^(٤) وذلك

على الرغم من أنها وردت في القراءات
القرآنية ، ولا ضرورة في القرآن ، وغاب
ن ابن عصفور وأضرابه أن الظاهرة
قديمة سامية ، ففي الصفوية : « فهلّت سلم
مشنا^(٥) » وأصلها من الشاني . أي : المبغض
أو العدو فحذفت النون من حرف الج
وهو [من] ثم ركبت مع الكلمة بعدها .
وكثيراً ما يرى هذا التقصير والانتقاص
- إذا لقيت النون لام المعرفة حيث
تتردد مثل هذه التعبيرات :

بلحرث ، بلعنبر ، بلهجم^(٦) ، والأصل
بنو ، فحذفت النون .

* * *

٣- ذهب السيرافي في شرحه لكتاب
سيبويه أن (استحييت) فيه لغتان :
إحداهما : استحييت ، والأخرى استحييت
فأما استحييت بياءين فهي لغة أهل
الحجاز ، وأما اللغة الأخرى وهي استحييت

(١) المجمع ٢٠٨/١

(٢) مختصر شواذ القرآن ٤٨ لابن خالويه .

(٣) الدرر اللوامع ٢٣١/٢

(٤) المجمع ٢٠٠/٢

(٥) تاريخ العرب قبل الإسلام : ٢٦٢/٧ جواد علي .

(٦) الكامل للمبرد ٢١٨/٢

بياء واحدة فهي لغة بنى تميم^(١) واختلف العلماء فيما حدث فيها : فالخليل يذهب إلى أنه مبنى على حَيٍّ معلا لإعلال هاب وباع فكأنه قيل حَيٍّ ، فكما تقول في باع استبعت ، تقول في حَيٍّ استحييت ، فاستحي - على هذا في الأصل : استحاي كاستباع ، فحذفت حركة الياء فالتقى ساكنان فحذفت أولاهما ، ثم قلبت الياء الساكنة ألفا لانفتاح ما قبلها ، والملازى : يذهب إلى أن استحييت - أصله استحييت فاستثقلوا اجتماع ياءين ، فألقوا الأولى منهما تخفيفاً وألقوا حركتها على الحاء ، وألزموها الحذف تخفيفاً^(٢) .

وإذا نظرنا إلى الصيغة في ظل القرآن الكريم وجدنا الجمهور يقرأ « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً^(٣) » بياعين والماضى استحيا ، وتلك لغة الحجاز وقرأ

ابن كثير في رواية شبل ، وابن محيصن ويعقوب : يستحي - بياء واحدة وهي لغة تميم ، وعليها قول الشاعر :
* ألا تستحي منسا ملوك وتتنق^(٤) .

والماضى : استحي . وعزا صاحب الخزانة قراءة حذف الياء إلى يعقوب وابن محيصن^(٥) كما نسبها ابن خالويه إلى ابن كثير وابن محيصن^(٦) .

وينكر ابن منظور قراءة حذف الياء وانتقاصها ، معتمداً على أن القرآن الكريم لم ينزل إلا بلهجة الحجاز^(٧) كما أنكرها صاحب المصباح حيث يرى أن القرآن نزل بلغة الحجاز في تلك الصيغة^(٨) ، وقد رأينا أن ابن كثير المكي ، وابن محيصن المكي القرشي قرءا بما أنكره ابن منظور وغيره بكسر الحاء وياء واحدة ساكنة ،

(١) شرح السيراني على سيبويه ٦ / ٣٠٥ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٢٨ نحو تيمور ، وانظر مختصر شواذ القرآن ص ٤ لابن خالويه ، وشرح الشافية ٣ / ١١٩ فابعدا ، والبحر المحيط ١ / ١٢٠ فابعدا ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٠ / ١١٨ .

(٢) شرح المفصل ١٠ / ١١٨ والشافية ٣ / ١١٩ .

(٣) البقرة ٢٦ .

(٤) الجمع ٢ / ٢١٩ ، والبحر ١ / ١٢١ ، والنهر الماد ١ / ١١٨ .

(٥) الخزانة ٢ - ٢٨٠ .

(٦) مختصر شواذ القرآن ٤ .

(٧) اللسان ١٨ / ٢٣٨ .

(٨) المصباح ١ / ٢٤٩ .

وهي لغة تميم وبكر بن وائل^(١)، ولا التفات إلى إنكار المنكرين، لأن القراءة أساسها التلقى والرواية، والدليل على ذلك أن كلا من القارئين قد قرأ بما خالف لهجته.

٤ - بعض قبائل العرب كانت تحذف ألف ضمير الغائبة في الوقف، وقد أثر عنهم قولهم «والكرامة ذات أكرمكم الله به»^(٢) وقول عامر بن جوين الطائي: فلم أر مثلها خباسة واجد^(٣) ونهنت نفسي بعدما كدت أفعلة

وتوجيه هذا أنهم في الوقف حذفوا ضمير المؤنثة الغائبة، فأصل: به في الشاهد الأول (بها)، فحذفت الألف الأخيرة وسكنت الهاء بعد أن نقلت حركتها إلى الباء قبلها، كذلك الأصل في الشاهد الشعري: أفعلها - أي الخصلة، فحذفت الألف وألقيت فتحة الهاء على ما قبلها وقد عزيت الظاهرة لقبائل طيء^(٤)

وعزيت في الإنصاف لقبيلة لخم^(٥)

ورأى بعض النحاة أن هذا الحذف ضرورة، وحجته أن من حذف الواو من نحو «كأنه صوت جاد» ومن نحو «لله أرقان» لم يقل في نحو «رأيتها»، و«نظرت إليها» إلا بإثبات الألف، وذلك لخفة الألف وثقل الواو، وروى ابن جني عن قطرب شاهداً لهذا الحذف:

أعلقت بالذئب حبلاً ثم قلت له
الحق بأهلك وأسلم أيها الذئب
إمّا تقود به شاة فتأكلها
أو أن تبعة في بعض الأراكيب

يريد تبيعها - فحذف الألف وهذا شاذ. ونصر من العلماء يرى بأن هذا الحذف والانتقاص ضرورة^(٦) والقائلون بالضرورة معجوجون بأن الظاهرة وردت في النثر كما سبق، مما لا يمكن أن يكون ضرورة، كما جاء عنهم «نحن جيتاك

(١) القراءات الشاذة ص ٢٥ عبد الفتاح القاضي

(٢) المبع ٢/ ٢٠٦

(٣) الجهرة ١/ ٢٣٤

(٤) الجهرة ١/ ٢٣٤، الأشموني ٤/ ٢٠٥، فابعدا، والدرر اللوامع ٢/ ٢٣٢

(٥) الأنصاف ٢/ ٣٣١ ط حجازي

(٦) الضرائر ٨٠ للألوسي

بَهْ « أَى بها ^(١)، ومحجوجون كذلك بقراءة قرآنية قرأ بها على وعُروة في قوله تعالى : « ونادى نوح ابنَهُ » قرءا « ابنَه » أَى «ابنها» والمعنى : ابن امرأته ^(٢). ولا ضرورة في القرآن .

كما أرجح أن ما ورد في نقش النارة « فى نفس مر القيس بر عمر وملك العرب كله ذو أسر التّج » أن كلمة « كله » جاءت على الوقف بالحذف السابق، وربما كانت تنطق ^(٣) « كلها » كما سمعت هذه الظاهرة في بعض اللهجات العربية - المعاصرة ^(٤).

وأميل إلى أن الظاهرة هذه لغة وليست ضرورة . لأن قبيلة طيء كانت تنتقص من أطراف الكلمة ماتريد، فقد جاء عنهم « كيف الإخوة والأخوات » « وكيف البنون والبنات » ^(٥).

وعلماء النحو يقولون الأصل : البنات والأخوات ، أبدلت من التاء هاء في الوقف. وقد جانبهم الصواب أو جانبوه ، ويرى أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس رحمه الله « أن هذه الظاهرة ليست في الحقيقة قلب صوت إلى آخر ، بل هى حذف الآخر من الكلمة ^(٥) ، والهاء للسكت » فما خيل للنحاة أنه هاء متطرفة مبدلة من التاء كابن يعيش والسيوطى والأشمونى وصاحب التصريح ليس بصحيح ، وإنما الصحيح أن التاء حذفت ، وهذا يتفق ومذهب طيء في الحيف على أواخر الصيغ ، ومعروف لدينا من ذلك : قُطْعَة طيء ، ثم إن قبائل البدو عامة كانت تشيع فيهم تلك الظواهر يقول ابن جنى « إن عامة عقيل تقول فى القرات : القراة ^(٦) » وما عقيل إلا قبيلة بدوية كطيء ، يؤيد هذا قراءة الكسائى والبزى « هيهاه هيهاه ^(٧) » ، وهى معزوة فى الأشمونى لطيء ^(٨).

* * *

(١) وانظر أمثلة أخرى فى الإنصاف لابن الأنبارى ٢ / ٣٣١ ط حجازى .

(٢) البحر ٥ / ٢٢٦ ، المحتسب ١ / ٣٢٢ طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٣) من لهجات الجزيرة وآدابها بالسودان ٣٣٦ دكتور عبد الحميد طلب مخطوطة بجامعة القاهرة .

(٤) التصريح ٢ / ٣٤٣ ، شرح المفصل ١٠ / ٤٥

(٥) فى اللهجات العربية ١٢٤ ط ٢ د . أنيس (٦) المحتسب ١ / ١٤٣ تيمور (خط) .

(٧) المؤمنون ٣٦ ، وانظر التصريح ٢ - ٣٤٣ ، مختصر شواذ القرآن ٩٨ لا بن خالويه .

(٨) الأشمونى ٤ / ٢١٤

هـ - وأعرض الآن عدة قضايا يأخذ بعضها بحجز بعض :

الأولى : أن الفتحة تظهر لخفتها على الياء في المنقوص ، وقد تحذف في ضرورة الشعر كقول رؤبة يصف إبلا :

(١) كَأَنَّ (أَيَدِيَهُنَّ) بِالقاعِ القَرِقِ
أَيْدَى جِوَارٍ يَتَعَاطِينَ السُّورِقِ^(١)

وكان حقه أن يقول : كَأَنَّ « أَيَدِيَهُنَّ »
ولكن لما وجد الياء ليننة أرسلها ع لينها
ولم يفتحها وهو في ذلك كقول زهير :
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه

مطيع (العوالى) ركبت كل لهزم

وكان حقه أن يفتح الياء من (العوالى)
لأنه مفعول به ، ولكنه أرسل الياء للينهائها.^(٢)
وفي كتاب عبث الوليد^(٣) :

(ب) إن (الغوائى) غداة البين نُظُنُّ لنا
ما أمل الدنف المضنى بما خافا

فقد حذف الفتحة من ياء (الغوائى)
وذلك جائز بلا اختلاف ، وهو عند سيبويه
ضرورة ، وعند الفراء لغة .

(ج) وقول الشاعر يصف إبلا دميت
أخفاقها :

كَأَنَّ (أَيَدِيَهُنَّ) بِالمومة
أَيْدَى جِوَارٍ بَتْنٍ نَاعِمَاتِ^(٤)

(د) وقول رؤبة :

سوى (مساحيهنَّ) تقطيط الحُقُقِ
تَقْلِيلَ مَا قَارَعَنَ مِنْ سُمرِ الطُّرُقِ^(٥)

(هـ) وقال بعض السعديين :

* يا دار هتد عفت إلا (أثافيها)^(٦) *

(١) ديوان رؤبة ١٧٩ ، شرح أبيات سبوية للنحاس ص ١٥ تحقيق خطاب . حلب ١٩٧٤ ،
شرح السيراني على سبوية ٤ / ٣٦٩ مخطوط بالتيموريه ٥٢٨ نحو ، المحتسب لابن جنى ١ / ١٢٥ ط المجلس
الأعلى ، مع الموامع ١ / ٥٣

(٢) شرح أبيات سبوية للنحاس ص ١٥-١٦

(٣) ص ١٤٥ ط الترقى ١٩٣٦ .

(٤) المحتسب ١ / ١٣٥ ط المجلس الأعلى .

(٥) ديوان رؤبة ١٠٦ ، المحتسب ١ / ٣٥٩ مخطوط بالتيمورية ، شرح أبيات سبوية للنحاس ٣١٨ والرواية
من كم ، شرح السيراني على سبوية ٤ / ٣٦٩ بالتيمورية .

(٦) شرح أبيات سبوية للنحاس ٣١٩ ، شرح السيراني ٢ / ١٨١ ، الكتاب ٥٥ / ٢ ، المحتسب ١ / ١٢٥ ط
المجلس الأعلى ، مايجوز للشاعر في الضرورة للقزاز ص ١٠٦ تحقيق المنجى الكمى تونس ، وانظر شواهد أخرى
في الجمع ١ / ٥٣ ، الدرر اللوامع ١ / ٢٩ ، شرح المفصل لابن يعيش ١٠ / ١٠٣

وسكان أبو العباس يذهب إلى أن إسكان هذه الباء في موضع النصب من أحسن الضرورات ، وذلك لأن الألف ساكنة في الأحوال كلها ، فكذلك جعلت هذه . ويقول النحاس : وهذا كله مسكن في موضع النصب استخفافاً في الشعر ؛ لأن (الباء والواو) معتلان فيخفان بالسكون^(١) .

ويلاحظ أن النحاة قرنوا بعض

القراءات القرآنية بتلك الشواهد الشعرية السابقة ، والتي كانت محطاً للضرورات ، وضعوا الشعر بموازاة القرآن ، ونشير إلى جوانب من ذلك : قراءة طلحة بن سليمان : (أن يُحيى الموتى)^(٢) ساكنة الباء . قال ابن جني : معنى قول ابن مجاهد أنه قرأه على سكون الباء من : " يُحيى على لغة من قال :

* « يادار هند عفت إلا أثافيها » *
فأسكن الباء في موضع النصب^(٣) .

فانظر معي إلى قول ابن جني يصف القراءة السابقة بأنها جاءت محمولة على

الشاهد الشعري ، والشاهد محمول على الضرورة عند النحاة ، فكأنه يعارض القراءة من طرف خفي .

يؤكد هذا أن أبا العباس يقول : إسكان هذه الباء في موضع النصب من أحسن الضرورات^(٤) .

فهذه معارضة صريحة للقراءة من أبي العباس ، وكيف تكون القراءة القرآنية ضرورة ، مع أن الظاهرة وردت في النثر العربي حين قالوا : لا أكلمك حيرى دهر . فأسكن الباء من حيرى - وهي في موضع نصب - وهناك قراءات قرآنية تؤكد ما سبق منها :

* ثاني عطفه^(٥) .

* ثاني اثنين^(٦) .

* من أوسط ما تطعمون أهاليكم^(٧) .
باسكان الباء .

* نعمتي التي أنعمت عليكم^(٨) .

(١) شرح أبيات سبيويه للنحاس ١٣٩ .

(٢) المحتجب ٢ / ١١١ بالتيمورية .

(٣) الحج : ٩

(٤) التوبة ٤٠

(٥) القيامة ٥٠ .

(٦) المحتجب ٢ / ١١١ بالتيمورية .

(٧) الجمع ١ / ٥٣

(٨) البقرة ٤٠

وجميع ما سبق من القراءات تقف
سداً منيعاً في وجه النحاة ، فالقرآن موضع
اختيار لا اضطرار .

الـثانية : المضارع الذي آخره واو أو ياء
نقدر الضمة عليه لشقلها ، ولخفة الفتحة
عليها ظهرت ، وخلاف ذلك ضرورة^(١)

وفي نظر النحاة تعتبر الشواهد الآتية
من الضرورات :

١ - قول الأخطل :

إذا شئت أن تلهو ببعض حديثها^(٢) .

٢ - وقول عامر بن الطفيل :

فما سودتني عامر عن وراثته

أبي الله أن أسمو بأُم ولا أب^(٣)

٣ - وقول حندج ابن حندج المري :

ما أقدر الله أن (يُذني) على شَحَط

من داره الحزن من داره صول^(٤) *

وحكم الشنقيطي على هذا الشاهد ،^(٥)
وأضربه بالضرورة .

٤ - وقول جرير :

هو الخليفة فارضوا ما (رضي) لكم
مأضي العزيمة ما في حكمه جَنَفُ^(٦)

لكن النحاة حملوا قراءات قرآنية
على هذا الشعر السابق ، والذي كان محلاً
للضرورات الشعرية ، وقد حاولت أن
أجمع قدراً صالحاً من ذلك :

* « أو يعفو الذي بيده^(٧) » . ساكنة
الواو ، وهي قراءة الحسن .

* « أن يأتى يوم^(٨) » بإسكان الياء ،
حكاه أبو زيد عن الكلابيين^(٩) .

* « وذروا ما بقي من الربا^(١٠) » بكسر
القاف ، ساكنة الياء ، وهي قراءة أبي^(١١)

(١) الهمع ١ / ٥٣

(٢) ديوان الأخطل ٩١ والخصائص ٢ / ٣٤٢

، والهمع ١ - ٥٣

(٣) الخصائص ٢ / ٣٤٢ والمختضب ١ / ٢٥ ط المجلس الأعلى والأشمونى ١ / ١٠١

(٤) الأشمونى ١ / ١٠١ صول : اسم مدينة في بلاد الخرز / الأماطى ط / ١ / ١٣١ ط / الهيئة العامة للكتاب

(٥) المختضب ١ / ١٤١ ط المجلس الأعلى

(٦) الدرر اللوامع ٢ / ٢٢٤ .

(٧) مختصر شواذ القرآن ص ١٥ الهمع ١ / ٥٣ والمختضب ١ / ١٣٧ مطبوع بالمجلس الأعلى .

(٨) مختصر شواذ القرآن لابن خلدويه ١٦ .

(٨) البقرة ٢٥٤ .

(١١) مختصر شواذ القرآن ١٧ .

(١٠) البقرة ٢٧٨ .

وينسب أبو حيان في البحر المحيط^(١) ،

هذه القراءة إلى الحسن ، ومن العجيب

أن ابن جني^(٢) يقول عن هذه القراءة

« ومجازها مجاز بيت نهشل بن حري :

فلما تبين غبّ أمرى وأمره

وولّت بإعجاز الأمور صدورُ

فهو يحمل القراءة على الضرورة ؛

لأن الشاهد به ضرورة .

* « فاستمسك بالذي أوحى إليك »^(٣)

بإسكان الياء عن بعض أهل الشام^(٤)

الثالثة : وقد حذفت حركة البناء

في الضمير : هو ، هي ، وعُدَّ هذا الحذف

ضرورة ، ورد في ضرائر الألويسي^(٥) : إن

تُحذف المتحرك من : هو ، هي - معحول

على الضرورة عند غير بني أسد ، وأنشد

أبو الهيثم :

وكنّا إذا ما كان يومٌ كريهية

فقد علموا أنّي وهُوَ فتيان^(٦)

وقد أنكر الزجاج سكون الواو والياء

في : هو ، هي ، محتجاً بأن كل مضمّر

حركته إذا انفرد : الفتح نحو : أنا -

فكما لا يستقيم سكون هذه النون ، كذلك

لا تسكن هذه الواو ، وردّ عليه أبو علي

بسكون النون في : أنت - لأن التاء حرف

خطاب^(٧) .

والحق أنه يجوز حذف الحركة من

الواو والياء للروايات الكثيرة في :

(ا) الشعر كما سبق ، ومن ذلك قول

الشاعر :

وركضك لولا هو لقيت الذي لقوا

فأصبحت قد جاورت قوماً أعادياً^(٨)

(ب) النثر مثل قولهم : هي قالت ،

وهو قاله^(٩) . وهي فعلت بإسكان

الياء^(١٠) .

(ج) كما أن هذه الظاهرة عزيزة لغة

لقبيلة قيس^(١١) .

(١) ٣٣٧ / ٢ .

(٢) الخصائص ١ / ٧٤ .

(٣) الزخرف ٤٣ .

(٤) مختصر شواذ القرآن ١٣٧ .

(٥) ص ١٧٨

(٦) أنظر اللسان ٢٠ / ٣٦٨

(٧) الدرر اللوامع ١ - ٣٧

(٨) الجمع ١ / ١٦ سطر ٦ ، وانظر الدرر ١ / ٣٧ .

(٩) اللسان ٢٠ / ٣٦٨ .

(١٠) الجاسوس ٤٧ ، وانظر : ما يجوز للشاعر في الضرورة ١١٧ للقرّاز . ط تونس .

(١١) الدرر اللوامع ١ / ٣٧

كما حكيت لغة لأسد وقيس^(١) .
 فالظاهرة قد تكون لغة ، كما حكيت عن
 تلك القبائل في الشعر والنثر ، وقد تكون
 ضرورة عند غير هذه القبائل ، وأما الإنكار
 كما ورد عن الزجاج وأضرابه من النحاة ،
 أو القول بالضرورة لا غير كما سبق -
 فلا معنى له ، لاسيما إذا عرفنا أن حذف
 الحركة في المبني ورد في قراءات قرآنية
 نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى :
 ﴿ وَذُرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ^(٢) ﴾ بكسر القاف
 وسكون الياء ، وهي قراءة أبي والحسن .
 فلو حملنا الظاهرة على الضرورة وحدها
 كما ورد عند كثير من النحاة ، كان علينا
 أن نحمل القراءة القرآنية السابقة على
 الضرورة ، والقرآن محط اختيار لا اضطرار
 وقد يكون من المفيد أن ننظر من الجانب
 التاريخي لهذين الضميرين : هو ، هي ،
 فقد مرّا بأطوار منها : أن الأصل (هو)
 hūa و (هي) hīa ، إذ أنهما
 في العبرية والآرامية القديمة **הו** و **הי**
 بآلف في الآخر ، وهي تشير إلى الهمزة^(٣) .

وقد حذفت الهمزة في العربية وأبدلت
 واوا في المذكر وياء في المؤنث فصارت
 هو ، هي في العربية الفصحى ، و (هو)
 (هي) في العبرية والسريانية ، فحذفت
 الحركة كما ترى من هذا العرض في تلك
 الضمائر كان في أخوات العربية والسامية
 الأخرى ، ولهذا لم أسرّ سير النحاة العرب
 حيناً رأوا تحويل فتحة الواو والياء
 إلى سكون ، ضرورة ؛ لأن هذه العملية
 لها جذور في الساميات : العبرية والسريانية
 وغيرهما ، وبقيت منها أمثلة يسيرة في
 العربية : رميت بالضرورة من جانب -
 النحاة العرب ، ولكن القراءات القرآنية
 - وإن كانت شاذة - فقد حذفت الحركة
 وحل محلها السكون ، وبذلك تكون قد
 احتفظت بالجذور القديمة في الساميات ؛
 وقد جمعت قدراً يؤكد ما أذهب إليه .
 * « حتى يلج الجمل » بسكون الميم ،
 وقد أنكر ذلك النحاة : منهم سيبويه
 والسيرافي وابن جني وغيرهم .

(١) الجاسوس ٤٧ .

(٢) مختصر شواذ القرآن ١١٧ .

(٣) التطور النحوي ٥٢ برجستراسر ، وانظر مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة مجلد ١٠ جزء ١ ص ٣٨ .

أبو علي « والوجهان » (ويقصد جواز الفتح
والسكون في الضميرين : هو ، هي) -
متكافئان في العمل إلا أن الفتح هو المشهور
نقلاً^(٢) .

فهذا اعتراف من واحد من النحاة ،
ثم إننا نرى الفتح والسكون يتقاربان
ويجريان مجرى واحداً كما رأينا^(٣) ، بل
كان ذلك في العربية شرعة ومنهاجاً .

(للبحث بقية)

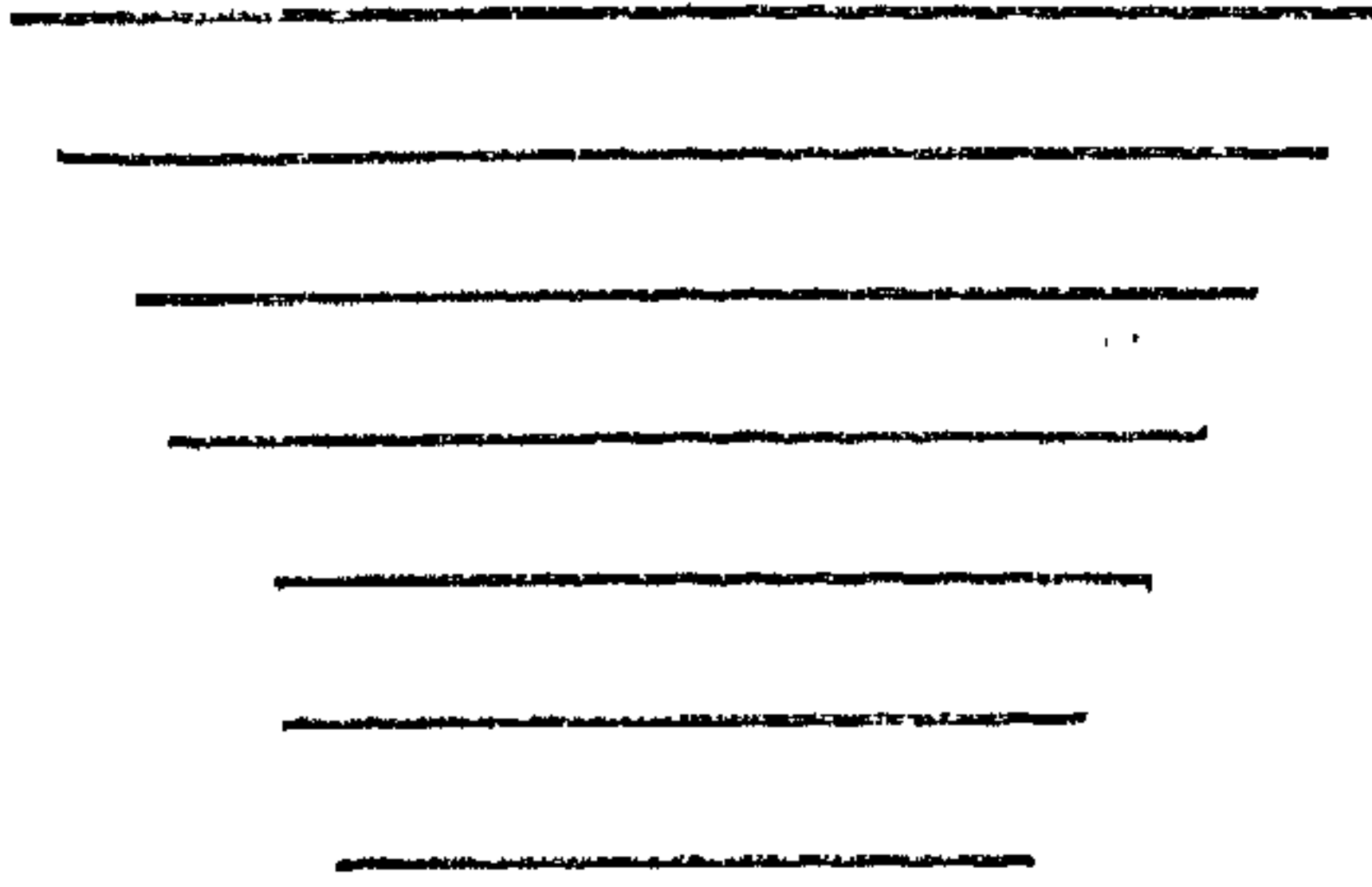
أحمد علم الدين البجندى

* « ويدعوننا رغبا ورهبا » بالإسكان .

* « ومن يقتل مؤمناً متعمداً » ساكنة
القاء . وقد حكم النحاة على تلك -
القراءة بأنها غاية في الشذوذ والوهن^(١) .

* « وذروا ما بقى من الربا » بكسر
القاف وسكون الياء وهي قراءة أبي .

والحق أن أبا علي قد فطن لشيء من
هذا في جملة ساقها الشنقيطى ، يقول



(١) أنظر مقالنا : دراسة في حركية عين الكلمة الثلاثية في العربية ؛ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة مجلد ٢٩

(٢) الدرر اللوامع ١ / ٣٧ .

(٣) أنظر أمثلة في : المختص لا بن جنى ١ / ٤٥ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بتحقيق الأستاذ على النجدي
والدكتور . عبد الفتاح شلبي - القاهرة .

طارة في القاموس تحتل شرحها مستخرج العروس للأستاذ مصطفى حجازي

من بينهم من نقل عن المؤلف في ذلك
الموضع .

فإذا لم تغن هذه المحاولات شيئاً ،
فحسبه أن ينبه إلى هذا السقط ، لئلا من
بين القراء من يهتدى إليه فيهدى إلى
إصلاحه ، ليتدارك في طبعه لاحقة ،
وهذا شيء مألوف للعاملين في ميدان
تحقيق التراث ، وكثيراً ما ينبه
مصححو الكتب القديمة في حواشي
طبعتها على مثل هذا بعبارة مألوفة ، كقولهم :
« كذا بالاصل وحرر » أو « كذا في
النسخة التي بأيدينا ، ولعل هنا سقطاً ،
وحرر » .

وقد صادفني من ذلك شيء غير قليل
أثناء عملي في تحقيق أجزاء من شرح

ما يعرض للمحقق أثناء
عمله في كتاب ما ، أن



يجد سقطاً في سياق الكلام ، فيلجأ إلى النسخ
المختلفة باحثاً عن هذا السقط ليعيد به إلى موضعه ،
حتى يصبح السياق ، ويستقيم التعبير .

فإذا لم تكن ثمة نسخ غير تلك التي
اعتمدها أصلاً في عمله - والتي بها ذلك
السقط - ذهب يبحث عن مصادر المؤلف
التي أخذ عنها في هذا الموضع ، ويهون
عليه الخطب إذا كان المؤلف قد أشار إلى مصدره
الذي نقل عنه ، أما إذا لم يشر إليه فقد أحوج
المحقق إلى الاجتهاد في البحث عنه في مظانه

المختلفة ، حتى يجد النص كاملاً في
واحدة منها ، وربما احتاج الأمر أيضاً إلى مراجعة
كتب من ألفوا في هذا الفن من بعده ، فقد يكون

القاموس المحيط المسمى (تاج العروس ^(١)) للزبيدي ، ولم يكن هذا السقوط في غالب الأمر يزيد على الجملة أو الجملتين ، وقليل ما بلغ السطر والسطرين ، وقد هدى الله إلى إصلاح ما صادفني من ذلك فيما حققته من أجزاءه ، وفيما راجعته من تحقيق غيري ، ولعل مرد ذلك إلى أنني صحبت هذا الكتاب صحبة طويلة أكسبته معرفة بمصادره المختلفة التي نقل عنها ، وصرت أورد نقوله إلى مواضعها من هذه المصادر - حتى ولو لم يشر إليها -

و كنت - في مطلع هذا العام - أعمل في تحقيق الجزء الخامس والعشرين منه (بتجزئة الطبعة الجديدة المحققة) ويشتمل هذا الجزء على المواد من أول

(برق) إلى أول (صدق) - فصادفت من هذا السقط ما هو خارج عن المؤلف الذي يمكن إصلاحه بالتماسه في مظانه ، أو سد خياله بالقليل من العبارات أو الأسطر التي تسقط أحياناً من ثنائيا ما ينقله المصنف ، فنالت مسها في بعض مصادره ، ونعيها إلى مكانها من الكلام ، فيستقيم النص ، ويطرد السياق .

أقول : لم يكن ما صادفته في هذه المرة من ذلك النوع المؤلف ، بل كان مقداراً كبيراً يشمل شرح مادة كثيرة المعاني ، واسعة التصرف ، وجد رأسها ، وضاع سائرها ، وعلينا أن نبحث عن هذا الضائع لنعيده إلى مكانه من الرأس حتى تكتمل المادة : وتستوى في صورتها الصحيحة ، فتصبح مثل غيرها

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ، صنفه محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي ، نزيل مصر (المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ) وقد قضى في تأليفه أربع عشرة سنة ، وفرغ منه في ثاني شهر رجب سنة ١١٨٨ هـ وجمع في ثنائيه كثيراً من أمهات كتب اللغة والبلدان والأراجم ، فأذن به عن الرجوع إليها . وجاء كما قالوا : « كل الصيد في جوف الفرا » وقد طبع لأول مرة في المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦ - ١٣٠٧ هـ في عشرة مجلدات كبار .

ومنذ أكثر من عشر سنوات كانت تلك الطبعة تعد نافذة حتى أصبح العثور على نسخة منها تكليفاً بما لا يكاد يطاق ، وعند ذلك نشطت إحدى دور النشر في بيروت - بحاسة التاجر الذي يعرف كيف يشيم بروق الربح - فأعادت نشر هذه الطبعة بطريقة التصوير (الأوفست) فكان سعيها ذاك - كصنيعها في غيره من الطبعات القديمة لكتب كثيرة - ميسراً للحصول على نسخ تلك الطبعة النافذة ، ومحققاً لأرباح مؤكدة دون أية فائدة علمية .

وفي سنة ١٩٦٢ م . أقرح الأستاذ المحقق عبد الستار أحمد فراج - المراقب العام لمجمع اللغة العربية حينذاك - على وزارة الإعلام في دولة الكويت أن تعنى بتحقيق هذا الكتاب القيم ونشره ، فاستجابت لذلك ، وعهدت إليه أن يختار المحققين ، وأن يرسم المنهج لتحقيقه ، فنهض بذلك مشاركاً بتحقيق بعض الأجزاء ، ثم تفرغ للإشراف عليه تحقيقاً ومراجعة ، حتى آتمه بعون الله ، ولا يزال يتابع ما تخرجه المطبعة من أجزاءه التي صدر منها حتى الآن سبعة عشر جزءاً ، ويظهر سائرها تباعاً - إن شاء الله -

من مواد الكتاب ، وهذه المادة هي مادة (رفق) فقد قدر لها أن يختفى شرحها من الطبعة الأولى لتاج العروس ، وإذا رجعت إلى هذه المادة في تلك الطبعة وجدت الزبيدي - رحمه الله - يبدأ في شرح المادة ميمزاً عبارة القاموس بين قوسيه ، ومنضداً شرحه خارج تلك الأقواس - جرياً على عادته - ولكن سياقه ينقطع بعد سطر واحد من بداية الشرح ليورد من المادة ما اعتاد إيراده في المستدرک مما فات صاحب القاموس .

وقد لفت ذلك نظر الذين أشرفوا على تصحيح تلك الطبعة ، فنبهوا إليه في هامشه بقولهم : (لم يوجد في نسخة الشارح التي بأيدينا هنا زيادة عما شرحه ، وأضفنا بقية المتن » يعنى نص القاموس المحيط » بعد كلام الشارح ، أولعل شرح باقى المادة سقط من الناسخ وليحذر) أهـ

والمطالب بالتحريير هنا قبل غيره هو من يتصدى لإخراج طبعة جديدة محققة لهذا الكتاب ، تسلم من عيوب الطبعة القديمة ، وتخلو من أخطائها الكثيرة ،

فكان علينا أن نستجيب لهذا الأمر ، ونحذر الكلام فى هذا الموضع .

ورجعت إلى عمدة الزبيدى فى شرحه وهو لسان العرب - لابن منظور - وإلى أصوله المعروفة (الصحاح للجوهري ، وتهذيب اللغة للأزهري ، والمحکم لابن سيده ، والنهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ، وحواشى ابن برى) وإلى مصادر الزبيدى الأخرى ، وأخصها التكملة ، والذيل ، والصلة ، والعياب الزاخر - وهما للصاغاني - والأساس للزمخشري ، وجمهرة اللغة لابن دريد ، فوجدت المادة مشروحة فى هذه الاصول شرحاً وافياً ، ورأيت أيضاً أن أرجع - فى بعض مفردات هذه المادة كما جاءت فى القاموس - إلى ما اعتاد الزبيدى أن يرجع إليه ، فى أمثالها من الكتب الأخرى ، مثل : معجم البلدان لياقوت ، ومفردات القرآن للراغب الأصفهاني ، وبصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي ، وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر ، وغيره من كتب الرجال ، فوجدت هذه المفردات - وغيرها من فروع المادة - واردة فى مواضعها من هذه الكتب ، فرجحت أن يكون هذا القدر الناقص من شرحها قد سقط من الناسخ ، أو لعله فقد

من النسخة الأصل ، وأن شرح المادة لن يستقيم إلا بالرجوع إلى نسخة أخرى نلتمس فيها هذا السقط ، والأمانة العلمية تقتضينا أن نبحث عن تلك النسخة الأخرى ، وأن نرجع إليها ما استطعنا إلى ذلك سبيلا .

البحث عن مخطوطة لتاج العروس :

استوقفتني غير مرة - وأنا أعمل في تحقيق أجزاء من تاج العروس - عبارات نقلها الزبيدي عن بعض مصادره التي لم تتح لنا حتى الآن ، وكنت كلما عرض لي شيء من ذلك أتمنى أن أجده نسخة مخطوطة من تاج العروس أرجع إليها في تحرير هذه العبارات ، ولذلك كنت شديد العناية بالبحث عن المخطوطات اللغوية في فهارس المكتبات المختلفة ، ولا أذكر أنني صادفت فيما اطلعت عليه من هذه الفهارس - وهو غير قليل - نسخا لتاج العروس ، وكدت أذهب إلى القول بأن

هذا الكتاب لا توجد له نسخة خطية غير تلك التي اعتمد عليها في طبعته الأولى ، واجتمعت لدى قرائن يقوى بها مثل هذا الظن ، منها :

١ - أن المطبعة الحربية ظهرت في مصر بعد وفاة الزبيدي بزمن قصير^(١) فلم يحوج تراخي الزمن بين ظهور المطبعة وتصنيف الكتاب إلى تداوله مخطوطا حتى تكثر نسخه - كغيره من كتب قدامى المؤلفين - وحين ظهرت المطبعة قوى الأدل لدى المعنيين بهذا الكتاب في قرب طبعه ، فانصرفوا عنهم عن استنساخه ، هو وأمثاله من الكتب ذات الأجزاء الكثيرة .

٢ - أن فهارس المخطوطات في مكتبات القاهرة لم تشر إلى وجود نسخ من التاج ، وإذا لم توجد نسخة أخرى في القاهرة - حيث عاش مؤلفه حياته العلمية ، وصنف كتابه

(١) كانت وفاة الزبيدي سنة ١٢٠٥ هـ ، وتاريخ طباعة أول كتاب صدر عن المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٢٣٨ هـ وكانت معظم المطابع حتى سنة ١٢٥٥ هـ حجرية ، وقد جرى الاتفاق سنة ١٢٦٢ هـ على طبع القاموس المحيط بتصحيح الشيخ التونسي (محمد بن عمر : ت ١٢٧٤ هـ) انظر تاريخ الطباعة للدكتور خليل صابات ص ١٤٦ وما بعدها ، ١٧٨ (ط دار المعارف ١٩٦٦ م).

وفي تقديرنا أن المطبعة كانت عنايتها في بداية عهدها موجهة إلى الكتب العلمية المترجمة ، والمصطلحات المعربة ، ونحو ذلك مما تحتاج إليه النهضة الناشئة حينذاك ، ولم يحظ التراث الأدبي واللغوي بالاهتمام إلا في مرحلة متأخرة شيئا ما .

فيها - فإن الظن يستبعد وجود مثل هذه النسخة في بلد آخر غير القاهرة .

٣- أن الذين أشرفوا على طبعة التاج الأولى (سنة ١٢٨٣ هـ وما بعدها) كانوا يعدون العشور على نسخة منه يومذاك من قبيل المستحيل ، فهذا محمد باشا

عارف يقول - وهو يتحدث عن القاموس المحيط - « . . . ومع تعدد شروحه وحواشيه بالمخط لم يطبع منها شيء إلى الآن [سنة ١٢٨٣ هـ] فنحمد الله إذ بتوفيقه جمعية المعارف سهّل هذا المقصود ، وظهر هذا الشرح [يعنى تاج العروس] إلى الوجود ، فإن الحصول عليه كان من قبيل المستحيل ؛ لأن استكتابه - مع كثرة ما يقع فيه من غلطات النساخ - يحتاج إلى مبلغ وافر ! وزمن طويل . . . »

وقد بدا لي - بعد قراءة هذه العبارة - أن محاولة البحث اليوم عن مخطوطة

لتاج العروس تعد عبثا ، فهؤلاء الذين أشرفوا على طبعته الأولى منذ أكثر من مائة سنة كانوا يعدون العشور على مثل تلك النسخة - حينذاك - من قبل المستحيل ، فما بالنا نبحث عنها اليوم ؟

ولكن هل تكفى كل هذه القرائن ليقطع المرء بأنه لا توجد نسخة أخرى من تاج العروس غير تلك التي كانت أصلا لطبعته الأولى ؟

إن الدقة العلمية تأبى علينا مثل ذلك على الرغم من كل هذه القرائن ، ونظل مطالبين بمواصلة البحث في تتبع واستقصاء ، واثقا أهمنى ذلك ، فرحت أطلب المزيد من فهارس المخطوطات باحثا فيها ومنقباً .

العشور على نسخة من « تاج العروس »

حين ندبت للعمل في مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى - بجامعة

(١) في عجائب الآثار (١٩٦/٢ - ٢١٠) يذكر الجبرقى أن الزبيدي : « حين أتم شرحه على قاموس المحيط أ ولم وليمة حافلة بمنزلة في عطفة الغسال جمع فيها طلاب العلم ، وأشياخ الوقت وذلك في سنة ١١٨٨ هـ وأطلعهم عليه ، فأغبطوا به ، وشهدوا بفضلهم ، وسعة اطلاعه ، ورسوخه في علم اللغة ، وكتبوا عليه تقاريطهم نظما ونثرا » وأنظر أيضا : الخطط التوفيقية ٩٣/٣ و ٩٤ .

(٢) محمد باشا عارف كان وكيلا لجمعية المعارف ، وهى التى عثيت بطبع تاج العروس طبعته الأولى . فى المطبعة الوهية ١٢٨٥ - ١٢٨٧ هـ

(٣) أنظر تاج العروس (الجزء الاول ، القسم الثالث ص ١٨٣ ط الوهية) حاشية فى نهاية باب الشاء ، وهو آخر هذا القسم .

الملك عبد العزيز في مكة المكرمة - كان من جملة عملي أن أختار من المخطوطات المحفوظة في المكتبات المختلفة ، في البلاد العربية وغيرها ، طائفة من الكتب القيمة التي ينبغي أن يقتنيها المركز لتكون بين المراجع التي يحتاج إليها الباحثون ، وطلاب الدراسات العليا ، ولينشر المركز من بين هذا المقتنى ما يراه جديرا بالتحقيق والنشر من تراثنا المجيد ، فأتاح ذلك لي فرصة المعاودة بالبحث عن نسخة من « تاج العروس » فقد زادت^(١) صلتى بفهارس المخطوطات . واجتمع^(٢) لدى منها ما لم أطلع عليه من قبل ، وأصبح البحث فيها استقراءً وتتبعاً فاحصاً ، وبقي العثور على تلك النسخة أمنيه تترجح بي بين اليأس والرجاء طيلة عملي في اختيار المخطوطات : ولاحت لي بارقة أمل حين وجدت قطعة من تاج العروس أشار إليها الاستاذ عبد الحفيظ منصور بين مخطوطات المكتبة الأحمدية بثونس^(٣) ، غير أنه وصفها وصفا موجزا ، فذكر أنها

بخط مشرق ، وعدد أوراقها ٤٩٢ ورقة من القطع الكبير (٣٠ × ٢١ سم) ومسطرتها ٣٩ سطرا ، ورقمها في المكتبة الأحمدية هو (٣٩٣٥ لغة) ولم يشير إلى ما اشتملت عليه هذه القطعة من المواد ؛ لنعرف أي الأجزاء هي ، ولم يذكر تاريخ نسخها ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إليها ، والاطلاع عليها .

ثم كانت فرحتي الكبرى حين وجدت نسخة من « تاج العروس » أشار إليها الاستاذ عمر رضا كحالة^(٢) بين مخطوطات « مكتبة عارف حكمت » بالمدينة المنورة ، ووصفها بعبارة موجزة جاء فيها « أنها في تسع مجلدات لأ. الفايض محمد بن محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الملقب بمرتضى ١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ وتاريخ نسخها ١٢٦٧ - ١٢٧٣^(٣) » وأنها محفوظة تحت رقم (٦٧ - ٧٥ لغة) ومثل هذا الوصف لا يجد شيئا أكثر من الدلالة على وجود نسخة من الكتاب ، ولا بد لنا من الاطلاع عليها ، ومقابلة مادة (رف ق) فيها بما جاء في مطبوع التاج

(١) فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية بثونس - قسم اللغة - (ط دار الفتح بيروت سنة ١٩٦٩)

(٢) المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة ص ٥٠ (ط مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٧٣)

(٣) في المنتخب من مخطوطات المدينة « ١٢٧٢ هـ » والتصحيح من نهاية المجلد التاسع في مخطوط التاج

لمعرفة مقدار السقط ، وإثباته في موضعه من المادة .

وصف نسخة الناج المحفوظة بمكتبة عارف حكمت

زرت مكتبة الشيخ عارف حكمت بالمدينة المنورة ، واطلعت على النسخة فوجدتها في تسعة مجلدات ضخمة ، وهي مكتوبة بخط فارسي جيد، اختلفت عليه أقلام النساخ ، وتتراوح مسطرتها بين ٢٧ ، ٢٥ سطرا ، ومتوسط الكلمات في كل سطر ١٣ كلمة ، وورقها من القطع الكبير (٢٣×٢٢ سم) وصفحاتها غير مرقمة ، وقد أعتمدت نسخها في ضبط تتابع أوراقها على التعقيبية وترتيب المواد ، وميزت فيها رؤوس المواد فكتبت بالحمرة ، وكذلك عبارة القاموس - في بعض الاجزاء ، وفي بعضها الآخر اكتفى الناسخ بوضع خط بالمداد الأحمر فوقها - والضبط بالشكل فيها نادر جدا ، وتجد في كثير من صفحاتها خاتما نقشه (وقف حكمة الله بن عصمة الله الحسيني) وفي نهايات الأجزاء خاتم كبير نقشه : (مما وقفه الفقير إلى ربه الغني أحمد

عارف حكمة الله بن عصمة الله الحسيني في مكتبة الرسول الكريم ، عليه وعلى آله الصلاة والتسليم بشرط ألا يخرج من خزانته ، والمؤمن محمول على أمانته سنة ١٢٦٦) والنسخة ناقصة من آخرها فقد انتهى المجلد التاسع بنهاية باب اللام ، وآخره مادة (ليل) ويبدو لي أن الناسخ قد وقف عند هذا الحد ، وتاريخ نسخه سنة ١١٧٣ هـ - وربما كان الذي حال دون تكملته مرض الشيخ عارف حكمت ، ثم وفاته بعد ذلك في سنة ١٢٧٥ هـ . ونجمل فيما يلي بيان أجزائها التسعة :

الجزء الأول : وعدد صفحاته ١٥٣٠ ويشمل أبواب : الهمزة والباء والتاء والثاء وينتهي بمادة (يافث)

الجزء الثاني : ويقع في ١٤١٤ صفحة ، واشتمل على أبواب : الجيم ، والحاء ، والخاء ، والذال ، والذال .

الجزء الثالث : وقد خُصص لباب الراء وحده ، وجاء في ١٤٨٠ صفحة ، وفيه اختلف القلم ، وميزت عبارة القاموس فكتبت بالمداد الأحمر

الجزء الرابع : واشتمل على أبواب :
الزاي ، والسين ، والشين ، وشد
صفحاته ١٠١٠ صفحة .

الجزء الخامس : وعدد صفحاته
١٠٥٢ صفحة، وشمل أبواب : الضاد ،
والضاد ، والطاء ، والطاء وآخره مادة
(يقظ) وتاريخ نسخه جمادى الاولى
سنة ١٢٦٨ هـ وناسخه « ذو الفقار
فرغانى »

الجزء السادس : واشتمل على بابي :
العين والغين ، وآخره مادة « يرغ » .
الجزء السابع : وفيه مواد بابي : الفاء
والقاف ، وينهى بمادة « يناف » وعدد
صفحاته ١٢٢٨ صفحة ، وتاريخ نسخه
شهر رجب من سنة ١٢٦٩ هـ ، وناسخه
الحاج محمد يارسان خواجه الحسيني
الحنفي النقشبندی البخارى .

الجزء الثامن : واشتمل على باب
الكاف وقسم من باب اللام من أوله إلى
آخر فصل الضاد ، وعدد صفحاته ٦٦٠
صفحة .

الجزء التاسع : وشمل بقية اللام ،
من أول فصل الطاء إلى آخر الباب ،
وعدد صفحاته ٥١٦ صفحة .

وفي نهايته كتب ناسخه بالفارسية :
« اتمام شد اين كتاب بفرمايش حضرت
ولينعتى أم - سلمه الله تعالى في الدارين
دردهم جمادى الاولى سنة هزار وصد
هفت غوسه » بيد أحقر العباد ، ملا
اسماعيل ، غفر الله ذنوبه وستر عيوبه «
وترجمته : تم هذا الكتاب بأمر
حضرة ولي نعمتي (يعنى الشيخ عارف
حكمت) سلمه الله تعالى في الدارين في
١٠ جمادى الاولى سنة ١٢٧٣ هـ .

توثيق مادة (رفق) :

وظابت مادة « رف ق » في ترتيبها من
الجزء السابع في مخطوط التاج ، ورحلت أقابيلها
بما في المطبوع ، فوجدتها في نسقها من فصل الراء
في باب القاف ، وقد بدأ المصنف شرحها
من السطر الثانى عشر فى الصفحة
التي بها رأس المادة - وقد ميزه الناسخ

فكتبه بالحمرة - ثم يتلو ذلك ثلاث صفحات كاملة ، في كل صفحة خمسة وعشرون سطرا ، وتنتهي المادة في منتصف الصفحة الرابعة ، فكانت عدة سطورها (١٠٢) اثنين ومائة سطر ، ليس في مطبوع التاج منها غير خمسة أسطر .

ورسخت أعرض المادة - كما وجدتها في مخطوطة التاج - على مراجع الزبيدي التي اعتدت الرجوع إليها في توثيق نقراته في الأجزاء الأخرى ، فبالإلى أسلوبه واضحا في هذه المادة كما عهدته في غيرها ، وتؤكد لي أن شرح هذه المادة قد سقط من الطبعة الأولى ، ورجحت أن يكون هذا السقط مقدار ورقة كاملة فقدت من النسخة التي اتخذت أصلا لتلك الطبعة ، ولم يجد الذين أشرفوا عليها بدا من تكملة المادة بعبارة القاموس وحدها ، منبهين في الحاشية إلى هذا السقط ، مطالبين بتحريره ، وقدّر لنا أن نقف عليه ، وأن نعيده إلى موضعه من المادة .

ونورد فيما يلي المادة بحالتها - كما جاءت في مطبوع التاج ، وكما وجدناها في مخطوطة مكتبة عارف حكمت - :

أولا : مادة (ر ف ق) في مطبوع التاج (١) :

(الرِّفْقُ ، بالكسر : ما استعِينَ به)
وقال العُصْدُ : الرِّفْقُ : حُسْنُ الانْقِيادِ لما يُؤدَّى إلى الجَمِيلِ .

والرِّفَاقُ ، ككِتَابٍ : مصدرٌ رافقه في السَّفَرِ ، وأيضا بمعنى النِّفاقِ ، وبه فُسِّرَ حديثُ طَهْفَةَ : « ما لم تُضمِّروا الرِّفَاقَ »

ومَرْفَقٌ ، كَمَقْعَدٍ : اسمٌ رَجُلٍ من بني بَكْرٍ بنِ وائِلٍ ، قَتَلَتْهُ بنو فَقْعَسٍ ، قال المَرَارُ الفَقْعَسِيُّ :

وغادَرَ مَرْفَقًا والخَيْلُ تَرْدِي
بَسِيلِ العِرْضِ مُسْتَلَبًا صَرِيحًا
وَأَسْتَرْفَقَهُ : اسْتَنْفَعَهُ .

وارْتَفَقَ بِهِ : ارْتَفَعَ .
والرَّافِقَةُ : قريةٌ بمصر من أعمال
الشرقية^(٢)

(١) تاج العروس ج ٦ ص ٣٥٨ (ط الخيرية ١٣٠٦ - ١٣٠٧ هـ)

(٢) في هامش المطبوع : « لم يوجد في نسخة الشارح التي بأيدينا هنا زيادة عما شرحه ، فأضفنا بقية المتن المطبوع بعد كلام ، الشارح أول لعل شرح باقي المادة سقط من النسخ ، وليحرر) ١ هـ .

(واللطف^(١) ، رَفَقَ بِهِ وَعَلَيْهِ، مُثْلَثَةٌ ،
رَفَقًا وَمَرْفَقًا ، كَمَجْلِسٍ ، وَمَقْعَدٍ ،
وَمَنْبَرٍ ، وَالْمَرْفَقُ كَمَنْبَرٍ وَمَجْلِسٍ :
مَوْصِلُ الذَّرَاعِ فِي الْعَضُدِ . وَمَرْافِقُ
الدَّارِ : مَصَابُ الْمَاءِ وَنَحْوَهَا . وَكَمِكنَسَةٍ :
الْمِخْدَةُ . وَالرَّفَقَةُ مُثْلَثَةٌ ، وَكُثْمَامَةٌ ،
جِمَاعَةٌ تُرَافِقُهُمْ ، ج : ككِتَابٍ ، وَأَصْحَابٍ ،
وَصُرْدٍ . وَالرَّفِيقُ : الْمَرِافِقُ ، ج :
رُفَقَاءُ ، فَإِذَا تَفَرَّقُوا ذَهَبَ اسْمُ الرَّفَقَةِ
لَا اسْمَ الرَّفِيقِ ، لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ .
وَالْمَصْدَرُ الرِّفَاقَةُ ، كَالسَّمَاحَةِ .

وَالرَّفَقَةُ : اسْمٌ لِلْجَمْعِ ، ج :
كَعَنْبٍ ، وَصُرْدٍ ، وَحِبَالٍ ، وَالرَّفِيقُ
ضِدُّ الْأَخْرَقِ . وَرَفَقَ فَلَانًا : نَفَعَهُ
كَأَرْفَقَهُ ، وَضَرَبَ مَرْفَقَهُ . وَالنَّاقَةُ :
شَدَّ عَضُدَهَا إِذَا خِيفَ أَنْ تَنْزِعَ إِلَى
وَطَنِهَا ، وَذَلِكَ الْحَبْلُ رِفَاقٌ ، ككِتَابٍ ،
وَيَعْبُرُ مَرْفُوقٌ : يَشْتَكِي مَرْفَقَهُ ،
وَأَرْفَقُ بَيْنَ الرَّفَقِ ، مُحَرَّكَةٌ : مُنْفَتِلُ
الْمَرْفَقِ عَنْ جَنْبِهِ ، وَنَاقَةُ رُفَقَاءٍ وَرَفِيقَةٍ
كَفَرَحَةٍ : مَنْسَدٌ إِحْلِيلُ خِلْفِهَا ، وَبِهَا

رَفَقٌ مُحَرَّكَةٌ ، أَوْ الرَّفَقُ : فِسَادٌ فِي
الْإِحْلِيلِ مِنْ سُوءِ حَلْبِ الْحَالِيبِ ،
أَوْ تَرَكِ نَفْضِهِ إِيَّاهُ ، فَيَرْتَدُّ اللَّبَنُ
فِي الضَّرَّةِ ، فَيَعُودُ دَمًا أَوْ خَرَطًا ، وَالْمَرْفَاقُ
مِنْ الْجَمَالِ : مَا يُصِيبُ مَرْفَقَهُ
جَنْبُهُ . وَمِنْ الْأَوْقِ : مَا إِذَا صُرَّتْ
أَوْجَعَهَا الصَّرَارُ ، وَإِذَا حُلِبَتْ خَرَجَ
مِنْهَا دَمٌ . وَمَاءٌ رَفَقٌ مُحَرَّكَةٌ : سَهْلٌ ،
أَوْ قَصِيرُ الرِّشَاءِ ، وَحَاجَةُ رَفَقِ الْبَغِيَةِ :
سَهْلَةٌ . وَرَفِيقٌ كَزَبِيرٍ : ابْنُ عُبَيْدٍ ،
وَأَبُو رَفِيقٍ : مُحَدَّثَانِ ، وَالرَّافِقَةُ :
دُ، عَلَى الْفُرَاتِ ، وَتُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالرَّقَّةِ ، بَنَاهَا
الْمَنْصُورُ ، وَ : بِالْبَحْرَيْنِ ، وَالرَّفَقُ :
وَاللُّطْفُ وَحَسَنُ الصَّنِيعِ ، وَأَرْفَقَهُ : رَفَقَ
بِهِ ، وَنَفَعَهُ ، وَشَاةٌ مُرَفَّقَةٌ ، -
كَمَعْظَمَةٍ - : يَدَاهَا بَيَضَاوَانِ إِلَى مَرْفَقَيْهَا ،
وَارْتَفَقَ : اتَّكَأَ عَلَى مَرْفَقِ يَدِهِ ، أَوْ
عَلَى الْمِخْدَةِ ، وَأَمْتَلَأَ . وَالْمُرْتَفِقُ :
الْوَاقِفُ الثَّابِتُ الدَّائِمُ . وَتَرَفَّقَ بِهِ :
رَفَقَ . وَرَافَقَهُ : صَارَ رَفِيقَهُ . وَتَرَفَّقَا^(٢) .

(١) ابتداء من قوله : « واللطف . . إلى آخر المادة هونص القاموس المحيط

(٢) آخر عبارة القاموس في مادة رفق كما جاءت في مطبوع الناج .

ثانياً : مادة (ر ف ق) في مخطوطة مكتبة عارف حكمت

(الرَّفْقُ ، بالكسر : ما تُشْعِنَ به)

وقال العُصْدُ : الرَّفْقُ : حُسْنُ الانْقِيَادِ
لما يُؤدَّى إِلَى الْجَمِيلِ .

(و) ^(١) الرَّفْقُ : (اللُّطْفُ) وهو ضِدُّ
الْعُنْفِ ، ومنهُ الْحَدِيثُ : « مَا كَانَ الرَّفْقُ
فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ » ^(٢) وقد (رَفَقَ به ،
وعليه) كلاهما عن أَبِي زَيْدٍ ، زَادَ غَيْرُهُ
ورَفَقَ لَهُ (مُثَلَّثَةً) اقتصَرَ الجوهريُّ على
رَفَقَ ، كَنَصَرَ ، وَكَعَلِمَ ، وَكَرَّمْ نَقْلَهُمَا
الصَّاغَانِيُّ ، وَقَالَ : هُمَا لُغَتَانِ ، وَفِي الْحَدِيثِ
« مَنْ رَفَقَ ^(٣) بِأَبْنِي رَفَقَ اللَّهُ بِهِ »

وقال اللَّيْثُ : الرَّفْقُ : لِينُ الْجَانِبِ ،
وَلَطَافَةُ الْفَعْلِ ، وَصَاحِبُهُ رَفِيقٌ ، وَقَدْ رَفَقَ

يَرْفُقُ (رِفْقًا) بِالْكَسْرِ (وَمَرْفَقًا ، كَمَجْلِسٍ ،
و (مَرْفَقًا ، مَثَل (مَقْعَد ، و (مِرْفَقًا ،
مَثَل : (مِنْبَرٍ) الْأَوَّلُ وَالثَّانِي وَالرَّابِعُ عَنْ
أَبِي زَيْدٍ ، وَالثَّلَاثُ عَنْ غَيْرِهِ ، وَقُرِئَ
قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَيُهِئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ
مِرْفَقًا ﴾ ^(٤) بِالْوَجْهَيْنِ ، أَيْ : مَا تَرْتَفِقُونَ
بِهِ ، قرأ بفتح الميم وكسر الفاء أبو جعفر
ونافعٌ ، وابنُ عامرٌ ، والأعمشُ ^(٥) ،
والبرجُميُّ عن أَبِي بَكْرٍ عن عاصمٍ ،
والباقون بكسر الميم وفتح الفاء ، ولم يقرأ
بفتح الميم ^(٦) والفاء أحدٌ ، وفي التهذيب :
كسَرَ الْحَسَنُ وَالْأَعْمَشُ الْمِيمَ مِنْ مِرْفَقٍ ،
وَنَصَبَهَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ ، وَعَاصِمٌ ، فَكَانَ
الَّذِينَ فَتَحُوا الْمِيمَ وَكَسَرُوا الْفَاءَ ، أَرَادُوا
أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ مِرْفَقٍ مِنَ الْأَمْرِ ، وَبَيْنَ
الْمِرْفَقِ مِنَ الْإِنْسَانِ .

(١) بداية ما سقط من مطبوع التاج

(٢) النهاية لابن الاثير

(٣) انظر (مسند أحمد بن حنبل ٦ / ٦٢ ، ٩٣) وفيه أيضا (٦ / ٣٣٩) « ارفق بابني » ، وفي سنن ابن ماجه ١٥٥٩ / ١ (جنانز ١٩٧) « ارفقوا به رفق الله به ، انه كان يحب الله ورسوله » وكلها شواهد .

(٤) سورة الكهف الآية ١٦

(٥) في المخطوطة الاعشى والمثبت من اللسان والتهذيب ، والملقب بالأعشى من القراء الكبار أبو يوسف الأعشى ، وهو : يعقوب بن محمد بن خليفة الكوفي ، عده الذهبي في الطبقة الخامسة ، قرأ عليه الصيرفي والشموني (معرفة القراء الكبار للذهبي ١٣١ / ١ ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة) .

أما الأعمش فهو سليمان بن مهران أبو محمد الأسدي من كبار القراء من الطبقة الثالثة قرأ على يحيى بن وثاب ، وزيد بن وهب ، وزر ابن حبيش ، وعرض القرآن على أبي المالية الرياحي ومجاهد وعاصم بن هذلة (معرفة القراء الكبار للذهبي ٧٨ / ١)

(والمِرْفَقُ كَمَنْبَرٍ ، وَمَجْلِسٌ) : مَوْصِلٌ
الذَّرَاعِ فِي الْعَضْدِ . كَمَا فِي الصَّحَاحِ .
وَقَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ : . المِرْفَقُ ، مِنَ الْإِنْسَانِ
وَالذَّابَّةِ : أَعْلَى الذَّرَاعِ ، وَأَسْفَلَ الْعَضْدِ
وَالْجَمْعُ المَرَاقِقُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَيَّدِيكُمْ
إِلَى المَرَاقِقِ ﴾ (١)

قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَأَكْثَرُ الْعَرَبِ عَلَى كَسْرِ
الْمِيمِ لِلْمِرْفَقِ مِنَ الْأَمْرِ ، وَمَنْ مِرْفَقِ الْإِنْسَانِ ،
قَالَ : وَالْعَرَبُ أَيْضًا تَفْتَحُ الْمِيمَ مِنْ مِرْفَقِ
الْإِنْسَانِ ، لُغَتَانِ فِي هَذَا وَفِي هَذَا ،
وَقَالَ يُونُسُ : الَّذِي أَخْتَارَهُ المِرْفَقُ فِي
الْأَمْرِ ، وَالْمِرْفَقُ فِي الْيَدِ .

(وَمَرَاقِقُ الدَّارِ : مَصَابُ الْمَاءِ ،
وَنَحْوُهَا) وَكَانَ ابْنُ سَيَّرِينَ إِذَا دَخَلَ
المِرْفَقَ كَفَّ كُمَّهُ عَلَى فَكِّهِ ، وَفِي التَّهْذِيبِ :
المِرْفَقُ مِنْ مَرَاقِقِ الدَّارِ مِنَ الْمُغْتَسَلِ
وَالْكَنِيفِ وَنَحْوِهِ ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « وَجَدْنَا مَرَاقِقَهُمْ قَدْ

اسْتَقْبَلَهَا الْقَبِيلَةُ (٢) » يُرِيدُ الْكُنْفَ
وَالْحُشُوشَ ، وَيُرْوَى « مَرَاحِيضُهُمْ » :

(وَالْمِرْفَقَةُ ، كَمِكنَسَةٍ : (الْمِخْدَةُ)
وَالْمُتَّكَا .

(وَالرَّفْقَةُ ، مُثَلَّثَةٌ) (وَ) الرُّفَاقَةُ
(كَثْمَامَةٌ : جَمَاعَةٌ تُرَافِقُهُمْ) فِي سَفَرِكَ
(ج) رِفَاقٌ ، وَأَرْفَاقٌ ، وَرُفُقٌ (كَبِكَتَابٍ ،
وَأَصْحَابٍ ، وَصُرْدٍ) قَالَ الْأَعَشَى - يَصِفُ
الْجِمَالَ - :

قَاطِعَاتِ بَطْنِ الْعَتِيكَ كَمَا تَمُّ

نَضَى رِفَاقٌ أَمَّا مَهَنَ رِفَاقٍ (٣)

وَقَالَ تَابِطٌ شَرًّا :

سَبَّاقِ غَايَاتِ مَجْدٍ فِي عَشِيرَتِهِ

مُرْجَعُ الصَّوْتِ هَذَا بَيْنَ أَرْفَاقٍ (٤)

وَقَالَ رُؤْبَةُ :

* حِينَ احْتَنَدَاها رُفْقَةً مِنَ الرُّفُقِ *

(١) سورة المائدة الآية ٦

(٢) النهاية لابن الأثير .

(٣) ديوانه/ ١٢٥ (ط بيروت) وفيه ، « . . رفاق أمهين رفاق » بالقاء مكان الفاء وفسر الرقاق بالنياق الضعيفة ،
وفي معجم البلدان (العتيك) روايته

جازعات بطن العتيك كما تم نضى رفاق تحن رفاق

(٤) البيت من قصيدة له في الفضليات ٢٩/١ وهي المفضلية الأولى ، وروايتها « هذا » بالبدال المهملة وفسره بقوله :

« أي رافعا صوته ، وهو مصدر وقع حالا . »

(والرَّفِيقُ : المُرَافِقُ) وقيل : هو
الصاحبُ في السَّفَرِ خاصَّةً (ج : رُفَقَاءُ)
ككريمٍ وكرماءٍ ، وقيلَ : إذا عدا الرَّجُلانِ
بلا عَمَلٍ فهما رَفِيقانِ ، فإن عَمِلَا على
بَعِيرَيْهِمَا فهما زَمِيلانِ (فإذا تَفَرَّقُوا
ذَهَبَ اسْمُ الرُّفْقَةِ) و (لا) يذهبُ (اسم
الرَّفِيقِ) وهو أيضاً (للواحدِ والجميعِ) مثل
الصديقِ ، والخليطِ ، ومنه قوله تعالى :
﴿ وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾^(١) وفي الحديث :
« بل الرَّفِيقُ الأعلى من الجنة »^(٢) أي :
جَماعةُ الأنبياء .

والمصدرُ الرِّفَاقَةُ ، كالسَّماحةِ (وقال
الفراءُ : سمعتُ رجلاً بعَرَفاتٍ يقول :
« جَعَلَكَمُ اللهُ في رِفاقٍ مُحَمَّدٍ صلى الله
عليه وسلم »

(أو) الرُّفْقَةُ بالكسر : جمعُ رَفِيقٍ ،
و (الرُّفْقَةُ) بالضم : (اسمٌ للجمعِ)
رَفَقَ ، ورَفَقَ ، ورِفاقُ (كعَنْبٍ ، وضَرَدٍ ،
وجِبَالٍ) قاله ابنُ سيده ؛ وقال ابنُ بَرِّي :
الرِّفاقُ : جمعُ رُفْقَةٍ ، كعُلْبَةٍ وعِلابٍ ،
قال ذو الرُّمَّةِ :

قِياماً يَنْظُرُونَ إلى بِلالٍ
رِفاقَ الحَجِّ أَبْصَرَتِ الهِلالَ^(٣)
قالوا في تفسير الرِّفاقِ : جمعُ رُفْقَةٍ ،
ويُجمعُ رُفَقُ أيضاً ، ومن قال : رِفْقَةٌ
قال : رِفَقُ ورِفاقُ ، وقيسُ تقولُ :
رِفْقَةً ، ونميسُ تقولُ : رُفْقَةً .
ورِفاقُ أيضاً : جمعُ رَفِيقٍ ، ككريمٍ وكِرامٍ .
والرِّفاقُ : مصدرُ رافَقْتُهُ ، وقال الليثُ :
الرُّفْقَةُ يُسمَوْنَ رِفْقَةً ما داموا مُنْضَمِّينَ - في
مَجْلِسٍ واحدٍ . ومسيرٍ واحدٍ - فإذا تَفَرَّقُوا
ذهبَ عنهم اسمُ الرُّفْقَةِ .

والرُّفْقَةُ : القومُ يَنْهَضُونَ في سفرٍ ،
ويسِيرُونَ معاً ، وينزِلُونَ معاً ، ولا يفتَرِقُونَ ،
وأكثرُ ما يُسمَوْنَ رُفْقَةً إذا نهَضُوا سِياراً .
(والرَّفِيقُ) أيضاً : (ضِدُّ الأَخْرَقِ)
وقد رَفَقَ ، ككَرُمَ .

(ورَفَقَ) فلانُ (فُلاناً) : إذا (نَفَعَهُ)
وكذلك : رَفَقَ به (كَأَرَفَقَهُ) ومنه
الحديثُ « في إِرْفاقٍ ضَعِيفِهِمْ ، وسَدِّ خَلَتِهِمْ »
أي : إيصالُ الرَّفَقِ إليهم .

(١) سورة النساء الآية ٦٩

(٢) النهاية وهو في صحيح البخاري (١٢/٦ - ١٦ ط الشعب) عن عائشة من طرق مختلفة ، وفي جميعها لفظ (الرفيق)

(٣) ديوان شعر ذي الرمة ٤٤٣ واللسان

(و) رَفَقَهُ رَفَقًا: (ضَرَبَ مِرْفَقَهُ) كعَضَدَهُ ، وَرَأْسَهُ ، وَصَدْرَهُ .

(و) رَفَقَ (النَّاقَةُ) يَرْفُقُهَا رَفَقًا : (شَدَّ عَضْدَهَا) بِالْحَبْلِ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : وَذَلِكَ (إِذَا خِيفَ أَنْ تَنْزِعَ) أَى تَشْتَاقَ (إِلَى وَطَنِهَا ، وَذَلِكَ الْحَبْلُ رِفَاقٌ ، ككِتَابٍ) وَالْجَمْعُ رُفُقٌ بَضْمَتَيْنِ ، وَهُوَ حَبْلٌ يُشَدُّ مِنْ الْوُضِيفِ إِلَى الْعَضُدِ ، وَقِيلَ : يُشَدُّ فِي عُنُقِ الْبَعِيرِ إِلَى رُسْغِهِ ، قَالَ بَشَرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ :

فَأِنِّى وَالشَّكَاةَ لَأَلِ لَامٍ

كَذَاتِ الضَّغْنِ تَمْشِى فِي الرَّفَاقِ^(١)

يقول : أَنَا مُمَسِّكٌ عَنْ هِجَائِهِمْ ، كَهَذِهِ النَّاقَةُ الَّتِي حَنَّتْ إِلَى وَطَنِهَا ، وَشُدَّتْ وَحُبِسَتْ ، فَإِنْ صَارُوا إِلَى مَا أُحِبُّ ، وَإِلَّا أَطْلَقْتُ لِسَانِي بِهِجَائِهِمْ .

(و) قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ (بَعِيرٌ مَرْفُوقٌ) : إِذَا كَانَ يَشْتَكِي مِرْفَقَهُ .

(و) قَالَ اللَّيْثُ : جَمَلٌ (أَرْفُقُ بَيْنَ الرَّفَقِ ، مُحَرَّكَةً) : أَى (مُنْفَتِلُ الْمِرْفَقِ عَنْ جَنْبِهِ) وَقَدْ رَفِقَ كَفَرِحَ ، وَهِيَ رَفَقَاءُ .

وقال الأزهري : الذى حفظته من العرب : جَمَلٌ أَدْفَقُ ، وَنَاقَةٌ دَفَقَاءُ : إِذَا انْفَتَقَ^(٢) مِرْفَقُهُ عَنْ جَنْبِهِ ، بِالذَّالِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

(وَنَاقَةٌ رَفُقَاءُ) عَنْ الْأَصْمَعِيِّ (وَرَفَقَةٌ كَفَرِحَةٌ) عَنْ زَيْدِ بْنِ كُثُوفَةَ ، أَى : (مُنْسَدٌ إِحْلِيلٌ خِلْفِهَا) فَتَحَلَّبُ دَمًا (وَبِهَا رَفَقٌ مُحَرَّكَةٌ) قَالَ الْأَخِيرُ : وَهُوَ حَرْفٌ غَرِيبٌ . وَقِيلَ : نَاقَةٌ رَفِقَةٌ : إِذَا وَرِمَ ضَرْعُهَا ، وَقِيلَ : هِيَ الَّتِي تَوْضَعُ التَّوْدِيَّةَ عَلَى إِحْلِيلِهَا فَيَقْرَحُ (أَوْ الرَّفَقُ : فَسَادٌ فِي الْإِحْلِيلِ مِنْ سُوءِ حَلْبِ الْحَالِبِ ، أَوْ تَرِكَ نَفْضِهِ إِتْيَاهَ فَيَرْتَدُّ اللَّبَنُ فِي الضَّرَّةِ ، فَيَعُودُ دَمًا وَخَرَطًا) .

(وَالْمِرْفَاقُ ، مِنْ الْجِمَالِ) كَمِخْرَابٍ : (مَا يُصِيبُ مِرْفَقَهُ جَنْبَهُ) .

(و) الْمِرْفَاقُ (مِنْ النَّوْقِ) وَفِي الْعَيْنِ : مِنْ الْإِبِلِ : (مَا إِذَا صُرَّتْ أَوْجَعَهَا الصَّرَارُ ، وَإِذَا حُلِبَتْ خَرَجَ مِنْهَا دَمٌ) . وَهِيَ الرَّفِيقَةُ أَيْضًا ، كَمَا تَقَدَّمَ ، قَالَه اللَّيْثُ .

(١) ديوانه ١٦٣ واللسان ، ومادة (ضغن) وفيه « فألك والشكاة من ال لام » والصحاح والتهذيب (١١٣/٩) وعجزه في المقاييس (٤١٨/٢) .

(٢) الذى فى التكملة والتهذيب (١١٣/٩) « انفتل مرفقة عن جنبه »

(وماء رَفَقٌ مُحرَّكَةٌ) وكذا : مَرْتَعٌ
رَفَقٌ ، أَى : (سَهْلٌ) المَطْلَبِ (أَوْ) ماءٌ
رَفَقٌ ، أَى : (قَصِيرُ الرِّشَاءِ) ومَرْتَعٌ رَفَقٌ :
ليس بكثير .

(و) يُقالُ : طَلَبْتُ (حَاجَةً) فوجدتها
(رَفَقَ البَغِيَّةُ) بالتحريك : إذا كانت
(سَهْلَةً) .

(وَرَفِيقٌ ، كزُبَيْرٍ : ابن عبيد)
عن وهب بن مُنبِّه ، وعنه مرداس
ابن سائته (وأبو رافقة : ^(١) مُحدثان)

(والرافقة : د) متصل البناء
بالرقة ، وهى (على) ضفة (الفرات)
قال ابن الأثير : تعرف اليوم بالرقة ،
كان محمد بن خالد بن جبلة ينزلها ،
يقال : إن البخارى حدث عنه فى
الصحيح ، وقال اليعقوبى : الرافقة :
مدينة جانب الرقة (بناها المنصور)
العباسى أبو جعفر ، وأتمها المهدي ،
ونزلها الرشيد ، منها : معافى بن
مُدرِك ، عن أيوب بن سوار .

وقول شيخنا : فالرافقة والرقة بلد

واحد لا بلدان ، كما يتوهم من تعداد
الاسم واختلافه ، فيه نظر ظاهر ،
(و) الرافقة أيضا : (ة ، بالبحرين)

(و) قال ابن دريد : يقال :
أولى فلان فلانا رافقة ، وهو (الرفق
واللطف وحسن الصنيع) .

وحكى أبو زيد : (أَرَفَقَه) أَى :
(رَفَقَ به) ويقال أيضا : أَرَفَقَه ، أَى :
(نفعه) وهو مجاز .

ويقال : (شاة مُرْفَقَةٌ ، كمُعْظَمَةٍ)
أَى : (يداها بيضاوان إلى مرفقيها)
نقله الصاغاني .

(وارْتَفَقَ الرَّجُلُ : اتكأ على مرفق
يده) ومته الحديث « هو الأبيض
المُرتَفِق » ^(٢) وبات فلان مُرتَفِقًا ، أَى :
مُتَكِيًا على مرفق يده ، وأنشد ابن
برى لأعشى باهلة :

فبت مُرتَفِقًا والعينُ سَاهِرَةٌ
كَأَنَّ نومي على اللَّيْلِ محجور ^(٣)

(١) فى القاموس : « وأبورفيق » والمثبت من المخطوطة

(٢) النهاية ، وتامة : « أيكم ابن عبد المطلب ؟ قالوا : هو الأبيض المرتفق » .

(٣) اللسان

(أو) ارتفق : إذا اتكأ (على
المخدة) ، ومنه حديث ابن ذي يزن :
* فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً^(١) *
(و) ارتفق : إذا (أمثلاً)
بَيْنِ مُرْتَفِقٍ . . . وقد تقدم في « رت ق »

(و) منه (المرتفق) من القيعان ،
وهو (الواقف الثابت الدائم) كَرَب
أَنْ يَمْتَلِي ، أو أمثلاً ، قاله شمر عن
ابن الأعرابي ، وبه فسر بيت عبید
ابن الأبرص :
فأصبح الروض والقيعان مُترعةً
من بين مُرتفِقٍ مِنْهَا وَمُنْصَاحٍ^(٢)
ورافق بك ، ورافق عليك ، أى : نافع ،
نقلة الليث : وأنشد :

فبعض هذا الوجأ ياعجرد^(٣)
ماذا على قومك بالرافق
وهو مجاز ، وكذا قولهم : هذا أرفق
بك ، أى : أنفع .

(١) اللسان ، والنهاية (رفق) وفي معجم البلدان (غمدان) ونسبه إلى أبي الصلت يمدح ذا يزن ، وعجزه .
* في رأس غمدان دارامتك محلا *
وقبله :

أرسلت أسداً على بقع الكلاب فقد أضحى شريدهم في الأرض فلالا

وبعده :

تلك المكارم لاقببان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

(٢) ديوانه ٧٧ وفيه « والقيعان مترعة . . . ومنطاح ، وهو في التكملة وعجزه في اللسان (رفق) والتهذيب (١١٣/٩)
وينسب أيضاً إلى أوس بن حجر وانظر ديوانه / ١٧ (ط بيروت) .
(٣) وهذه الرواية أنشده ابن منظور في اللسان (صوح) .

(٤) في الجمهرة (٢٩٤/٢) عزاه لرجل من بني قيس بن ثعلبة ، في خبر أورده ، وقبله :

ياقوم من يعذر من عجرد القاتل المرء على الدائق

لما رأى ميزانه شائلا وجاه بين الجيد والعاتق

فخر من وجأته ميتا كأنما دهنه من حالق

وجاه : يخفف وجاء ، أى : ضربه .

وَرَفَّقَ ، كَنَصَرَ : اِنْتَظَرَ ، عَنْ ابْنِ
ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، وَيُقَالُ لِلْمُتَطَبِّبِ : مُتَرَفِّقٌ ،
وَرَفِيقٌ .

وَأَرْتَفَقَ بِهِ : تَرَفَّقَ .

وَالْمُرْتَفَقُ : الْمُتَكَا ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ
تَعَالَى : ﴿ وَحَسُنَتْ أُرْتَفَقًا ﴾^(١) . قَالَ
ابْنُ السَّكَيْتِ ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ : أُنْثِ
الْفِعْلُ عَلَى مَعْنَى الْجَنَةِ .

وَالْمِرْفَقُ : كِمَنْبَرٍ : الْمُتَكَا ، قَالَ اللَّيْثُ .
وَتَمَرَّفَقَ : أَخَذَ مِرْفَقًا .

وَنَاقَةُ رَفِيقَةٍ ، كَفَرِحَةٍ : مُدْعِنَةٌ .
وَأَرْتَفَقُوا : تَرَفَّقُوا .

وَقَالَ أَبُو عَدْنَانَ : قَوْلُهُ فِي الدُّعَاءِ
: « اللَّهُمَّ اَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى »^(٢)
سَمِعْتُ أَبَا الْقَهْدِ الْبَاهِلِيَّ يَقُولُ :
إِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَفِيقٌ وَفِيقٌ ، فَكَانَ
مَعْنَاهُ : اَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ ، أَيْ : بِاللَّهِ ،
يُقَالُ : اللَّهُ رَفِيقٌ بِعِبَادِهِ ، مِنْ الرَّفْقِ
وَالرَّأْفَةِ ، فَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ ، قَالَ
الْأَزْهَرِيُّ : وَالْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَعْنَاهُ اَلْحِقْنِي
بِجَمَاعَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَهُوَ اسْمٌ جَاءَ عَلَى

فَعِيلٍ ، وَمَعْنَاهُ الْجَمَاعَةُ ، قَالَ : وَلَا
أَعْرِفُ الرَّفِيقَ فِي صِفَاتِ اللَّهِ .

وَرَفِيقَةُ الرَّجُلِ : امْرَأَتُهُ ، هَذِهِ عَنْ
عَنِ اللَّحْيَانِيِّ ، قَالَ : وَقَالَ أَبُو زِيَادٍ ،
فِي حَدِيثِهِ : سَأَلَنِي رَفِيقِي ، أَرَادَ
زَوْجَتِي ، قَالَ : وَرَفِيقُ الْمَرْأَةِ : زَوْجُهَا .

وَقَالَ : فِي مَالِهِ رَفَقٌ ، مُحَرَكَةٌ ،
أَيْ : قِلَّةٌ ، وَرَوَاهُ أَبُو عُبَيْدٍ بِقَافَيْنِ .

وَالرَّفَاقُ ، كَكِتَابٍ : مُصَدِّرٌ رَافِقُهُ فِي
السَّفَرِ ، وَأَيْضًا بِمَعْنَى النِّفَاقِ ، وَبِهِ

فُسِّرَ حَدِيثُ طَهْفَةَ : « مَا لَمْ تُضْمِرُوا
الرَّفَاقَ »^(٣)

وَمَرَّفَقٌ ، كَمَقْعَدٍ : اسْمُ رَجُلٍ مِنْ
بَنِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ قَتَلَتْهُ بَنُو فُقْعَسَ ،
قَالَ الْمَرَّارُ الْفَقْعَسِيُّ :

وَعَادَ رَمَرَفَقًا وَالْخَيْلُ تُرْدَى
بَسِيلِ الْعِرْضِ مُسْتَلْبَأً صَرِيحًا^(٤)

(١) سورة الكهف ، الآية ٣١

(٢) النهاية وفي صحيح البخاري (١٣/٦ ط الشعب) عن عائشة رضى الله عنها من رواية عباد بن عبد الله بن الزبير ، ولفظه :
« اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق » .

(٣) النهاية .

(٤) اللسان ، والحكم (٢٣٤/٦)

واستَرْفَقَهُ : اسْتَنْفَعَهُ .

وارْتَفَقَ بِهِ : انْتَفَعَ .

والرَّافِقَةُ : قريةٌ بمصر من أعمال
الشرقية . »

وبعد فهذه مادة (رفق) كما وجدتها
في مخطوطة « تاج العروس » للزبيدي ،
الم محفوظة في مكتبة عارف حكمت ،
وهكذا كانت عجلة المطبعة الأميرية تدور
في القاهرة لتطبع القاموس المحيط -
لأول مرة - بتصحيح الشيخ التونسي
(سنة ١٢٦٢هـ - ١٨٤٥م) وفي الوقت الذي
ظن بعض الناس « أن استكتاب نسخة
من تاج العروس تكليف بما لا يطاق ؛
إذ هو يحتاج إلى مبلغ وافر ، وزمن طويل »
كان هنالك في المدينة المنورة عالم جليل ، لم
يبخل بالمال الوافر ، ولم يستكثر الزمن

في استنساخ شرح القاموس المحيط
المسمى « تاج العروس » ذلكم هو شيخ الإسلام
أحمد عارف حكمة الله الحسيني
(المتوفى ١٢٧٥هـ) الذي لم يطق صبرا على
أن تخلو خزانة كتبه من هذا الكتاب
القيم ، إذ أن ذلك لا يليق بأمثاله ،
ولذلك أمر بكتابة نسخة منه في الفترة
من ١٢٦٧ - ١٢٧٣ هـ بقي لنا منها
تسعة مجلدات ، جعلها وقفا على مكتبة
الرسول الكريم ، وكان من توفيق الله
أن هدانا إليها ، فأصبنا فيها هذا السقط ، وأعدنا
إلى موضعه من شرح القاموس ، فاستقام السياق ،
واستوت المادة في صورتها الصحيحة ، والحمد
لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا أن هدانا الله .

مصطفى حجازي

المراقب العام للمعجمات وإحياء التراث بالمجمع

نهاية مادة (رفق) كما جاءت في مخطوطة مكتبة عارف حكمت المجلد السابع .

(٣) هو محمد بن عمر التونسي (ت ١٢٧٥ هـ) من علماء اللغة في القرن الثالث عشر .

(٤) المعنى هنا هو محمد باشا عارف وكيل جمعية المعارف التي عنت بطبع التاج للمرة الأولى في المطبعة الخيرية سنة ١٢٨٥ هـ

انظر التاج الجزء الأول القسم الثالث صفحة ١٨٣ .

(٥) أشرنا إلى مراجع البحث والتحقيق في حواشي الصفحات السابقة ذ ، فأغنى لك عن إعادتها مجتمعة في آخره

موقف الشعر من الإعلام

للكاتب محمد حماسة عبد اللطيف

للشعر

موقف خاص من
الإعلام لم ياتفت إليه
النحاة بوصفه ظاهرة معينة ، ولكنهم
تناولوا هذا الموقف في مواضع مختلفة
وبمصطلحات متعددة تسوغ لنا أن نعد معظمها
من التغيرات الصرفية بوصفها تغييراً في بنية
الكلمة في الشعر لإقامة وزنه وتسوية قوافيه :
وقبل أن نتناول موقف الشعر من الإعلام نود
أن نضع في حسابنا هذه الملاحظات الآتية :

أولاً : إن الإعلام ، دون سائر المعارف
تتعرف بنفسها من غير حاجة إلى وسيلة من
وسائل التعريف التي تحتاج إليها ألوان المعارف
الأخرى ، فقد « خرجت الإعلام عن شياخ
الأجناس إلى خصوصها بأنفسها لا بحرف
يفيد التعريف فيها^(١) » ولذلك عرفوا العلم -
والذي يعنينا في هذا المجال هو العلم الشخصي -
بأنه « اسم يعين مسماه تعييناً مطلقاً^(٢) » . فالتعريف
في العلم آت من ارتباط الاسم بمسماه ارتباطاً

وثيقاً في الذهن ، بحيث يستحضر الذهن
أحدهما عند وجود الآخر ، فهو - إذن -
« الاسم الخاص الذي لا أخص منه^(٣) »
ومناط التعريف في العلم بقاءه على هذا الارتباط
الوثيق بمسماه وعدم شياخه فيه وفي غيره ؛ ولذلك
لا يعامل معاملة بقية الأسماء من حيث الإضافة
ودخول أداة التعريف ، إلا إذا « شورك
في اسمه ، أو اعتقد ذلك ، فيخرج عن أن
يكون معرفة ، وبصير من أمة كل واحد له
مثل اسمه ، ويجرى حينئذ مجرى الأسماء
الشائعة نحو : رجل وفرس ، فحينئذ يجترأ
على إضافته وإدخال الألف واللام عليه كما
يفعل ذلك في الأسماء الشائعة^(٤) »

ثانياً : أجاز النحاة ترخيم المنادى
وشرطوا لذلك أن يكون مبنياً على الضم
والمنادى المبني على الضم هو العلم المفرد
والنكرة المقصودة وهي كالعلم في التعيين
الإقبال^(٥) وشرط المبرد في ترخيم المؤنث

(١) الخصائص لابن جني ٣ - ٨١ .

(٢) أوضح المسالك لابن هشام ١ - ٦٦ .

(٣) شرح المفصل لابن يعيش : ١ - ٢٧ .

(٤) السابق ١ - ٤٤ .

(٥) انظر الأشموني ٣ - ١٣٨ .

بالهاء : العامة (١) « وعلاوا ذلك بأن « العلم
لكثرة ندائه يناسبه التثنية بالترخيم (٢) »
ويقول سيبويه : « وليس الحذف لشيء من
هذه الأسماء ألزم منه لحارث ومالك وعامر
وذلك لأنهم استعمواها كثيراً في الشعر وأكثروا
التسمية بها للرجال ... وهو في الشعر أكثر من
أن أحصيه (٣) .

. وعلى ذلك فإن الأعلام : زينب وسعاد
وجعفر وسعيد وأسماء ومروان ومنصور
وشلال وقنديل تصير إلى : يازين ، وياسعا
وياجعف ، وياسعى ، وياأسم ، ويامرو ،
ويامنص ، وياشمل ، وياقند : ولغة « من
لا ينتظر » تعامل الاسم حينئذ على أنه اسم
مستقل ، والذي جوز الحذف في هذه
الأعلام أنها متعينة لأصحابها ، وكونها مناداة
يطلب إليها الإقبال لا يجعلها تلتبس بغيرها
ويكنى مع هذا أن يذكر بعض الاسم فيذكر
صاحبه ومن حوله أنه هو المقصود لذلك
فيخفف وحده لما نودي من أجله ، ويلاحظ
— هنا — أن كل ما استشهد به النحاة في باب
الترخيم لم يكن إلا من الشعر ، غير قراءة
على بن أبي طالب وابن مسعود — رضى الله

عنها — ويحيى والأعمش (٤) (ونادوا بآمال (٥)
التي يقول عنها ابن فارس « والله أعلم بصحة
ذلك » (٦) ولكن ابن جني يرى في هذه القراءة
سراً جديداً — على حد تعبيره — ، يقول :
« وذلك أنهم ، «ظم ما هم عليه ، ضعفت
قواهم ، وذلت أنفسهم ، وصغر كلامهم
فكان هذا من مواضع الاختصار ضرورة
عليه ، ووقفاً دون تجاوزه إلى ما يستعمله
المالك لقوله ، القادر على التصرف في منطقه (٧)
وهناك عبارة نثرية يستشهدون بها في
هذا الباب ، وهي « يا شا ادجني » (٨) وهي
عبارة غريبة ، لأن الحيوانات لا تخاطب
إلا بالزجر أو طلب الإقبال ويكون ذلك
بأصوات مخصوصة ، أما أن يطلب إلى الشاة
ان تدجن — أي تقيم في المكان — فذلك مما
تسمح به لغة الشعر ، لما فيها من كثرة المجاز
والتصوير ، ولعل هذه العبارة مقتطعة من رجز
لم يشأ النحاة أن يذكروه ، ولذلك جاء فيها
الترخيم . وقد قصر النحاة ، كذلك — ماعدا
الفراء وابن مالك — تصغير الترخيم على الأعلام
وحدثنا (٩) .

(١) السابق ٣ - ١٧٣ .

(٢) حاشية الصبان على الأشموني ٣ - ١٧٥ .

(٣) الكتاب لسيبويه (بولاق) ١ - ٣٣٥ .

(٤) انظر المحتسب لابن جني ٢ - ٢٥٧ والإنصاف لابن الأنباري : ٢٢١ .

(٥) سورة الزخرف الآية ٧٧ .

(٦) الصاحبي لابن فارس : ١٩٥ .

(٧) المحتسب لابن جني : ٢ - ٢٥٧ .

(٨) الأشموني ٣ - ١٧٣ .

(٩) انظر تسهيل الفوائد لابن مالك : ٢٨٩ .

ثالثاً : تنفرد الأعلام في الاستعمال العام بمجيتها على غير المألوف من قياس النحاة « ومن ذلك قولهم في العلم : حيوة ، وهذه صورة لولا العلمية لم يجز مثلها لاجتماع الواو والياء وسبق الأولى منهما بالسكون ، وعلة مجيء هذه الأعلام مخالفة للأجناس هو ما هي عليه من كثرة استعمالها ، وهم لما كثرت استعماله أشد تغييراً » (١) لأن كثرة الاستعمال تزيد من ارتباط الاسم بالمسمى حتى إنه ليكنى مع هذا الارتباط الوثيق ذكر بعض أصوات الاسم ، يقول ابن جني « الأسماء الأعلام قد تغير كثيراً عما عليه غيرها مما ليس علماً نحو قولهم : رجاء بن حيوة وشهل ومزيد ومكوزة ومعد يكرب وموهب وموظب ومورق » (٢) ويبين السبب في هذا فيقول « فإن قلت : ولم جاز في الأعلام هذا التغير كله ؟ قيل : لأنها كثيرة الاستعمال معروفة المواضع ، والشئ إذا كثرت استعماله وعرف موضعه ؛ جاز فيه من التغير ما لا يجوز في غيره » (٣) وليس التغير في الاسم العلم مقصوداً على التغير في بنيته الصرفية فحسب ، بل إن ذلك ليتخطاها إلى الإعراب « ولما غيرت الأعلام في ذواتها ؛ جاز أن تغير في إعرابها ، فمن هنا جاز في الحكاية « من زيدا » و « من زيد »

ولم يجز ذلك في الرجل والغلام ونحوهما مما ليس بعلم هكذا قال أبو علي وهو الصواب » (٤)

رابعاً : ما نزال - إلى الآن - نحرف الاسم العلم عن صورته الأصلية ويكون ذلك في مواقف مختلفة كالتخفيف من ذكر الاسم كاملاً أو التدليل أو التمليح أو غير ذلك من دواع ، ولا يتم ذلك إلا إذا كان العلم مرتبطاً بصاحبه أوثق الارتباط وأقواه بحيث لا يؤدي ذلك إلى لبس أو غموض ، فضلاً عن أن بعض اللهجات في أقاليم مصر المختلفة تقتطع الحرف الأخير من الاسم ، أو تكنى الشخص باسم أبيه ، كأن يكون اسم الشخص « محمد إبراهيم » فيتحدث عنه من يعرفونه باسم « محمد أبو إبراهيم » . وكل ذلك يتم بين أبناء البيئة اللغوية في وضوح تام دون نكير من أحد لأنه عرف سائغ .

ويمكن أن نجمل هذه الملاحظات التي التي قررناها النحاة في عبارة موجزة هي أنه يجوز أن تغير بنية العلم في الاستعمال لعدم اللبس وإذا وضعنا هذا في الحسبان ؛ أمكن على ضوءه تحديد موقف الشعر من العلم .

إن الاسم العلم حينما يرد في الشعر لابد أن يكون معروفاً متعيناً لدى البيئة التي قيل

(١) الخصائص : ٣ - ٣٤ .

(٢) المنصف لابن جني : ١ - ١٤٢ .

(٣) السابق : ١ - ١٤٣ .

(٤) السابق : ١ - ١٤٣ .

فيها هذا الشعر ، بحيث تكفى الإشارة إلى بعض حروفه أحياناً ، أو الصورة المغير إليها الاسم أحياناً أخرى ولا سيما إن كان الشعر الشعر « كثيراً ما تحرف فيه الكلم عن أبنيته ، وتحال فيه المثل عن أوضاع صيغها لأجله »^(١) كما يقول أبو الفتح . ويقول التميمي القزاز « ومما يجوز له في الاضطراب الإتيان باسم وهو يريد غيره ، ولكن فيما أتى بعض الدليل على ما يريد »^(٢) ويقول أيضاً « ومما يجوز له له تغيير الأسماء كما قال الأول :

* ونسج سليم كل قضاء ذائل *

يريد بقوله سليم : سليمان »^(٣) وهكذا يكون موقف الشعر من الأعلام . وتكون عبارة القزاز دقيقة لو فهمنا الاضطراب على أنه الاستعمال الشعري الخاص لا الإلجاء والاحتياج ، ولا تهم — هنا — قواعد النحاة ، فما دام المعنى واضحاً مستقيماً ؛ فإن العيب ليس عيب الشعراء ؛ فإنهم هم أنفسهم الذين يحتج بشعرهم ، ولكن العيب عيب تلك القواعد التي قصرت عن شمول كل الظواهر لضيقها ضيقاً يكفل لها الاطراد :

لقد جاء الاستعمال الشعري على هذا النهج ، وهو الاعتماد على معرفة العلم في بيئته معرفة واضحة ، ولذلك كان الشعر يكتفى من العلم ببعض حروفه ، والتحريف فيه ، فجميل بن معمر يسمى « بثينه » (بثنة) في قوله :

لا ، لا أبوح بحب بثنة إنها
أخذت على موثقا وعهوداً^(٤)

ودو الرمة يسمى حبيبته مية (مى) في قوله :

ديار مية إذ مى تساعفنا
ولا ترى مثلها عرب ولا عجم^(٥)

وفاطمة تصير إلى (فاطا) في قول الشاعر :
فيا ليتنى من بعد (فاطا) وأهلها
هلكت ولم أسمع بها صوت إيسان^(٦)
ودريدين الصمة يسمى أخاه عبد الله (معبدا) في قوله يرثيه :

وإن تعقب الأيام والدهر تعلموا
بنى قارب أنا غضاب لمعبدا^(٧)

(١) الخصائص ٣ - ١٨٨ .

(٢) مايجوز للشاعر في الضرورة : ٢١٠ .

(٣) السابق : ٢١٢ .

(٤) الأشموني ٣ - ٨٤ ، والهمع للسيوطي ٢ - ١٢٥ .

(٥) شرح السيرا في لكتاب سيوييه ١ - ٢١٩ (مخطوط) .

(٦) المحتسب لابن جنى ٢ - ٢٠٣ .

(٧) الأصمعيات : ١٠٧ وشرح السيرا في ١ - ٢٣٦ .

ومن يسمى حازوقا يصير إلى (حزاق)
في قول أمه ترثيه :

أقلب طرفي في الفوارس لأرى

(حزاقا) وعيني كالحجاة من القطر (١)

وثعلبة بن سيار يسمى (ثعلبة بن سير) في
قول المفضل النكري :

وسائلة بثعلبة بن سير

وقد علقت بثعلبة العلوق (٢)

والبعيث يسمى عطية الخطفي أبا جرير
(عطاء) في قوله يهجو جريراً :

أبوك عطاء ألام الناس كلهم

فقبج من فحل وقبجت من نجل (٣)

وعبد الأشهل يصير في الشعر إلى (عبد
الأشل) في قول ابن الزبيري :

حين ألفت بقباء بركها

واستحر القتل في عبد الأشل (٤)

وعثمان بن عفان يسميه الشاعر (عثمان أبو
عفان) في قوله :

والشيخ عثمان أبو عفانا (٥)

وقد جعل السيرا في تحريف الاسم على هذا
النحو في (عثمان أبو عفان) غلطاً لا يجوز في
الشعر ولا في الكلام .

وإذا كان الاسم أعجمياً فإن التحريف فيه
أكثر مثل (إبراهيم) فإنه يجيء على هذا
النحو في قول الراجز :

أنفي لك اللهم عان راغم

مهما تجشمني فإني جاشم

عدت بما عاذ به إبراهيم (٦)

أو يجيء على هذا النحو :

نحن آل الله في كعبه

لم يزل ذلك على عهد إبراهيم (٧)

« وذلك أن إبراهيم اسم أعجمي ، فإذا
عربته العرب فإنها تخالف بين ألفاظه » كما
يقول ابن خالوية (٨) :

والنماذج لأنواع التحريف في صيغة العلم
كثيرة في الشعر كما يقول ابن جني، وقد جعل
بعض النحاة هذه الاستعمالات ضرورة في
الشعر (٩)، وبعضهم يسمى بعضها تحريفاً كما
فعل ابن جني ، وبعضهم عد ذلك خطأ كما
فعل ابن فارس . والواقع أن هذا كله ليس

(١) الأصمعيات : ٢٠١ والخصائص ٣ - ١٨٨ .

(٢) الخصائص ٢ - ٤٣٧ واللسان ١٢ - ١٣٨ (علق) .

(٣) الخصائص ٢ - ٤٣٧ واللسان ١٩ - ٣٠٢ (عطى) .

(٤) الخصائص ١ - ٨١ ، ٣ - ٤٣٨ واللسان ١٣ - ٣٩٧ (شهل) .

(٥) شرح السيرا في ١ - ٢٣٦ .

(٦) إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه : ٤ والرجز في اللسان مع خلاص في التقديم والتأخير ١٤ - ٣١٤
(برهم)

(٧) إعراب ثلاثين سورة : ٤ .

(٨) السابق نفسه .

(٩) انظر مايجوز للشاعر في الضرورة : ٢١٠ ، ٢١٢ .

شيئاً من ذلك ، ولكنه نهج الشعر مع الأعلام اعتماداً على ما هو متعارف عليه بين الناس في نداء الأعلام أو التحدث عنها من جانب ، واعتماداً على توفز النفس وشحن الاهتمام واستحضار كل دواعي الفهم عند تلقى الشعر من جانب آخر بحيث تصبح الإشارة والإيماء مغنية عن البسط والإسهاب فضلاً عما يدل عليه تغيير صورة الاسم من معان تختلف باختلاف الموقف .

ولعل عدم نظرة النحاة للشعر على أن له استعمالاً خاصاً للأعلام هو الذى دفعهم للاختلاف حول ترخيمها في غير النداء فجعله سيبويه ضرورة من ضرورات الشعر وعقد لذلك باباً خاصاً في كتابته^(١) ، وأجاز في الاسم المرخم في غير النداء أن يجعل ما بقى منه اسماً مستقلاً ، « وليس بين النحويين خلاف أنه جائز له في غير النداء على أن يجعله اسماً مفرداً ويعر به بما يستحقه من الإعراب »^(٢) ويجز سيبويه أيضاً وغيره من المتقدمين البصريين والكوفيين أن يبقى الاسم بعد الحذف على حاله « على لغة من ينتظر » ولكن المبرد

كان ينكر هذا ولا يجيزه في الشعر ويعلل الأبيات^(٣) ، وحجته في ذلك أنه « حذف في غير النداء فأشبه حذف دم ويد فكما أن يداً ودماً وأمثالهم (كذا) يجرى آخرها بالإعراب فكذلك ينبغى أن يجرى آخر المرخم في غير النداء ضرورة »^(٤) ، ويقول عن ذلك ابن عصفور : « وهذا الذى ذكره ليس بشيء »^(٥) ، والذى أراه أن رأى سيبويه أشبه بما يتطلبه الشعر ولذلك لا أوافق المبرد على معياريته .

وبناء على ذلك لا نستطيع أن نوافق الكوفيين وابن مالك^(٦) في تعميمهم وفرضهم لغة الشعر على النثر ؛ إذ يجزون ترخيم المضاف في النداء بحيث يوقعون الترخم في آخر الاسم المضاف إليه في الشعر والنثر على السواء مثل قول الشاعر :

أبا عرو لا تبعد فكل ابن حرة
سيدعوه داعى ميتة فيجيب

وقول الآخر :

إما ترينى اليوم أم حمز

قاربت بن عنزى وجمزى

(١) انظر : الكتاب ١ - ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٢) انظر الكتاب ١ - ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

(٣) شرح السيرى ١ - ٢١٧ .

(٤) شرح السيراقى ١ - ٢١٨ .

(٥) شرح الجمل لابن عصفور ورقة ١٥٦ (مخطوط)

(٦) السابق نفسه .

(٧) انظر الهمع للسيوطى ١ - ١٨١ .

الواردة في هذا الباب كان أكثرها أعلاما معارف، فامتنع الصرف ^(٥) ويرى أن النصوص الواردة في هذا الباب ليس من السهل ردها ^(٦) ؛ ولذلك كان من النحاة من أجازها في فصيح الكلام ^(٧)، وينقل السيوطي في ذلك أربعة آراء رابعها أنه يجوز في العلم خاصة ^(٨)، والبصريون بأبون ذلك ويمنعونه ؛ ولذلك أولوا الأبيات الواردة في ذلك أو غيروا روايتها وتغير الرواية كثير في التراث النحوي - ومن أمثلة ذلك قول الشاعر :

فما كان حصن ولا حابس

يفوقان مرداس في مجمع ^(٩)

وقول الآخر :

ومصعب حين جد الأ

مر أكثرها وأطيها ^(١٠)

وقول الآخر :

لتجدني بالأمير برا

وبالقناة مدعسا مكررا

إذا غطيف السلمي فرا ^(١١)

ولا يجيز البصريون ذلك في غير الشعر ، على أنه ضرورة ^(١)، والذي نراه أن هذا استعمال شعري خاص بالأعلام ، ولاداعي لفرضه على النثر لأنه لا يرخم في غير النداء إلا العلم وحده لأنه المسموع ولا شاهد في غيره ^(٢)، كما أنه لاداعي أيضا لأن نصفه بالضرورة لأن وصفه بالضرورة إنما هو بالقياس إلى عدم جوازه في النثر، والذي نؤمن به وندعو إليه أن يفصل بين الشعر والنثر في التقعيد النحوي لأن ذلك سيوفر الكثير من الحكم بالعلة والندرة والشذوذ والضرورة وغير ذلك ، وسوف يصحح ذلك كثيرا من الأحكام وينحرف كثيرا من القواعد التي أثقلت كاهل النحو زنا ليس بالقصير .

ومن الاستعمالات الشعرية الخاصة بالأعلام والتي أثارت خلافا بين النحاة حذف التنوين من العلم في الموضع الذي ينبغي أن ينون فيه حسب قواعد النحاة ، ومن هنا أجاز الكوفيون منع العلم من الصرف لسبب واحد هو العلمية ^(٣) وأجاز ذلك ثعلب في الاختيار وتابعه أبو حيان ^(٤) ويقول ابن يعيش : « فاذا اعتبرت النصوص

(١) انظر المسألة ٤٨ من الإنصاف ١ - ٢١٤ .

(٢) انظر الهمع ١ - ١٨١ .

(٣) انظر المفصل للزنجشري : ١٧ .

(٤) انظر : الهمع ١ - ٣٧ .

(٥) شرح المفصل لابن يعيش : ١ - ٦٩ .

(٦) انظر السابق ١ - ٦٨ .

(٧) انظر شرح الصقار الفقيه لكتاب سيبويه ورقة ٢٦ (مخطوط)

(٨) انظر الهمع ١ - ٣٧ .

(٩) شرح السيرافي ١ - ٢٠٤ وشرح المفصل ١ - ٦٨ .

(١٠) شرح السيرافي ١ - ٢٠٤ .

(١١) اللسان ٧ - ٣٨٧ (دعس) .

وقول حسان بن ثابت :

أو من بنى زهرة الأخيار قد علموا

أو من بنى خلف الخضر الجلاعيد^(١)

وقول الآخر :

عمرو الذي هشم الريد لقومه

ورجال مكة مستنون عجاف^(٢)

وقول الآخر :

حميد الذي أمج داره

أخو الخمر ذو الشيبة الأصابع^(٣)

ومن الاستعمال الشعري للعلم أيضاً أن يفعل

به عكس ماسبق أى ينونه فى الموضع الذى

ينبغى ألاينون فيه حسبما تنص قواعد النحاة

كقول الشاعر :

جارية من قيس بن ثعلبة

كأنها حلية سيف مذهب^(٤)

وقول الآخر :

فان لم يكن مال يثاب فانه

سيأتى ثنائى زيداً بن مهلهل

وقول الآخر :

سلام الله يا مطر عليها

وليس عليك يامطر السلام^(٥)

وقول الآخر :

ضربت صدرها إلى وقالت

يا عديا لقد وقتك الأواق^(٦)

ومن الاستعمال الشعري للأعلام تنوين

الاسم العلم الذى حقه أن يمنع من الصرف ،

وشواهد أكثر وأشهر من أن تذكر ، وإن

كان هذا يدل على تطور فى اللغة إذا نظرنا

إلى عدم صرف الاسم الممنوع من الصرف

على أنه بقايا تاريخية لما كان يستخدم فى

مرحلة سابقة^(٧) ثم أدت عوامل التخفيف

فى العلم إلى نزع التنوين منه ، ثم نظر

إليها الشعراء فيما بعد على أنه من تقاليد الشعر

الخاصة فاستعملوه .

(١) شرح السير فى ١ - ٢٣٣ ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب .

وانظر الديوان : ٣٤٥ والبيت ملفق من بيتين هما فى ديوانه :

أوفى الذراية من تيم وإخوتها أو من بنى جمع الخضر الجلاعيد

أو كنت من زهرة الأبطال قد علموا أو من بنى خلف الزهر الأماجد

وانظر الكامل للمبرد : ٢٩/١

(٢) مايحوز للشاعر فى الضرورة : ١٢٥ واللسان ٢ - ٣٥٢ (سنت) والرواية فيه « عمرو العلاء . . . »

(٣) المقتضب للمبرد ٢ - ٣١٣ واللسان ٣ - ٣٠ (أمج)

(٤) الكتاب لسيبويه : ٢ - ١٤٨ وشرح المفصل ٢ - ٦ .

(٥) هذا البيت وما قبله من شرح السير فى ١ - ٢٠٣ .

(٦) الأشموى ٣ - ١٤٥

(٧) هذا إذا أخذنا بقول النحاة ، وهو أن التنوين هو الأصل ، ومنع الصرف طارئ لعله ، وإذا كان هذا

القول صحيحاً كذلك نحويًا وتاريخيًا ، وإلا فإن نولده يرى أن العربية - كما كان يتكلمها النبطيون قبل ميلاد المسيح وبعده

بقليل - كانت تستخدم الأسماء بدون تنوين ، والأسماء الممنوعة من الصرف كانت بلا نهايات إعرابية على الإطلاق ،

ومقتضى قوله أن هناك تطوراً حدث فى العربية إذ استخدمت الأسماء المنصرفة التنوين وأعربت الأسماء الممنوعة من الصرف

بلا تنوين . (انظر اللغات السامية ٧٣ وما بعدها)

كما أن من الاستعمال الشعري للعلم كذلك
أن يمد إذا كان مقصوداً مثل قول الشاعر :
قد علمت أخت بني السعلاء^(١)
أو يقصر إذا كان ممدوداً مثل قول
الشاعر :

لا بد من صنعا وإن طال السفر^(٢)

وقول جرير :

ونبت جواباً وسكناً يسبني

وعمر بن عfra لاسلام على عمرو^(٣)

أو يزيد في حروفه كقول الشاعر وذكر
(ميسان) فجعلها (ميسان) :

وما دمية من دمي ميسان

بمعجبة نظراً واتصافاً^(٤)

وقول الأسدي :

وخافت من جبال السغد نفسى

وخافت من جبال خوارزم^(٥)

وقد قال أبو الفتح ابن جني عن مثل

هذا الاستعمال : « وهذا — لعمرى —

تحريف بتعجرف عار من الصنعة »^(٦) :

لقد أردت — فحسب — أن ألفت النظر
إلى جانب من جوانب الدرس النحوي شتته
النحاة وشعثوا ما يجب أن يجتمع من أمره ،
وأرى لدراسة هذه الظاهرة دراسة وافية
مجدية أن نحدد فترة زمنية معينة نجتمع شعرها ،
ونستخرج الأعلام من هذا الشعر ،
ثم نصنفها ونصف استخداماتها دون أن نقول
إن هذا الاستعمال أو ذاك ضرورة أو خطأ
أو غلط أو غير ذلك من أحكام ، بل ننظر
إليه على أنه استعمال شعري خاص مادام غير
موجود في النثر ؛ وبذلك نريح النحاة من
الخلافا التي نشبت بينهم بسبب بعض هذه
الاستعمالات ، ومن لجوء بعضهم إلى إنكار
الرواية جملة لبعض الأبيات ، وكأن ذلك
يعنى من تفسيرها ودراستها ، أو تخريجها
وتأولها على غير ماوردت به مما أثقل كاهل
النحو .

محمد حماسة عبد اللطيف

(١) شرح الجمل لابن عصفور : ١٣٨ والسعلاء أخبث الغيلان وكذلك السعلاء يمد ويقصر اللسان ١٣ - ٣٥٧

(سمل)

(٢) السابق نفسه .

(٣) الكتاب لسيبويه ١ - ٣٥٧ .

والبيت في ديوانه صفحة ٤٢٥ وانظر اللسان : ٨٢/١٨ وطبقات فحول الشعراء لابن الإسلام ٣٢٨

(٤) الخصائص ١ - ٢٨٢ ، ٢٠٤ - ٤٤٧ م

(٥) سر صناعة الإعراب لابن جني ١ - ٢٠٦ .

(٦) الخصائص ١ - ٢٨٢ .

ملاحظات على تطور التأليف للمعجمي عند العرب للاستاذ تيمس بلاشير ترجمة الأستاذ أحمد درويش

والتي لم يعد يكفي المطبوع منها للاستجابة
لحاجة القراء التي أصبحت ملحة ، ومع
ذلك فليس من التزايد دون شك ، العودة
إلى دراسة مرحلة المنابع المعجمية
وخاصة تلك التي شكلت الهيكل الرئيسي
للتأليف المعجمي ، بدءاً من القرن الثاني
الهجري ، حتى ظهور ذلك السفر الحليل
« لسان العرب » ، وخلال تلك الحقبة الطويلة
كان ما فعله التأليف المعجمي العربي
يتجاوز في قيمته مجرد القول بأنه نجح في
إكمال رسالته ، فلقد غير في خلالها مرات

كان تطور التأليف المعجمي عند العرب
موضوعاً لدراسات عميقة بدرجة أو بأخرى،^(١)
وبفضل هذه الدراسات لم تعد معرفة المصادر
التي تشكل الهيكل الرئيسي في هذا الفرع
تطرح مشاكل تستعصى على الحل ، وتبقى
الأهداف التي يراد إنجازها بعد ذلك في هذا
المجال ، سهلة الإحاطة والمعالجة .

لقد تمت مهمة بالغة ، إنجاز طبعات
أمهات المعاجم التي لم تكن قد طبعت من قبل
مثل « تهذيب الأزهري » ، وفي الوقت نفسه
تمت إعادة طبعات المعاجم الكثيرة الاستعمال ،

(١) مثل دراسة جولدزيهر : Batir zwj Geschichte des Sprachgelehrsamkeit bei der

Arabern Sizungslerichteder Ak Wien Lxxii (872) 587 299 . والتي ظهرت في

ودراسة Krenkow بعنوان : (1929) Suppl.J. R.A . S. في The beginnigs of Arabic lexicography

ودراسة Rosenthal بعنوان : The techniqie nnd anproache of Muslin Scheel - Arship . 2 .

ودراسة Kraemer بعنوان : Studien Zur Altavabischen Lexikogrophis والمنشورة في مجلة
Oyiens VI (1923) 20 - 238 .

وبين الدراسات غير المطبوعة . ننوه بصفة رئيسية بدراسة عبد الله درويش : المعاجم العربية .
القاهرة ١٩٥٦ *

* اطلع كاتب المقال على المؤلف مخطوطاً ، وقد طبع دكتور عبد الله درويش بعد ذلك كتابه
تحت نفس العنوان : المعاجم العربية . القاهرة سنة ١٩٥٦ م (المترجم)

عديدة ، أهدافه ومقاصده ، واتسمت بعض
مراحله كذلك بالتقصير .

ونريد هنا إعادة النظر في الأثر الذي
أحدثته بعض آيات القرآن في المرحلة الأولى
بصفة عامة على الجهود التي كانت تهدف
إلى الجمع المعجمي للغة العربية .

لقد تعرضت التقاليد العبرية قبل الإسلام
بقرون لقضية أصل اللغة ، ويمكن أن نقرأ
عن ذلك في الإصحاح الثاني من سفر التكوين :

١٩- وجبل الرب الإله من الأرض كل
حيوانات البرية ، وكل طيور السماء ،
فأحضرها إلى آدم ، ليرى ماذا يدعوها ،
وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها .

٢٠- فدعا آدم بأسماء جميع البهائم ،
وطيور السماء ، وجميع حيوانات البرية ،
وأما لنفسه فلم يجد معيماً نظيره .

وكما نرى هنا فإن اكتساب اللغة ، كان
نتيجة لتجربة الإنسان ذاته ، والحدث الإلهي

لم يتدخل إلا لتكفي يظهر إلى أي حد خلق
آدم مميزاً بعبرية تفضله على المخلوقات الأخرى
أما في القرآن فإن نشأة اللغة تبدو على
العكس من ذلك ، وكأنها عطاء مفضل به
على الإنسان ، ذلك المخلوق المميز ، كما جاء
في سورة الرحمن في بداية نزول القرآن بمكة
(حوالي ٦١٢ م) : « الرحمن ، علم القرآن ،
خلق الإنسان ، علمه البيان » (١ - ٤) ،
وفي آيات أخرى نزلت بالمدينة ، نجد
سمة أخرى ، ذات مغزى كبير ، لذلك
التصور الذي سيفرض نفسه على الجيل
الأول من المسلمين ، فيما يتصل باللغة كعطاء
معجز* : « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم
على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم
صادقين ، قالوا سبحانك ، لا علم لنا إلا
ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم
أنبئهم بأسمائهم . (البقرة ٣١ - ٣٣)

وهن المناسب أن نضيف إلى هذين النصين
ثلاثاً وثلاثين آية وردت في القرآن بهذا الصدد (*) .

(*) الآيات التي يشير لها بلاشير بعد ذلك بقليل ، أورد ثبتاً بأرقامها في فهرس ترجمته الفرنسية للقرآن تحت عنوان «المصدر
الإلهي للوحي القرآني» وهي الآيات التالية : (إنه لقول رسول كريم) التكوين : ١٩ (تنزيل من رب
العالين) الواقعة : ٨٠ (إن هو إلا وحي يوحى) النجم : ٤٠ (فأوحى إلى عبده ما أوحى) النجم : ١٠ (تنزيل من
خلق الأرض والسموات العلى) طه : ٤ (وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا) طه : ١١٢ (ولأنه لتنزيل رب
العالين) الشعراء : ١٩٢ (الذين جعلوا القرآن عضين) الحجر : ٩١ (قال رب يعلم القول في السماء والأرض وهو
السميع العليم) الأنبياء : ٤ (وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون) الأنبياء : ٥٠ (تنزيل من الرحمن الرحيم)
فصلت : ٢ (لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) فصلت : ٤٢ (تنزيل الكتب من
الله العزيز الحكيم) الجاثية : ٢٠ (تنزيل الكتب من الله العزيز الحكيم) غافر : ٢ (تلك آيت الكتب المبين) القصص : ٢
(كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) الشورى : ٣ (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين
يقرءون الكتب من قبلك . لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) يونس : ٩٤ (وإذا لم تأتهم بآية قالوا
لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) الأعراف : ٢٠٣
(تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) الأحقاف : ٢ (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن

لقد وجدت إذن مسلمة دينية ، وجهت بصفة رئيسية ، « عملية الجمع اللغوية » لدى علماء المعاجم المسلمين في العراق منذ بدايات بحوثهم ، حيث الاعتقاد بأن الكلام منحة من الله ، ولغة العرب هي أسمى اللغات ما دامت هي تلك التي فضلها الله على جميع اللغات واختارها لغة لرسالته الأخيرة للإنسانية. ولقد لعبت التفاسير الإسلامية دوراً هاماً في أن تنسج من هذه المسلمة نظرية كاملة حول قضية « أصل اللغة » ، ومن هنا كانت مهمة المعجميين محوطة تماماً بالاستجابة للون من التعاليم الدينية ، وكانت المشكلة قبل كل شيء هي اكتشاف كل المدلولات التي كان ينبغي أن تنطوي تحت لفظ « البيان » (في

مثل قوله : علمه البيان) وأهم من ذلك اكتشاف كل المدلولات المنطوية تحت اللفظ الأكثر غموضاً « الأسماء » (في مثل قوله : « وعلم آدم الأسماء ») ، وهو لفظ عام يطلق على « الدال » ولكنه هنا ينبغي أن يؤخذ على أنه مراد به « المسميات » .

ولقد عكست بوضوح روايات المشافهة ، التي كانت روافد التفسير ، « التصور العائم » لمعنى كلمة « الأسماء » لدى الأجيال التي تلت الجيل الأول من المسلمين ، ففي نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) حفظ لنا التفسير ، الذي لا تقدر نفاسته ، تفسير الطبري (متوفى ٩٢٣ م) عبر سلاسل الإسناد المختلفة صدى لهذه التأويلات المترددة (١) :

« أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين » الأحقاف : ٩ (قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم) الأحقاف : ٣٠ (وأوحى إلى هذا القرآن لأ نذركم به ومن بلغ) الأنعام : ١٩ (وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه) الأنعام : ٩٢ (أفغير الله آتبعي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتب مفصلاً ، والذين أنتمهم الكتب يعلمون أنه نزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) الأنعام : ١١٤ (المر تلك آيت الكتب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) (١) الرعد : (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا أنؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم) البقرة : ٩١ (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) البقرة : ١٧٠ (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) البقرة : ١٨٥ (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) النساء : ٨٢ (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبيناً) النساء : ١٧٤ (سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات) النور : ١ (*)

(*) ثبت أرقام الآيات لدى بلاشير ورد في الترجمة الفرنسية للقرآن . وقد لاحظنا أثناء كتابة الآيات المقابلة للأرقام أن هناك أرقاماً واضحة أنها كتبت خطأ مطبعياً بالتقديم أو التأخير الطفيف فأثبتنا ما يتمشى مع السياق العام ونورد هنا أرقام ما غيرناه كما أتت بلاشير (الواقعة : ٨٠) ، الشعراء : ٢٠١ ، الأحقاف : ٢٨ ، البقرة : ١٨١ ، آل عمران : ٣٩ . وقد أثبتنا في قائمة الآيات ما رأيناه قريباً منها فليراجع . « المترجم » .

(١) يورد الطبري في تفسيره « جامع البيان في تفسير القرآن » (١ : ٨٢ - ٨٦) سلسلة من الأسانيد تنتهي إلى العباس ، وأحياناً إلى قتادة ، حيث نجد كلمة « أسماء » تحمل معنى الأسماء التي يتعارف بها الناس كإنسان وداية وأرض وسهل . أو لاسم كل شيء (حتى الهنة والهنية) ، وفي أسانيد أخرى في نفس الكتاب ، يقدم تأويلات أخرى تفسر « الأسماء » (في قوله : وعلم آدم الأسماء) . فإنها أسماء ذريلا آدم وأسماء الملائكة ، وبين هاتين السلسلتين من التأويلات يفضل الطبري التأويل الثاني (ذريته والملائكة) الذي يعشى مع بقية النص في رأي الطبري . =

وفي نفس الوقت ، سوف تنمو حركة طبيعية ، برغم مخالفتها للمألوف السائد آنئذ ؛ لقد فهم النص القرآني « وعلم آدم الأسماء كلها » فهماً حرفياً ، وكان من الطبيعي ، بناء على هذا الفهم ، أن يحدد المجموع الضخم للكلمات التي وهبها الإنسان عندما منحت اللغة له ، ويبدو أن مدرسة نحوي البصرة ، كانت أول من شغل بتقديم إجابة على القضايا التي أثارت في هذا الصدد ، وهنا فرض منهج « العد والإحصاء » نفسه ووصل الأمر ببعضهم إلى إحصاء مجموع ما منحه الإنسان الأول من ملايين الكلمات التي كان يوضح بها حاجاته ، والتي امتاز بها على مجموع المخلوقات الأخرى^(١) .

إن التناقض بين منهج « العد والإحصاء » هذا وبين « الحقيقة اللغوية » بدا واضح البداهة لدرجة كان يمكن معها أن تدعو البعض إلى الدهشة من هذا الفهم غير المريح ، ويبدو أن مبدأ « التناقض الصوتي » كان قد فرض نفسه منذ فترة مبكرة على المنظرين أنفسهم ، وقادهم ذلك إلى التفريق بين « ما يمكن تفصيله » و « ما لا يمكن تفصيله » ، أو إذا شئنا بين المعجم الحي والمعجم النظري .

على هذا النحو ، انفتح مجال واسع لا نهائي « للإحصاء » اللغوي المعتمد على ذاته ، إذا صح هذا التعبير ، والمتحرر من القانون الديني (القائل بأن اللغة منحة للإنسان) :

وبالتوازي مع حركة الإحصاء الشاملة للغة تلك ، نرى تطوراً واسعاً في « الرغبة في البحث » لدى كل من فقهاء اللغة في مدرستي البصرة والكوفة على السواء ؛ حيث نرى إشباع الفضول العلمي هو المحرك الأساسي للباحث . والتنقيب في حياة علماء اللغة المعروفين آنئذ ، يؤكد حدة ذلك الفضول ، والتي تبدو في عناوين الكتب التي خلفتها هذه الشخصيات ؛ فكثيراً ما نجد « كتيبات » يحدد فيها العالم جهده ، دون كثير من الغرور والادعاء ، في ملاحظة المفردات التي ثبتت نسبياً لديه ، والمتصلة بموضوع ما من موضوعات الحياة الصحراوية ، في الحضارة البدوية ، أو في حيوانات أو نباتات الأعراب وعبر هذا المنحنى ، كان يتجه العلماء بطريقة أو بأخرى إلى البحث عن « الغريب » الذي كان يكثر وروده في القصائد ، التي كانت تجمع أصالتها موضع نزاع ، والتي كانت تجمع من أفواه رواة البادية . وتدين لهذا المنحنى

= ولقد أحسن « فخر الدين الرازي » في تفسيره « مفاتيح الغيب » بعدم إقذاع التأويلات الحرفية والنحوية للطبرى ، ولقد نجح في أن يشعرنا بكل ما في كلام الطبرى من غموض ، بعد تمحيصه لهذه التأويلات غير المحددة ، وعند الرازي ، أن « الأسماء » في قوله : وعلم آدم الأسماء كلها ، تعني « صفات الأشياء ونوعاتها وخواصها » ، ولقد أخذ الرازي هذا المعنى من الجذر الأصلي للكلمة وهو « وسم » التي تعطي تماماً معنى « السمات » (والخصائص) وقد أكد البيضاوي بدوره كذلك ، على المعنى الأصلي العام لكلمة « أسماء » .

(١) السهول : المظهر ١ : ٧٤ مع إحالته إلى حيزة الأصفيهان .

أيضاً ، إعادة بناء جزء من المعجم الحضري بطريقة غير منتظمة إلى حد ما .

إن دراسة بعض الأعمال ، التي وضعت تحت عنوان « فقه اللغة » في ذلك الوقت تؤكّد أصالة هذا المنهج الرائع ، الذي تبعه هؤلاء الباحثون ، وإذا كان مؤلفو بعض هذه الكتب لم يتعدوا أحياناً طبقة « المدونين » فلقد كان الأمر على العكس من ذلك في حالات أخرى كثيرة ، خاصة في كتب « النبات » حيث يرتفع البعض إلى مستوى الملاحظات الدقيقة المدونة بمصطلحات تجبر على الإعجاب لدقتها ، ويرد على الدهن هنا خاصة ، أعمال « أبي حنيفة الدينوري » .

وابتداء من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) سوف يكتسب هدف البحث المعجمي شكلاً جديداً ، بمعنى أنه سيفصل عن المسلمة الدينية ، التي كان مديناً لها بولادته ، وسوف تنتظم هذه الأبحاث تحت تأثيرات جديدة ، ويظهر هذا في إنتاجين رئيسيين هما : « الجمهرة » لابن دريد (المتوفى عام ٩٣٣ م) و « تهذيب الأزهري » (المتوفى عام ٩٨٠ م) ، ولحسن الحظ فإن كلا من هذين المعجمين قد صدر بمقدمة وضح فيها المؤلف هدفه ، ومنهجه بطريقة تجعل من الممكن بالنسبة لنا ، أن نقوم ، من خلال النصوص ، تطور المفاهيم المعجمية بالقياس إلى تلك التي كانت سائدة في المرحلة الأولى لدى الخليل :

وواضح أن مؤلفي هذين المعلمين ، يتجهان على السواء ، إلى أن يضعوا أمام القارئ ، إحصاء كاملاً للغة ، وإلى أن يعيدا تناول العناصر التقليدية ، وضبطها بدرجة أو بأخرى طامحين إلى التزويد بأداة لغوية للبحث تكون صورتها الوحيدة ، اللسان العربي النحوي :

وفي بداية القرن الرابع ، جاء العربي - الفارسي ، ابن فارس (المتوفى عام ١٠٠٤ م) فغذى طموحاً مماثلاً ، لكنه ، فيما يبدو ، لم يكن له نفس القدر من الصدى الذي كان لسلفيه ، ومن ناحية أخرى ، تميز كل ذلك الإنتاج ، بصعوبة الاستعمال ، لأن الجذور لم ترتب إطلاقاً وفق الترتيب الألفبائي الذي يتطابق مع ما تقتضيه ضرورة الاستعمال ، ومن ثم فقد تمخض القرن الرابع عن ثورة معجمية ثانية ، ومن المحتمل أن يكون قد حدث ذلك ، تحت ضغط الحاجة التطبيقية التي وجدت في الحواضر الثقافية في إيران والعراق . وبطل هذا التجديد ، مرة أخرى ، عربي فارسي هو « الجوهري » (المتوفى نحو عام ١٠١٥ م) والشهرة التي لقيها صاحب الجوهري ، ليست عفوية ، فعلى مدى عدة قرون ، ظل هذا الكتاب صامداً ، مما يوضح إلى أي حد لبي حاجات الناس في هذا النهج الجديد .

في هذا الاتجاه ، دخل « الغرب الإسلامي » بدوره . باتجاهين قويين مختلفين ، فلقد استطاع المعجمي الضمير « ابن سيده »

(المتوفى عام ١٠٦٦ م) أن يبدو ، في ذات الوقت ، مجلاً ومتمماً لابن دريد والجوهري في « المحيط » ، ومجدداً في « المخصص » الذي يبدو لنا محاولة نجحت في الوصول إلى ماتسميه معجم المتشابهات

Dictionnaire analogique

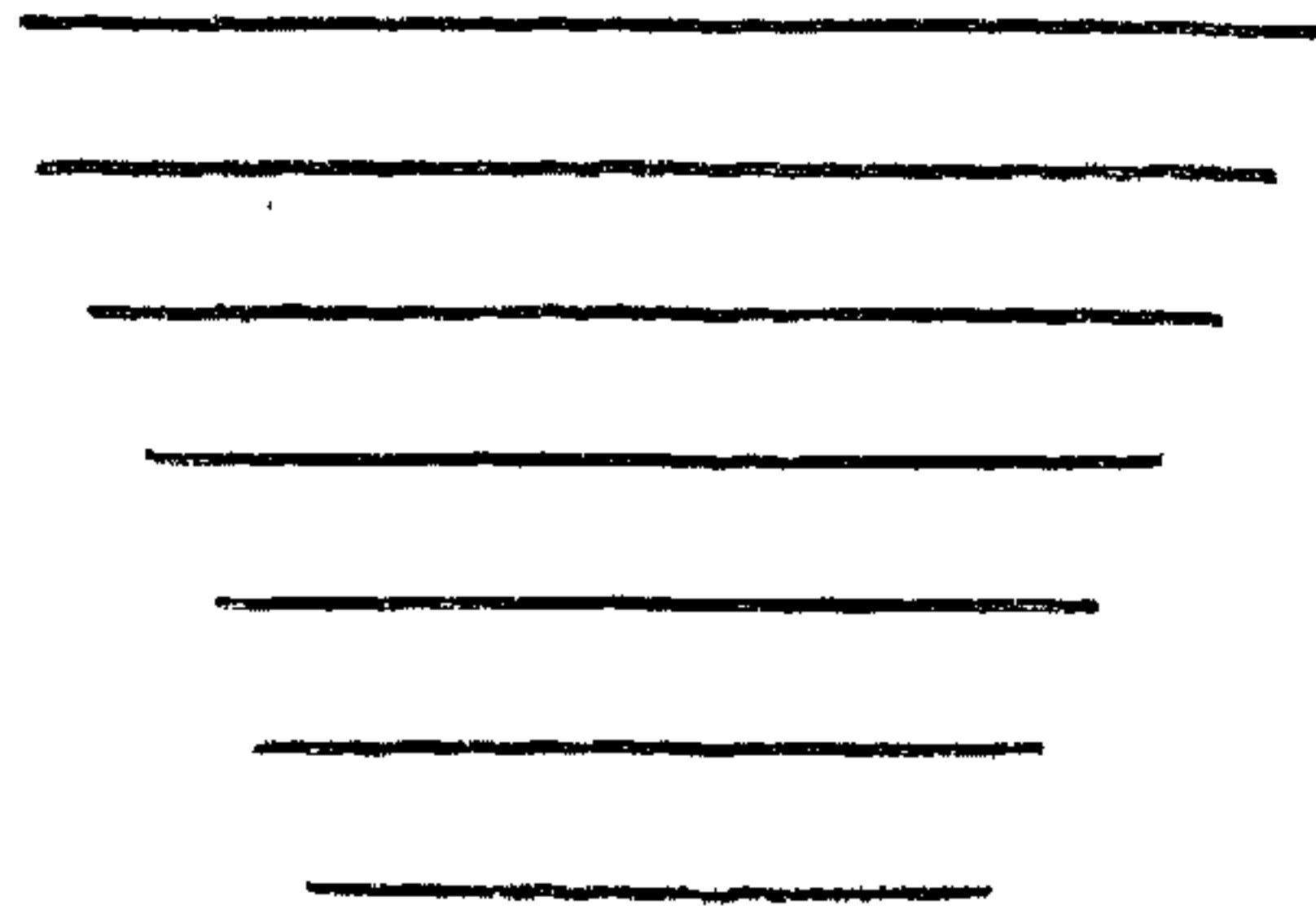
لكن عبر أية ظروف تجمد الشرق بعد ثلاثة قرون من ذلك أمام أنماط كان قد تجاوزها وحقق نكوصاً بالقياس إلى ما قدمه الصحاح ؟

تلك مشكلة يطرحها « القاموس » الشهير للفيروز آبادي (المتوفى عام ١٤١٥ م) ؛ فتعليل رواج هذا القاموس المجمل ، بسهولة استعماله فقط ، هو لا شك تعليل مغر ، ولكنه لا يشكل وحده تسويغاً كافياً ، والحق أن المهتمين بالدراسات الشرقية ، عانوا من

عدم اهتمامهم إلى سر نجاح هذا القاموس . وحتى « دوزي » نفسه ، لم يكن لديه دائماً تفسير لسر رواجه .

لقد كان ينبغي الانتظار حتى نهاية القرن التاسع عشر ، وطبع « لسان العرب » لابن منظور الإفريقي ، لكي نرى من جديد ، ظهور قضايا التأليف المعجمي العربي في قمتها عبر كتاب مدهش ومثير ، وهذا المعلم لا يبدو لنا فقط معجماً جامعاً ينبغي الرجوع إليه على الدوام ، إنه كذلك ، وربما قبل كل شيء ، الدليل في مجال التأليف المعجمي ، كالشأن في مجالات أخرى كثيرة ، على أن النزعة الإنسانية الإسلامية العربية ، كانت قد عرفت الارتفاع إلى مستوى الاحتياجات الكبرى للثقافة .

ريجيس بلاشير



علم الأرض وفقه اللغة العربية للدكتور علي السكري

من عمل حسين يوسف وعبد الفتاح الصبيدي :
وفي كتاب فقه اللغة للثعالبي (المتوفى
سنة ٥٤٢٩ هـ - ١٠٣٨ م) توجد ثلاثة أبواب
في علم الظواهر الجوية وعلم الأرض
الطبيعي وعلم المعادن وبيانها كالآتي : الباب
الخامس والعشرون في الآثار العلوية وما يتلو
الأمطار من ذكر المياه وأماكنها : الباب
السادس والعشرون في الأرضين والرمال
والجبال والأماكن والمواضع وما يتصل
بها. الباب السابع والعشرون في الحجارة ،
بالإضافة إلى أبواب أخرى في ذكر ضروب
الحيوان وأوصافها (الباب السابع عشر)
وفي النبات والزروع والنخل (الباب الثامن
والعشرون) :

وتشمل هذه الأبواب عرض الكثير
من المصطلحات العربية الأصل بحسب
موضوع كل باب ثم التعريف بالمصطلح ،
بالإضافة إلى تصنيف الباب الواحد إلى
عدة فصول يربطها وحدة الموضوع .
وتتدرج بعض الفصول في تعريف الظاهرة
الواحدة من الأصغر للأكبر أو من القليل
للكثير مع توضيح الفروق والاختلافات
الدقيقة بين الدرجات المختلفة :

تمهيد
اللغة العربية عن سائر
اللغات بما تحويه من ثروة
لفظية ضخمة ومترادفات للكلمة الواحدة ،
الأمر الذي يمكن هذه اللغة من إبراز
المعاني بصورة واضحة كما يمكنها من
دقة التعبير : وللأسف فنحن اليوم
لا نستخدم من ألفاظ اللغة العربية إلا القليل ،
في حين قد تركنا أكثرها وراء ظهورنا .
فإذا أضفنا إلى ذلك استعمال الكثير من
الألفاظ الدخيلة والغريبة ظهر لنا مدى
بعدنا عن اللغة العربية . ونتيجة لهذا البعد بدت
اللغة العربية أمام البعض وكأنها قاصرة
عن تلبية احتياجاتنا اللغوية وبالأخص في
المجالات العلمية .

ولحسن الحظ فإن الثروة اللفظية لهذه
اللغة مازالت تزخر بها الكثير من المعجمات
الضخمة بجانب العديد من كتب فقه اللغة .
وفي كتب فقه اللغة نجد تأصيلا لمعاني
الكلمات وتعريفا بها ثم تصنيفا لها حسب
الموضوع : ومن بين هذه الكتب القيمة
كتاب فقه اللغة للثعالبي وكتاب المخصص
لابن سيده الأندلسي ثم كتاب الإفصاح

وهكذا فكأن هذه الأبواب اللغوية الأصل تمثل بدايات فريدة للعلوم المقابلة . فمثلاً الباب الذى يعالج الآثار العلوية ومايتلو الأمطار من ذكر المياه وأماكنها كأنه يمثل الأصول اللغوية لعلم الظواهر الجوية الحديث ، والباب الذى يعالج الأرضين والرمال والجبال فكأنه يمثل الأصول اللغوية لعلم الأرض الطبيعي ، والباب الذى يعالج الحجارة فكأنه يمثل بدايات علم المعادن . وهنا فقط تتداخل اللغة فى العلم ؛ ويتداخل العلم فى اللغة . وساعد تصنيف المصطلحات فى أبواب موضوعية فى كتب فقه اللغة على إعطاء بعض العلوم معالم شخصية مستقلة له ، فالباب الذى يشمل الألفاظ الخاصة بالآثار العلوية ساعد فى نمو واستقلال علم الظواهر الجوية .

وإذا رجعنا إلى الباب الخامس والعشرين من كتاب فقه اللغة للثعالبي وهو يعالج الآثار العلوية (أى علم الظواهر الجوية) وجدناه يشمل الفصول الآتية : الفصل الأول : الرياح - الفصل الثانى فيما يذكر منها بلفظ الجمع - الفصل الثالث فى تفصيل السحاب وأسمائها - الفصل الرابع فى ترتيب المطر الضعيف - الفصل الخامس فى ترتيب الأمطار - الفصل السادس فى ترتيب صوت الرعد على القياس والتقريب - الفصل السابع فى ترتيب البرق - الفصل الثامن فى فعل

السحاب والمطر - الفصل التاسع فى أمطار الأزمنة - الفصل العاشر فى تفصيل أسماء المطر وأوصافه - الفصل الحادى عشر فى تقسيم خروج الماء وسيلانه من أماكنه - الفصل الثانى عشر فى تفصيل كمية الماء وكيفيةها - الفصل الثالث عشر فى تفصيل مجامع الماء ومستنقعاتها - الفصل الرابع عشر فى ترتيب الأنهار - الفصل الخامس عشر فى تفصيل أسماء الآبار وأوصافها - الفصل السادس عشر فى ذكر الأحوال عند حفر الآبار - الفصل السابع عشر فى الحياض - الفصل الثامن عشر فى ترتيب السيل تفصيله :

ونستعرض فيما بعد محتويات بعض الفصول المشار إليها . فالفصل الثانى وهو يتعلق فيما ما يذكر من الرياح بلفظ الجمع يستطرد هكذا : الرياح الحواشك المختلفة والشديدة ، البوارح الشمال الحارة فى الصيف ، الأعاصير التى تهيج الغبار ، اللواقيح التى تلقح الأشجار ، المعصرات التى تأتى بالأمطار ، المبرشات التى تأتى بالسحاب والغيث ، السوافى التى تسقى التراب . وانظر إلى محتويات الفصل الرابع عشر فى ترتيب الأنهار ، يقول الثعالبي عن الأئمة : أصغر الأنهار الفلج ، ثم الجدول أكبر منه قليلاً ، ثم السرى ، ثم الجعفر ، ثم الربيع ، ثم الطبع ، ثم الخليج .

وفي السفر العاشر من كتاب المخصص لابن سيده الأندلسي (المتوفى سنة ٥٨٨هـ / ١١٨١م) ذكر أسماء الوادى و نعوته وتضم ١٤ اسما مميزا تصف الأنواع المختلفة من الأودية بينها كالاتى : الخندق - العرض - الوادى - الغال - السليل - واد هجيج - الرغيب أى الضخم - الزهيد - مسلتح إذا لم يكن الوادى عميقا - لاخ خفيف إذا كان عميقا - واد نخضار وهو كثير الشجر والخرج - الأفجيج وهو الوادى الضيق العميق - الكركور وهو واد بعيد القعر - الشانبة نوع من الأودية ينبت نباتا حسنا .

وهكذا يتضح أن اللغة العربية ثرية فى ألفاظها ومصطلحاتها وبالأخص فى المجالات العلمية المختلفة . ويبين الكشف المرفق بعض المصطلحات التى استعملها العرب فى وصف الحجارة ، وهى مأخوذة من كتاب فقه اللغة للثعالبي . ونحن ندعو لنشر هذه المصطلحات وغيرها فى فروع العلم المختلفة والتعريف بها حتى تنتشر ويعم استعمالها ، كما أنها قد تساعد فى عملية ترجمة العلوم إلى العربية . وحبذا لو اتبعنا أسلوبا جديدا فى ترجمة المصطلحات العلمية ، فبدلا من أن نترجم المصطلح الأجنبى إلى العربية نبدأ بالمصطلحات العربية الأصل ونحاول إيجاد المقابل لها فى الأجنبية سواء أكانت الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية . هذا ويرى بعض الباحثين أن المصطلحات العربية التى

تصف ظاهرة بعينها قد تكون أحيانا من التعدد والكثرة بحيث يصعب إيجاد مقابل لها فى اللغات الأجنبية الأخرى . وبهذا تتميز اللغة العربية عن بعض اللغات الأجنبية بوفرة ثروتها اللفظية بالإضافة إلى قدرتها التامة على التعبير .

كشف بعض المصطلحات العربية فى الأحجار التى تتخذ أدوات (مختارات مما ذكر) :
[الصلاة : الحجر العريض يسحق عليه الطيب .

المسحنة : الحجر يدق به حجارة الذهب .
النشفة : الحجر الذى تدلك به الأقدام .
الريعة : الحجر الذى يرفع لتجربة الشدة والقوة .

المسن : الحجر الذى يسن عليه الحديد أى يحدد .

الملطاس : الحجر الذى يدق به فى المهراس .
المرداس : الحجر الذى يرمى به فى البئر ليعلم أفياها ماء أم لا أو يعلم مقدار غورها .

المرجاس : الحجر الذى يرمى به فى البئر ليطيب ماءها ويفتح عيونها .

الظور : الحجر المحدد الذى يقوم مقام السكين .

الحمرة : الحجر يستجمر به فى جمار المناسك .

البلاطة : الحجر الذى تبلط به الدار أى
تفرش .

الجمارة : الحجر يجعل حول الحوض لئلا
يسيل ماؤه .

الآرام : حجارة تنصب أعلاما .

في تفصيل حجارة مختلفة الكيفية :

اليرمع : حجارة بيض تلمع في الشمس .

اليلمع : مثل ما سبق .

الحمة : حجارة سود تراها لاصقة بالأرض
متدانية ومتفرقة .

البراطيل : الحجارة الطوال واحدها برطيل .

البصرة : حجارة رخوة .

المرو : حجارة بيض فيها نار .

المهو : حجر أبيض يقال له بصاق القمر .

المهاة : حجر البلور .

الممر : حجر الرخام .

الدملوك : الحجر المدملك .

الدملق : الحجر المستدير .

الراعوفة : حجر يتقدم من طي البشر .

الرضاض : حجارة تترضرض على وجه
الأرض أى لا تثبت .

الصفاح : الحجارة العراض الملس .

الرضام : صخور عظام أمثال الخزر
واحدها رضة .

الرجام : دون الرضام في المقدار .

الصادح : الحجر العريض .

الصيخود : الصخرة الشديدة وكذلك
الصفاء والصفوان والصفواء .

الظرب : كل حجر ثابت الأصل حديد
الطرف .

العقاب : صخرة ناشزة في قاع البئر .

الكديد : الحجر تسترة الأرض ويبرزه
الحفر .

اللجيفة : صخرة على الغار كالباب .

اللخاف : فيها عرض ورقة .

اليهر : حجارة أمثال الأكف .

أتان الضحل : صخرة قد غمر الماء
بعضها وظهر بعضها .

الصلعة : الصخرة الملساء البراقة .

الصيدان : حجر أبيض تتخذ منه البرام .

في ترتيب مقادير الحجارة على القياس والتقريب :

حصاة : إذا كانت صغيرة .

نبلة : إذا كانت مثل الجوزة .

قترعة : إذا كانت أعظم من الجوزة .

مقذاف (ورجمة ومرادة) : إذا كانت
أعظم منها وصلحت للقذف .

يهير : إذا كانت ملء الكف .

فهر : أعظم منها .

جندل : أكبر منها .

جلمد : تليها في الكبر .

صخرة : تليها في الكبر .

قلعة : وهى التى تنقلع من عرض جبل ،
وبها سميت القلعة التى هى الحصن .

على السكرى

الترجيز

بين قديم وحديث

للكاتب يوسف نون

مجلت

العرب بحر الرجز في المكان
السابع بين البحور الماثورة

التي وصل إليها الخليل بن أحمد الفراهيدي
١٠٠ هـ - ١٧٤ هـ (٧١٨ - ٧٩١ م)
وهي خمسة عشر بحراً هي : الطويل ،
والمديد ، والبسيط ، والوافر ، والكامل ،
والرجز ، والرمل ، والخفيف ، والمتقارب ،
والهزج والسريع ، والمنسرح ، والمضارع ،
والمقتضب ، والمجثث .

وزاد عليها الأنخفش (ت سنة ٢٢٥ هـ) ،
وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، بحراً أسماه
المتدارك ؛ لأنه تدارك به مافات الخليل فصار
عددتها ستة عشر بحراً .

وقد كان الخليل لغوياً وإماماً لنحاة البصرة
في القياس والتعليل النحوي ، ومن أشهر
تلاميذه سيبويه والأصمعي والنضر بن شميل
وكان إلى ذلك عارفاً بالموسيقى ، فاستنبط
العروض وجعله في خمس دوائر واستخرج
منها بحوره المذكورة ؛

وقامت نظراته الفنية إلى الدوائر على أساس
التشابه بين البحور في مقاطعها ، وقد جعل

كل دائرة تتضمن مجموعة من البحور ؛ مستنداً
إلى ما يقرره الرياضيون من أن الدائرة الهندسية
تعتبر كل نقطة فيها صالحة لأن تكون بداية
ونهاية معاً ، وهكذا الدائرة العروضية تصلح
أي نقطة بها أن تكون بداية مقطع لبحر ما .

وقد حصرها في خمس دوائر هي كما يلي :
١ - الدائرة المختلفة : وأصلها الطويل
وتضم معه كلا من المديد ، والبسيط .

٢ - الدائرة المؤتلفة : وأصلها الوافر
وتضم معه الكامل .

٣ - الدائرة المختلطة : وأصلها الهزج وتضم
معه الرجز ، والرمل .

٤ - الدائرة المشتبهة : وأصلها السريع
وتضم معه كلا من المنسرح ، والخفيف ،
والمضارع والمقتضب ، والمجثث .

٥ - والدائرة المتفقة : وأصلها المتقارب
وتضم معها بحر المتدارك . وبذلك يصبح
استدراك الأنخفش لقيمة له فنياً ، لأن الخليل
قد وضع تلك الدائرة التي تضم ذلك البحر ،
كما أن من الممكن أن تسمى كل دائرة باسم
أول بحر بها .

وحيث نريد استخراج بحر من آخر من الدائرة فإن ذلك يسمى فكاً ، ويستمر حتى نصل إلى آخر بحر في الدائرة ، وقد علمنا أن كل بحر يتضمن عدة تفعيلات — وتسمى أيضاً الأجزاء أو الأركان ، أو الأمثلة ، أو الأوزان ، أو الأفاعيل ، أو التفاعيل ، وتجمع حروفها كلمتا « لمعت سيوفنا » في عشرة حروف ، وتتكون التفعيلات من مقاطع هي الأوتاد جمع وتد ، وهو إما مجموع أى يتكون من حركتين فساكن ورمزهما هكذا : ٥ / / ، وإما مفروق أى يتكون من حركة فساكن فحركة ورمزهما هكذا : ٥ / ٥ / كما تتكون المقاطع من الأسباب جمع سبب ، وهو إما خفيف أى يتكون من حركة فسكون مثل : ٥ / ، أو ثقيل أى يتكون من حركتين ورمزهما هكذا : / /

أمثلة :

وتد مجموع مثل : أخى ، مضى ، رمى (٥ / /)

والدائرة المحتلبة أصلها الهزج ، وتضم معه بحرى الرجز والرمل :

أما بحر الهزج — وهو أصل الدائرة — فتفعيلاته هي مفاعيلن (ثلاث مرات) فى كل شطر .

وتتكون الدائرة من المقاطع التالية .

وتد مجموع (مفا / / ٥) :

وتد مفروق مثل : منك ، قال ، جاء (/ ٥ /)

سبب خفيف مثل : لم ، لن ، من (٥ /)

سبب ثقيل مثل : لك ، بك (/ /)

وقد يجتمع السبب الثقيل والسبب الخفيف فيسمى فاصلة صغرى ، وقد يجتمع السبب الثقيل والوتد المجموع فيسمى فاصلة كبرى ، وقد جمعوا المقاطع فى قولهم : « لم أر على ظهر جبل سمكة » (بتنوين سمكة) .

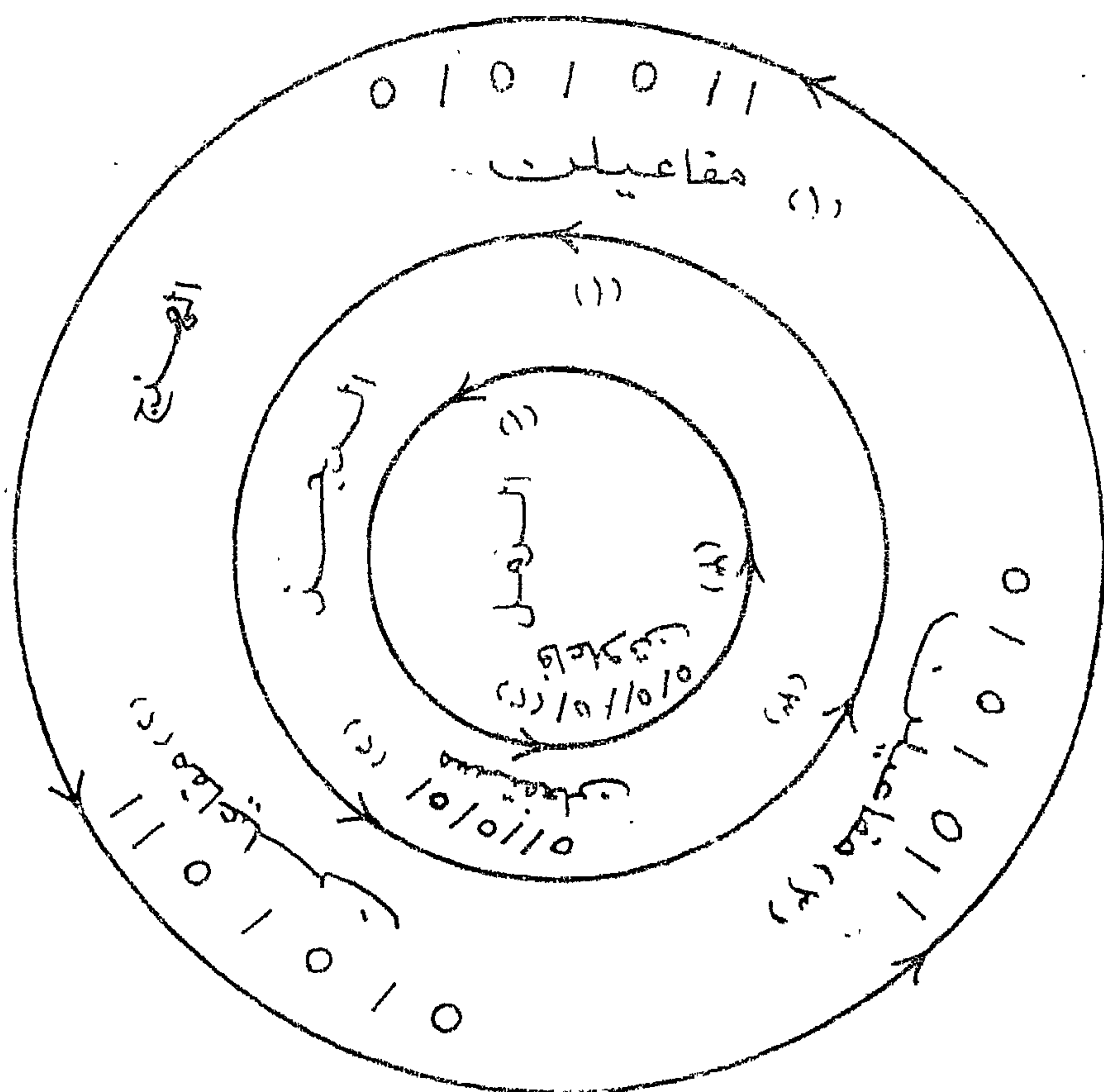
فإذا بدأنا البحر الأول من الدائرة وأردنا أن نقف على البحر الثانى تجاوزنا المقطع الأول وبدأنا بالمقطع الثانى لنحصل على آخر وهكذا حتى تنتهى مقاطع الدائرة .

وحيث اتفقنا على الرموز الدالة على كل من الحركة والسكون فإننا سنكتب المقاطع بتلك الرموز ونتعرف على إحدى الدوائر العروضية التى وضعها الجليل ، ونقف عند الدائرة التى تتضمن بحر (الرجز) وهى الدائرة المحتلبة .

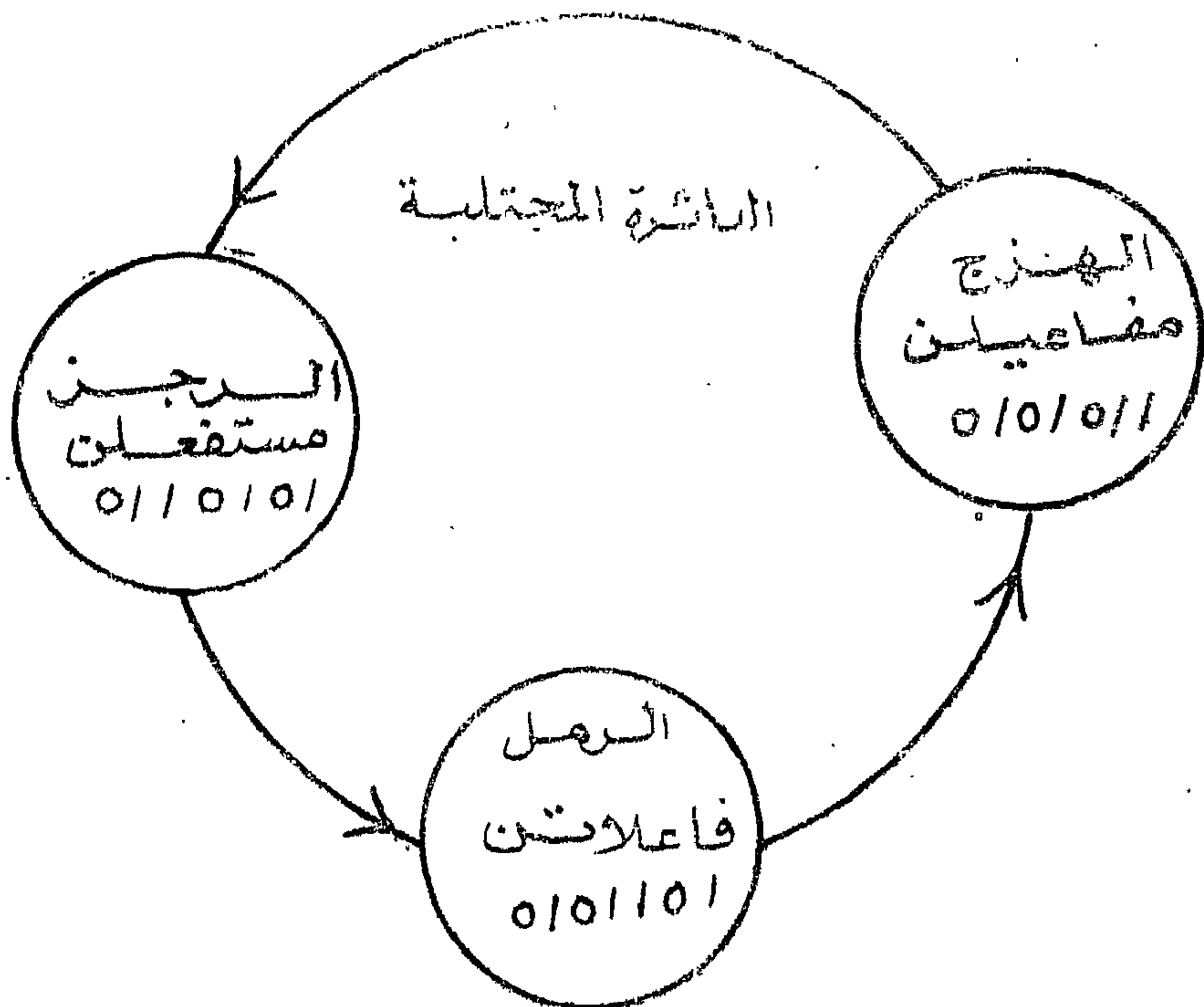
فسببين خفيفين (عيـ / ٥ لن / ٥)

أما بحر الرجز فتفعيلاته هي مستفعلن (ثلاث مرات) فى كل شطر .

أما بحر الرمل فتفعيلاته هي فاعلاتن (ثلاث مرات) فى كل شطر .



شرح تفصيلي لطريقة استخلاص بحور الدائرة المجتلية



أصل الدائرة بحر الهزج ، و تفعيلاته
المكررة هي (مفاعلين) ، وتبدأ بأول
مقطع وهو الوند المجموع (مفا / / ٥) .

وحين نريد استخلاص بحر الرجز نترك
ذلك الوند المجموع ونبدأ بما يليه ، وهو
السبب الخفيف فالسبب الخفيف الذي يليه
فالوند المجموع الذي تركناه في أول الأمر ،
لنحصل على تفعيلة (مستفعان ٥ / ٥ / / ٥) .

وحين نريد استخلاص بحر الرمل نترك
أول السببين الخفيفين ونبدأ بالثاني لنحصل
على تفعيلة (فاعلاتن ٥ / ٥ / / ٥) التي
تتكون من السبب الخفيف الثاني والوند
المجموع والسبب الخفيف الأول .

وهكذا تمضي الدائرة في استخلاص مستمر
مادمنا نترك أول مقطع ونبدأ بما يليه من مقاطع .

الهزج ٥ / ٥ / ٥ / / ٥ / ٥ / ٥ / /
(مفاعيلن) .

الرجز ٥ / ٥ / ٥ / / ٥ / ٥ / ٥ / /
(مستفعان) .

الرمل ٥ / ٥ / / ٥ / ٥ / / ٥ / ٥ / /
(فاعلاتن) .

وتوجد تفعيلة الرجز (مستفعان) في
الدوائر العروضية كلها ماعدا الدائرة المتفقة ،
فهو في الدائرة المختلفة في تفعيلتين في بحر
البسيط . بل وجدنا من يذهب إلى أن البسيط

هو الرجز ويرى أن تفعيلة (فاعلن) ماهي
إلا (تفعلن) من بحر الرجز أو (تعلن)^(١) ،
وهو في الدائرة المؤتلفة في بحر الكامل إذا
أضمرت تفعيلة (متفاعلن) وفي تلك الحالة
نفرق بين التفعيلتين إذا وجدنا تفعيلة محرقة
الثاني فحينئذ يكون البحر هو الكامل .

كما توجد تفعيلة الرجز في الدائرة المشتبهة
حيث توجد في كل من بحر السريع ، وبحر
المنسرح ، وبحر المقتضب ، وبحر المحتث ،
وبحر الخفيف . بل قد يحدث لبس لدى
بعض المبتدئين بين بحر الرجز وبعض تلك
البحور وخاصة بحر السريع ، ولعل هذا
ما دعا باحثا إلى الذهاب إلى أن بحر السريع
هو بحر الرجز ، ورأى ما رآه في بحر البسيط
وهو أن (فاعلن) هي (تفعان) أو (تفعان)
مأخوذة من تفعيلة (مستفعان)^(٢) .

ومن وجوه الاتفاق بين بحر الرجز وبعض
تلك البحور اتفاق السريع والرجز في مجيئهما
مشطورين دون غيرهما من البحور ، واتفاق
الرجز مع المنسرح في مجيئهما منهوكين ،
وهذا في ظني ما يؤكد الصلة الفنية بين
تلك الدوائر المذكورة ، وما يرد على من لم
يجعل الرجز من الشعر ، وقد سبقنا كثير
من الباحثين إلى الذهاب إلى أن كثيراً من
أوزان الشعر يمكن إرجاعها إلى بحر الرجز
مثلاً ذهب المستشرق (هارتمان) . بل قد

(١) أحمد كشك مجلة الثقافة العربية في أغسطس ١٩٧٦ ص ٤٤ وما بعدها .

(٢) المصادر السابق ص ٤٥ وما بعدها .

ذهب (إيفالد)^(١) إلى ارجاع بحور الشعر جميعاً إلى الرجز ، وهذا ما يؤكد ما أشرنا إليه من اشتداد الصلة الفنية بين تفعيلة (مستفعِلن) وبعض الدوائر العروضية أو معظمها .

وقد أدرك الشعراء المحدثون في العصر الحديث ذلك الواقع الفني فجاء معظم شعرهم من بحر الرجز^(٢) ، وكثر استعمال ترخيصات ذلك البحر لدى هؤلاء الشعراء وغيرهم ، وربما أسرف بعضهم في توسعه في استعمال هذه الترخيصات العروضية .

وقد وضح أن تفعيلة الرجز هي :
(مستفعِلن) وهي تتكون من سببين خفيفين هما :

هـ / و هـ / . ووتد مجموع هو هـ / / هـ / .
ويمكن أن يطرأ عليها تغيير لتأخذ صورة من الصور التالية متفعِلن : بحذف الثاني فتكون : هـ / / هـ / / .

ومستعلن : بحذف الرابع فتكون : هـ / / / هـ /

ومتعلن : بحذفهما (أى الثاني والرابع) فتكون : هـ / / / / هـ / .

ونظراً لأن بحر الرجز تتكرر فيه التفعيلة ذاتها على نحو ما ذكرنا فإنه يعد من البحور الصافية ومنها أيضاً :
المتقارب : فعولن فعولن فعولن فعولن في كل شطر .

الهرج : مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن في كل شطر :

الرملي : فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن في كل شطر :

الكامل : متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن في كل شطر :

الوافر : مفاعِلن مفاعِلن مفاعِلن وتصبح الأخيرة مفاعل أو مفعولن : في كل شطر :

ومن هنا جاز لنا ألا نقبل رأى من أخرج بحر الرجز من الشعر ، أو أخرج مشطوره ومنهوكه ، كما جاز لنا ألا نقبل رأى من جعل الرجز دون الشعر^(٣) منزلة ، وما روى من ازدراء الجاهليين له ، ومتابعة الإسلاميين ومن جاءوا بعدهم للسابقين في ذلك الازدراء يرجع إلى الموضوعات التي كان يختارها الراجز ، وقد كان يقتصر في معظمها على أبيات معدودة ، وكان من عادة

(١) الدكتور حسين نصار - الشعر الشعبي العربي - المكتبة الثقافية ص ٢٥ وص ٤٠ .

(٢) انظر لتفصيل القول في ذلك على نحو جديد (الدكتور رجاء عيد - الشعر والنغم - دار الثقافة .

١٩٧٥ . ص ١٠٨ ، وما بعدها وص ١٢٨ وما بعدها وص ١٥٥ وما بعدها) .

وقد دخلت (مستفعِلن) في أوزان الفنون المستحدثة ومنها السلسلة ، والموالي والقوما والكان كان .

وكثر استعمال الرجز لدى نزار قباني كما كثرت ترخيصات الرجز عنده .

(٣) لم يذكره أبو الملاء المعري في تصوير جنته في رساله الغفران وأورد لشعرائه جنة خاصة جعل بيوتها

أحط وأقل درجات من قصور الشعراء .

الذوق العربي ألا يستسيغ فنياً إلا القصائد وخاصة ما يطول منها ، وكان الرجز قليل الأبيات ، ومن ناحية أخرى اعتبره الذوق شعراً شعبياً لتعدد أغراضه ، ومن هنا لم يحفل به الشعراء والرواة ولم يقفوا عنده طويلاً ، حتى ليشبهه المحدثون في عصرنا بالفنون الشعبية كالزجل والمواويل ^(١) ، بينما يشهد الواقع أن اللغويين احتفلوا بهذا اللون كثيراً ، وأن عامة الناس أعجبوا بالرجز والرجاز ، بل أعجب به النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقد روى أن العجاج أنشد أبا هريرة أرجوزاً ته التي يقول فيها :

« ساقاً بخنداة وكعباً أورما »

فقال أبو هريرة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه نحو هذا الشعر . وأحب العرب الرجز ورأوه فناً أصيلاً ، وقال المتنبي بن نهان لرجل من أشرف العرب : ما علمت ولدك ؟ قال : الغرائض . قال : علمهم الرجز فإنه يهت أشداقهم أى ؛ يوسعها فتفيدهم في الخطابة ؛

ومعنى هذا أن الرجز فن محبوب للعامة ، وللخاصة أيضاً ؛ ويؤكد ذلك ما يروى من أن الأصمعي كان يحفظ ست عشرة ألف أرجوزة ، وإن كان لذلك صلة بميله اللغوي وكذلك غيره من اللغويين .

وقد ذهب لمستشرق جولد تسهير إلى أن الرجز نشأ عن السجع بعد أن أخضع للأذن ، ويلتقى هذا مع حقيقة تؤكد شعبية هذا الفن وبقائه على صورته الشعرية التي نشأ عليها على حين تطورت الألوان الشعرية الأخرى وارتقت ، وقد أرجع بعض المستشرقين سبب تسمية الرجز عند العرب إلى أنهم شبهوه بصوت الرعد المتتابع إذ يهدير الراجز في هجاء خصومه ، وكان الهجاء أبرز أغراضه في الجاهلية ، وذهب بعض الباحثين إلى أن الكلمة مشتقة من الرجز الذي يعترى الناقة أو البعير ، وهو ارتعاد الأفخاذ المؤخرة عند القيام ، وفي ذلك ما يصل بين الرجز والجداء ، ورغبة العربي في تنشيط الناقة ودعوتها للحركة .

وقد سبق الرجز ألوان الشعر وكان الجاهلي يعتمد إلى البيت أو البيتين أو الأبيات القلائل إذا خاصم أو شاتم أو نافر ، لكن المخضرمين أطالوها كالأغاب العجلى ، وكما ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى كان العجاج أول من أطاله وقصده ونسب فيه وذكر الديار واستوقف الركاب ووصف الناقة وبكى على الشباب ووصف الراحلة ، كما فعلت الشعراء بالقصيد ؛ فكان في الرجاز كما مرى القيس في الشعراء ^(٢) وفعل مثله رجاز العصر الأموي ومنهم ابنه رؤبة ، فعنوا به ،

(١) منهم الدكتور طه حسين - انظر : الدكتور حسين نصار : الشعر الشعبي العربي ص ٣٨ و ٣٩ .

(٢) العمدة لابن رشيق ج ١ ص ٥٦ .

وتنوعوا أغراضه ، واشتدت المنافسة بينهم وبين غيرهم من الشعراء ، وأخذ جرير والفرزدق وغيرهما يقولون الرجز البدوي ، وتخصص البعض في الرجز الذي يصور الطبيعة البدوية بين القوم المتحضرين؛ ويخدم اللغة وينوع الأغراض الشعرية، فيتناول المدح والهجاء ، ولم يعد الرجز فنا شعبياً فحسب ، ووجدنا ذا الرمة يتصل بالحضارة ويصوغ الصور البدوية في شعر يعجب أهل الحضرة المهتمين بالبادية ويخدم أصحاب اللغة . وظل الرجز فنا قائماً في العصر العباسي ، وقد ساعد على ضياع كثير منه ارتجاله ، وكان هذا الارتجال سبباً في تعدد أغراض الرجز، ومنها الهجاء في الجاهلية وصدر الإسلام ، والحداء وهو قديم ، ووصف مظاهر الطبيعة ، ووصف الحروب . : إلخ ما هنالك من موضوعات شعبية .

وكان الرجز مطوعاً لحركة التجديد على مر العصور؛ فكان منه المجزوء والمنهوك، وكانت كثرة ترخيصاته الفنية من زحافات وعلل ، وكان سريع الاستجابة إلى دواعي التجديد حين اتسعت الحضارة الإسلامية في العصر الإسلامي ، وكثر الغناء وانتشرت الموسيقى ، فظهرت المجزوءات في الشعر ، ووجدنا كثيراً من ذلك لدى أبي نواس ومسلم بن الوليد ، ثم ها نحن نجد الشعر الحديث في عصرنا يقبل على هذا البحر في كثير من تجاربه ، وكما اتخذه اللغويون في القديم أداة طيعة لعرض لهجات القبائل ،

واستعمال الضرورة اللغوية ، بل الشذوذ عن القاعدة اتخذه شعراء العصر الحديث بأوسع صور ترخيصاته ، فتوسعوا في العلل والزحافات فيه . ومعجم الرجز أكثر مادة من معجم الشعر ، إذ وسع الرجاز على أنفسهم ، فأفسحوا للغرابة والغموض والشذوذ عن القاعدة النحوية على عكس الشعراء .

وقد حمل الرجز قديماً لغات قبائل الشعراء ، من ذلك قلب السين تاء في قولهم :
يا قبح الله بنى العلات
عمرو بن يربوع شرار النات
ليسوا أعفاء ولا أكبات
يريد : الناس ، وأكياس :
وقولهم بقلب الباء المشدودة جيم :

عمى عويف وأبو عالج
المطمعان الشحم بالعشج
يريد : أبو على ، وبالعشى .

وأخذوا يخففون المشدد ، ويفكون المدغم ، ويدغمون المفكوك ، ويزيدون ، ويحذفون ، مما أَرْضَى اللغويين والنحويين ، وجعل كثيراً من النقاد ومؤرخي الأدب لا يهتمون بالرجز .

وها نحن نجد العجاج وروبة قد أكثرا من قول الأراجيز التي صارت شواهد نحوية للغويين ، فلنهم ينسبون لرؤية كثيراً من

الشواهد النحوية ومنها على سبيل المثال قوله
في مدح عدي بن حاتم الطائي :

بأبه اقتدى . عدى في الكرم
ومن يشابه أبه فما ظلم

وقوله : إن أباهما وأبا أباهما
قد بلغا في الجهد غايتاهما

وقوله : أعرف منها الجيد والعينا
ومنخرين أشبهما ظيانا

وقوله : عددت قومي كعديد الطيس
إذ ذهب القوم الكرام ليس

وقوله : نحن اللذون صبّحوا الصباحا
يوم النخيل غارة ماحاحا

وقوله : من يك ذابت فهدابتي
مقيّظ مصيّف مشّتي

وقوله : أكرت في العدل ملحادأما
لا تكثرن إني عسيت صائما

وقوله : لتقعدن مقعد القصي
مني ذى القاذورة المقلّي

وقوله : أو تحافى بربك العلي
أني أبوذئالك الصبّي

كما ينسبون كثيراً من الأراجيز في صدر
الاستشهاد النحوي لغير العجاج وروبة من

جماعة من تميم قومه في لغة ينصبون فيها اسم

إن وخبرها ، وكذلك أخواتها : ومنهم قول
الراجز :

يأليت أيام الصبا رواجعا
وقول محمد بن ذؤيب العماني الفقيمي
يصف فرسا :

كأن أذنبه إذا تشوّفا
قادمة أو قلما محرفا

وغير ذلك من الشواهد العديدة التي تحفل
بها كتب النحو - واللغة (١)

وقد كتب جمال الدين محمد بن عبد الله
ابن عبد الله بن مالك الأندلسي ألفيته في
النحو على بحر الرجز ومطلعها قوله :

قال محمد هو ابن مالك
أحمد ربّي الله خير مالك

مصلياً على النبي المصطفى
وآله المستكلمين الشرفا

وأستعين الله في ألفية
مقاصد النحو بها محوية

تقرب الأقصى بلفظ موجز
وتبسط البذل بوعد منجز

وقد ساعد على ذلك ما يمتاز به بحر الرجز
من كثرة الزحافات ، ولهذا استعمل

في الشعر التعليمي في نظم العلوم والمتون
كالألفية كما أشرنا ، وكانت في النحو ،

وكالرجبية في الميراث ، والشاطبية في القراءات
ونظم كليلة ودمنة لأبان بن عبد الحميد

اللاحقي ، وبعض تلك المؤلفات يلتزم التصريح

(١) انظر لما تقدم من أمثلة ابن عقيل ط ٨ سنة ١٩٥٤ صفحات ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤

باتحاد رَوِيَّ العروض و، الضرب مثلاً وجدنا
في الألفية ومثل قول الشاعر :

إن الشباب والفراغ والحده
مفسدة للمرء أي مفسده

وبعضها يحىء موحد الروى والقافية .

ووجدنا في العصر الحديث أمير الشعراء
أحمد شوقي يكتب من الرجز شعراً على لسان
الحيوان ومنه قصيدة الدجاج البلدى
والديك الهندي وفيها يقول :

بيننا ضعاف من دجاج الريف
تخطر في بيت لها ظريف
إذ جاء هندي كبير العرف
فقام في الباب مقام الضيف
يقول : حيا الله ذى الوجوها
ولا أراها أبداً مكروها

أتيتكم أنشر فيكم فضلى
يوماً وأقضى بينكم بالعدل
وقد استخدم الرجز قديماً في كثير من
مواقف العمل وغيره ؛ لخفته وجمال إيقاعه
ومما قيل حول الماء :

نحن حفرنا بئرنا الحفيرا
بحرا يحيش ماؤه غزيرا
ومما قيل أثناء بناء مسجد لرسول الله صلى
الله عليه وسلم :

لئن قعدنا والنبي يعمل
لذاك منا العمل المضلل
وكان الرسول ينقل اللبن مع القوم ويقول
من رجز ابن رواحة :

هذى الجمال لاجمال خبير
هذا أبر - ربنا - وأطهر

وحين هدم خالد بن الوليد صنم العزى
ارتجز وهو يهدمها :

يا عز كفرانك لاسبحانك
إني رأيت الله قد أهانك

ومما قيل أثناء الحداء وصف الناقة
بالهزال من الظماً والسير حتى صارت
كالقوس :

كأنها وقد براها الإخماس
ودلج الليل وهاد قياس
شرائج النبع براها القواس

وهذه محاورة شعرية، حين نادى أبوسفیان
متوعداً عقب غزوة أحد قائلاً :

« اعلُ هُبَلٌ » .
فأمر الرسول أصحابه أن يجيبوه :
« الله أعلى وأجل » .
فرد أبوسفیان :

ألا لنا العزى ولا عزى لكم •
فيأمر الرسول أن يقولوا :
الله مولانا ولا مولى لكم •
وقد قذف أحد أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم بتمرات كان يأكلها وذهب للقتال
قائلاً :

ركضاً إلى الله بغير زاد
إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد
وكل زاد عرضة النقاد
غير التقى والبر والرشاد

يوسف نوفل

تعريف ونقد



تحقيق : الأستاذ عبود الشالجي تقديم وفهرس : الأستاذ محمد عبد الفتى حسن

لأن النشوار ما يظهر من كلام حسن ،
فيقال : (إن لفلان نشوارا حسنا . أى كلاما
حسنا) . وسواء أكانت كلمة (النشوار)
بالشين المعجمة كما وجدت في الأصول ، أو
بالسين المهملة كما يلفظها العامة وكما وجد بخط
القاضي أبي جعفر أحمد بن أسحاق بن
الهنول التنوخي وهو حجة في رواية اللغة ،
فأنها لم يصقلها الاستعمال على مدى القرون
بدءاً من القرن الرابع الهجرى الذى عاش فيه
القاضي التنوخي ، وقد ظلت قرابة ألف عام
وهي بمنزلة عن اللسان إلا ما كان من التصاقها
بكتاب القاضي التنوخي ، فهي لا تذكر إلا
معه ، ولا ترد إلا متصلة به

وقد حركنا في كتاب النشوار من طرائف
ونوادر لم ترد في نص آخر - همة أديب عربى
معاصر هو الأستاذ العراقى عبود الشالجي
المحامي ، على أن ينشر نشوار المحاضرة كاملاً ،
استناداً إلى ما يقع له من مخطوطات لهذا
الكتاب : فنص لهذا الغرض العظيم همته
ودهمه ، وظل يتابع كل مخطوطة لهذا الكتاب

أذكر أن الأجزاء الثلاثة التى نشرت من
(نشوار المحاضرة) بهمة المستشرق البريطانى
المعروف د.س. مرجوليوث وجميل سعيه
كانت من الأعمال الجلية في عالم نشر التراث
العربى حين صدر الجزء الأول سنة ١٩٢١
مطبوعاً في مصر ، وصدر الجزء الثامن في سنة
١٩٣٠ مطبوعاً في دمشق ، وصدر جزء ثالث
في دمشق سنة ١٩٣٢ على أنه ثانياً أجزاء الكتاب
الذى ضاع أكثر أجزائه على توالى العصور .
وفرح الأدباء والعلماء والمؤرخون منذ
صدور الجزء الأول من النشوار سنة ١٩٢١ ،
لأنهم وجدوا في الكتاب مادة ثرية خصبة
لعرس ملامح كثيرة من المجتمعات العربية
الاسلامية في القرن الرابع الهجرى . وهي
ملامح رآها المؤلف التنوخي رأى العين ، أو
سمع بها من ثقات ممن أخذ منهم وروى عنهم .
ومع عروبة المؤلف أبي علي الحسن التنوخي
وأصالته في النسب العربى الصميم ، فإنه لجأ
إلى كلمة غريبة النسب واللفظ ليجعلها عنواناً
لكتابه ، وهي لفظة (نشوار) التى اختارها

في أماكن وجودها ، وأغرم بهذا العمل غراما شديدا ، وظل يبحث عن الأجزاء الضائعة من هذا الكتاب ليضمها إلى المطبوعة :

وهذا البحث والتقصي إلى مخطوطة الجزء الأول بباريس : (إلى مخطوطة تشتمل على الجزئين الأول والثاني في مكتبة براد ملا باستبول : وقد أكدت له هذه المخطوطة الأخيرة أنها هي الجزء الثاني من النشوار : وأن ما نشر سنة ١٩٣٢ حتى أنه الجزء الثاني ليس إلا ثالث أجزاء الكتاب : : أما بقية الأجزاء فقد ظلت ضائعة : فكيف يجمعها وينشرها وليس لديه أصولها الخطية ؟

هنا لجأ محققنا الفاضل إلى عمل جريء في عالم نشر التراث لم يسبقه إليه أحد كما يصرح هو بنفسه في مقدمته للجزء الأول من الكتاب .. واجله لم يكن محتاجا إلى هذا التصريح الذي يكشفه القارئ بأدنى نظر دون حاجة إلى اعتراف من المحقق : : ولعله أراد بذلك أن ينتهزها فرصة ليرد بها في إيجاز على المعارضين على منهجه الجريء هذا في التحقيق ، فقال بنص عبارته : « ولعل بعض القصص التي نقلتها كانت من رواية أبي القاسم التنوخي ، ابن المؤلف : ولعل بعض القصص ، وإن كانت من رواية المؤلف ، إلا أنه ليس ثمة دليل قاطع على أنها مما اشتمل عليه كتاب النشوار . وردى على من اعترض على إيرادها عين ما كتبه المؤلف في خاتمة مقدمة الجزء الأول من الكتاب ، حيث قال : « لو كان في إيراد هذه القصص وتسجيلها خير من موضعها بياضا ، لكانت فائدة . . . »

والحق أن المحقق الفاضل التمس الخير من طريق غير مأمون المغبة ، ولا سليم العاقبة ؛ فإن جمع نصوص مفقودة من كتاب من مصادر مختلفة ، لا يقوم في ذاته منهجا سلبيا لنشر التراث ، أو لنشر كتاب من كتب التراث على الأقل . وهو منهج مع خطورته أو خطره اعترف المحقق بأنه موضع اعتراض من الغير الحريصين على نشر التراث سايبا كما أراد له أصحابه : ولكن الذي أُلجأ إلى ركوب هذا المركب الوعر ، والمزاق الخطر أنه رأى أن ذلك خير من أن تترك مواضع الكتاب بياضا : : كما رأى ذلك المؤلف التنوخي من قبل . . . ولكن شتان بين الموقفين . فأن التنوخي حين كان يجمع الأخبار من أفواه من شاهدوها كان له مطلق الحرية والاختيار في إثارة خبر على خبر ، أو تقديم نص على نص . فالنصوص كلها بين يديه ، وهي تستوي في إيرادها جملة أو حذفها جملة أو إيراد بعض وحذف بعض . أما الأستاذ المحقق عبود الشالجي حين ركب هذا المركب لجمع أخبار توهمها للقاضي التنوخي ، أو رواها التنوخي ونقلت عنه في مصادر أدبية وتاريخية أخرى ، فإنه قد يضيف إلى التنوخي ما لم يرده أن يكون في كتابه النشوار . ونحن نشاهد من واقع تجاربنا الخاصة أن المؤلف منا قد يؤثر مؤلفا من مؤلفاته بخبر أو نادرة لا يريد لها أن تكون في كتاب آخر له . فكيف يقضي الأستاذ عبود الشالجي — متحكما وذا سلطان — بأن ما ورد للقاضي التنوخي من روايات وأخبار نقلها عنه الرواة والمؤرخون هي مما اشتمل عليه كتاب النشوار

الذى ضاعت منه أجزاء لم يوقف لها على أثر .
وهل معنى رواية نسبت إلى القاضي التنوخي
في كتاب مثل المنتظم لابن الجوزي ، ومعجم
الأدباء لياقوت الحموي ، ووفيات الأعيان
لابن خلكان أنها مما اشتمل عليه كتاب
النشوار ؟

على أن محققنا الفاضل لا يجد في تلك
القضية الخطيرة بأسا . بل يقول في بساطة :
(ثم حاولت - من بعد ذلك - أن أتبع الفقرات
الضائعة من النشوار ، في ثنايا الكتب ، فأعيد
جمعها . وكان ذلك بدء عمل مضن ، بذلت
فيه وقتا وجهدا وصبرا . وراجعت مؤلفات
ابن الجوزي : المنتظم ، والأذكياء ، وأخبار
الحمقى والمغفلين ، وذم الهوى ، وتلخيص
إبليس . كما راجعت تاريخ بغداد للخطيب
البغدادى ، وتاريخ الوزراء للصائى ، ومؤلفى
ياقوت الحموي : معجم الأدباء ،
ومعجم البلدان ، ووفيات الأعيان ، وغيرها
من الكتب ، فوجدت فيها ينبوعا ثرا من
القصص التى تروى عن مؤلف النشوار ، غير
أنها وردت بأسماء مختلفة . ووجدت أن قسما
من تلك القصص قد أثبتت في الأجزاء
المنشورة من النشوار . فتأيد لى من ذلك أن
القصص التى وردت مروية عن أصحاب تلك
الأسماء ، إنما هى مروية عن صاحب النشوار ،
وأنها قد اقتطعت من ذلك الكتاب ، فاستلثها
من مواضعها ، وضممتها إلى بعضها ،
واعتبرتها من الفقرات الضائعة من النشوار .)

هكذا وبكل بساطة استوى من كتاب
نشوار المحاضرة - المفقود بعض أجزائه -

بضعة أجزاء استلها المحقق من كتب أخرى
متوهما أنها من النشوار - دون سند صحيح أو
بينة قوية - وليس لها من سند ألا أنها وردت
في طائفة من المؤلفات منسوبة إلى التنوخي ،
فجزم محققنا الفاضل بأنها من نشواره .

وهنا نسأل سؤالا آخر : كيف جاز لمحققنا
الفاضل أن يجمع هذه الأخبار الشتى من مصادر
متفرقة ، ثم يؤلف من كل طائفة منها جزءا
يسميه الجزء الرابع ، أو الخامس ، أو السادس
من النشوار ؟ فهى جمعه وتنسيقه وتقسيمه هو
لا جمع المؤلف ولا تنسيقه ولا تقسيمه . ومن
هنا هل نجرؤ على القول إن هذا المنشور كله
هو نشوار المحاضرة كما أراده مؤلفه وجامعه
الأصلى ؟ وما الظن لو أن الجزء الخامس من
النشوار المخطوط قد كتب له الظهور بعد خفاء ،
فهل نجده مثل الجزء الخامس الذى صنعه المحقق
الفاضل ؟

الحق أن دافعا نبيلًا ، وباعثا عظيما هو الذى
حمل الأستاذ عبود الشالجي على أن يسلك هذا
المسلك الوعر ، حتى يضم أشتات ما تبعثر من
أجزاء النشوار المخطوطة الضائعة ، وحتى
يسوى من ذلك الذى جمعه كتابا يسميه هو
نشوار المحاضرة ، ولكننا نخشى أن تكون
المقابلة بينه وبين الكتاب الأصلى مخيبة للآمال .

على أن الأستاذ المحقق لم يلجأ إلى هذا الجمع
استهانة به ، وتهوينا من شأنه . فقد كان يعلم
أنه مقبل على أسر عظيم ، وأن هذا الجمع
المتبع ، والتعقب الدقيق لمرويات القاضي

التنوخى ومأثوراته مما هو أشبه أن يكون من كتاب النشوار هو عمل شاق مضمّن اقتضاه كثيرا من الجهد ، والتنبه والتفطن إلى المظان ، كما اقتضاه أن يحمل مسئولية لا يقوى عليها كثير من أصحاب العزائم . فهو يعلم أن عمله هذا ومنهجه في الجمع قد لا يرضى الملتزمين بأصول التحقيق ونشر التراث : ولكنه أقدم على ما توسمه صحيحا ليصون لنا كتابا ضائعا . وقد يكون - غفر الله له - قد بعد بكتاب النشوار عن أصله وعن نسقه ، ولكننا نراه راضيا عن عمله هذا ، لأنه لم يقصد به إفساد نص ولا بتره ولا التزيد عليه ، ولكنه أراد به رد الاعتبار والوجود إلى كتاب أغلبه ضائع مفقود :

وهب أن ما جمعه الأستاذ عبود الشالجي ليس النصوص الكاملة لكتاب نشوار المحاضرة ، فهل ننكر أن هذه المجلدات الثماني الأنيقة الطبع ، الجميلة الأخراج تعد في ذاتها ثروة أدبية تاريخية رواها القاضي التنوخى ، ولو لم تكن من متن كتابه نشوار المحاضرة ؟ وإذا جاز لبعض الملتزمين بأصول النشر ، وقواعد تحقيق التراث أن ينكروا أن نشوار المحاضرة في هذه الأجزاء الثمانية هو نشوار التنوخى الأصلي ، فهل ينكرون أننا الآن مع كتاب رائع طريف حافل بأكثر ما روى عن القاضي التنوخى من أخبار ونوادير وأسمار ؟

فلنقبل هذه الحصيلة العظيمة الضخمة من أخبار القاضي التنوخى في هذه الطبعة الرائعة

التي أصدرها الأستاذ عبود الشالجي ، ولنغض النظر - ونحن مستمتعون بأطيب ما فيها من طرائف - عن أنها هي نشوار المحاضرة كاملا غير منقوص ، ولا مزيد : ٥

وهل تشغلنا هذه القضية في منهج تحقيق التراث من أن نعرف بما بذله المحقق من جهد ، وما أسداه عن فضل حين قدم لنا مجموعة نادرة من أخبار القاضي التنوخى ومذاكراته ومحاضراته الشائقة سواء كانت مما اشتمل عليه كتاب النشوار أم لا ؟ إنه في الحق أمتعنا بثمرة طيبة من ثمرات التنوخى لم يشأ أن يجعلها بياضا ، فدونها وجمع أشأتها . ولك بعد هذا أن تسميها قصصا وأخبارا من نشوار المحاضرة للتنوخى ، أو قصصا وأخبارا من مرويّات التنوخى

وقيمة هذه القصص والمرويّات والأخبار الطريفة العجيبة أنها أدخل في باب تصوير المجتمع العربى الإسلامى منها في باب الأدب والأسرار ، فهى صور واقعية وقعت في القرن الرابع الذى عاش فيه التنوخى ، وهى صور فيها كثير من ملامح بغداد وأهلها ، وأفراحها ومآتمها ، وعبادها وفساقها ، وقضاتها وشهودها . . . وقد خالط التنوخى كل لون من الناس ، وعاش كل جنس ، ولقى العلماء والشعراء في زمانه وروى عنهم :

وأنشد أشعارهم أو استنشدهم إياها . وكان ممن
لقبه المتنبي وقال عنه في مقدمة نشواره :
(وما أحسن ما أنشدني أبو الطيب المتنبي
لنفسه من قصيدة في وصف صورتنا :

أتى الزمان بنوه في شبيبته
فسرهم وأتيناها على الهرم)

ولم يكتف التنوخي بأن يسمع من فم أبي الطيب
شعره يلقيه عليه الشاعر الفحل بنفسه ، بل إنه
ازداد على المتنبي اجترأ فسأله عن نسبه وهو
يمر ببغداد سنة ٣٥٣ هـ ، ولكن المتنبي الغامض
اعتذر لسأله عن الأفصاح عن حقيقة نسبه .
والتقى التنوخي بالشاعر الماكن ابن حجاج
البغدادى ، وروى شيئا من شعره الذى أنشده
في مجلس الوزير أبي الفضل الشيرازى : وقد
أعان التنوخي على الجاه في عصره صلتته بأعظم
الرجال في وقته ، فهو قريب من عضد الدولة
البويهى ، وهو معروف عند الخليفة العباسى
الطائع ، ومن هنا أتيج له أن يخطب في الحفل
الذى أقيم عند زواج الخليفة الطائع بابنة الملك
البويهى عضد الدولة

وقد أتاحت الملابس المختلفة لصاحب
النشوار أن يرى المجتمع العربى في ظاهر أمره
وخافيه ، وأن يدخل إلى القصور كما يتسلل إلى
الأكواخ . ومن هنا نقع في النشوار على غرائب
الأحداث ، فهناك حكايات واقعية عن مروءة

الوزير حامد بن العباس ومكارم أخلاقه ، وعن
وقار الوزير على بن عيسى وتزمته ، وعن ابن
رزق الله التاجر البغدادى الذى يوقف في بلاد
الروم أكسية لتدفئة أسارى المسلمين ، وعن
الوزير عبيد الله بن سليمان الذى يبيع جزءا من
مال الدولة لأحد صنائعه . . . وعن هندی
يقتل فيلا عظيما بسيفه دون حاجة إلى سلاح ،
وعن القصرى غلام الحلاج الذى كان يصبر
على الجوع خمسة عشر يوما ، وعن المرأة
البغدادية التى كانت تنظر فتحرف القرآن .
وعن النحوى الزجاج وكيف درس النحو على
المبرد صاحب الكامل ، وعن ابن الخواصة
الذى فتح داره لترتكب فيها الفاحشة علانية ،
وعن ذلك الرجل الذى خبأ ماله في برنية ،
فعجل ذلك بسرقتها ، وعن كردك الديلمى
الذى اغتال رجلا استأمنه طمعا في ماله . . .
وغیر ذلك من الأحداث التى كانت تموج
بها بغداد والعراق والبصرة وبقاع كثيرة من
العالم العربى . ومن أجل هذا ازدحم كتاب
النشوار في طبيعته الجديدة بمئات ومئات من
المصطلحات التى فهرس لها المحقق في معجم
عمرانى عام ؛ وهو معجم يهديننا إلى آلاف من
المصطلحات التى خلقتها طبيعة المجتمع العربى
في عصر التنوخي وما حوله بقليل ، ولن نأخذ
هنا في سرد بعض هذه المصطلحات ، ولكن
القارئ للنشوار سيجد فيها حصيلة تصور له

المجتمع العربي على حقيقته . وتدلنا حقيقة هذه الصور على أن الأول لم يترك للآخر شيئاً
وأنا اليوم نكرر ما دار بالأمس تأكيداً لمسيرة الإنسانية في مسارها الطويل . فعندنا اليوم ما يسمى (بالمزاد) الذي تباع فيه السلع - وخاصة المستعملة - عن طريق المزايدة على أسعارها ، فصاحب السعر الأعلى يرسو عليه المزاد . وقد كان ذلك في العصر العباسي ، وكان يسمى (النداء) لأن إعلان السعر كان يتم بطريق المناداة عليها . وقد كان من عادة النعمان بن عبد الله - وهو أحد كبار العمال في الدولة العباسية - إذا كان في انسلاخ كل شتاء ، أن يعتمد إلى جميع ما استعمله من خز وصوف وفرش وكوانين وآلة الشتاء فيبيعه في « النداء » أي في المزاد لينخلص منه .

والحق أننا لا نملك أنفسنا إزاء ما في النشوار من أخبار وحكايات ووقائع أن نعجب مما صنعه المؤلف ليجمع مادة هذا الكتاب الممتع الطريف . ومزية القاضي التنوخي أنه لم يجمع مادة كتابه من كتاب كما كان يصنع غيره من المؤلفين ، وإنما جمعه مما تناثر على أفواه الرجال ، وما دار بينهم في

المجالس . . . فهو كتاب منقول عن الأفواه لا عن صفحات الكتب ، وزاد عليه التنوخي ما رآه هو بعينه في خلال غلطاته الكثيرة في الحياة . ويبدو أن كتب النشوار قضى عليه أن يستغرق حقبة طويلة من الزمان جمعاً في البداية ، وإعادة جمع في نهاية المطاف بعصرنا هذا . . . فقد قضى التنوخي في تأليفه عشرين عاماً كما جاء في معجم الأدباء . لياقوت ، وقضى المحقق عبود الشالجي أعواماً كثيرة في جمع ما تصوره ضائعاً من أخبار النشوار ، وكذلك الكتاب العظيم يحتاج إلى وقت أطول ، وجهد أعظم .

وإذا كان القاضي التنوخي غير مسبوق فيما اتخذه لنفسه من منهج لتأليف كتاب نشوار المحاضرة ، وذلك عندما اشترط على نفسه أن لا يجمع كتابه من كتاب ، فإن صديقنا الروحي الأستاذ عبود الشالجي غير مسبوق حين استخلص ما ضاع من أجزاء النشوار وجمعها من كتب أخرى غير الكتاب الذي يحققه ، وكأنه بهذا أراد أن يوائم بين سبق التنوخي وسبقه حتى تتم المشاكلة في العمل العظيم .

ولم يقدم الأستاذ عبود الشالجي طبعته
لكتاب الشوار عارية من الجهد الذى يدل
على ما بذله فى سبيل تحقيق النصوص التى
جمعها من مختلف المظان، فكل صفحة
من الكتاب فى أجزاء الثمانية المطبوعة على
أجمل ما تكون الطباعة العربية تزدهم
بالهوامش المزدحمة بالتعليق والتحقيق والمقابلة
والترجمة للأعلام وغير ذلك مما تقتضيه

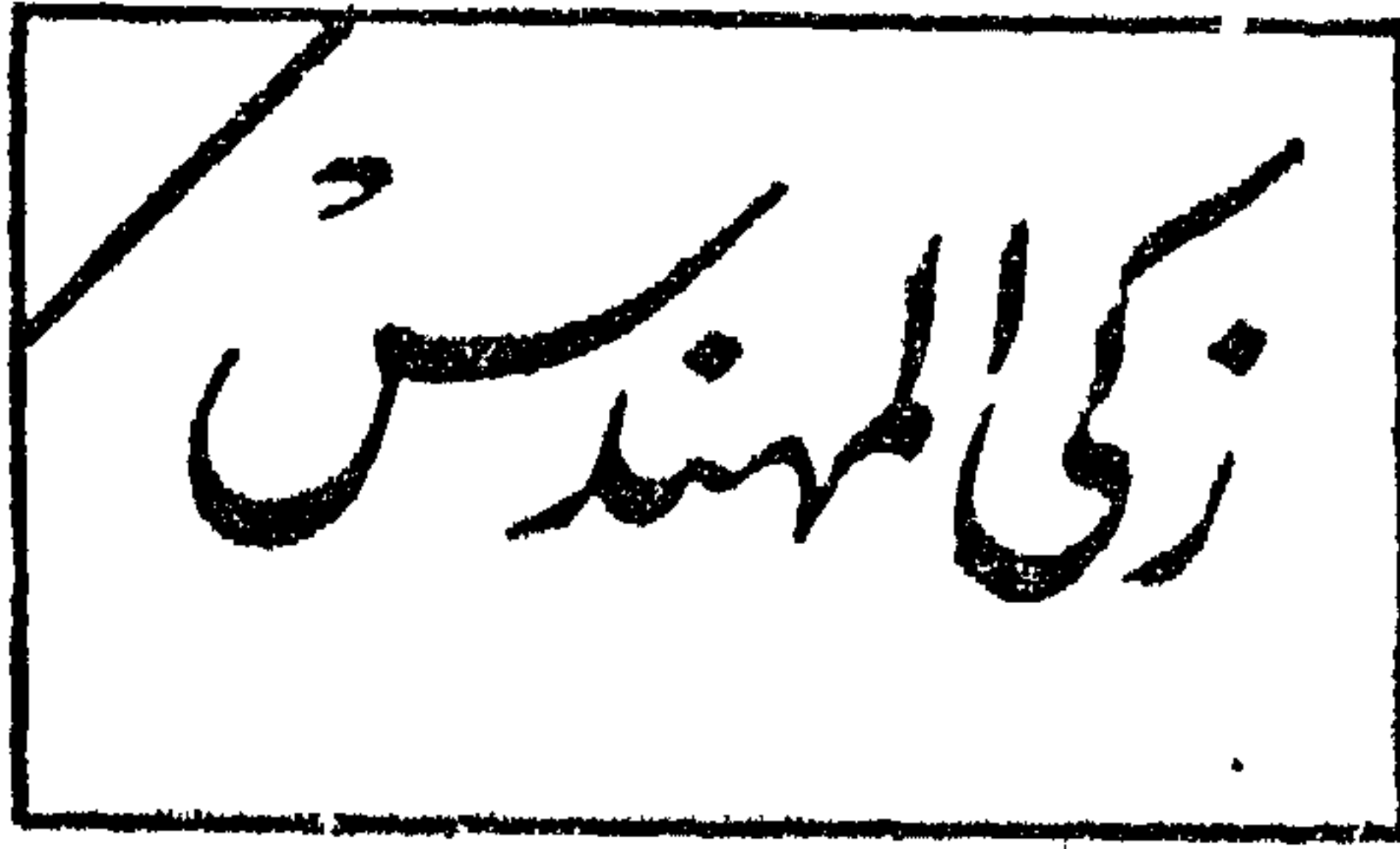
أصول النشر العلمى : وهذه الفهارس المتنوعة
فى كل جزء لموضوعات الكتاب وأسماء
الأشخاص ، والفهرس الجغرافى ، والفهرس
العمرانى وثبت المراجع والمصادر للتحقيق،
تدل كلها على الروح العلمية التى يتسم بها
محققنا الجليل :

محمد عبد الفنى حسن

شخصيات مجعية

في الساعة الخامسة من مساء الأربعاء ١٨ من ذى القعدة
سنة ١٣٩٦ هـ الموافق ١٠ من نوفمبر سنة ١٩٧٦ م أقام
المجمع بدار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء
والتشريع حفل تأبين المرحوم الأستاذ زكى المهندس نائب
رئيس المجمع الراحل ، وفيما يلي ما القى من كلمات في
هذا الحفل :

كلمة الدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع



في تأبين المرحوم الأستاذ :

وأبى هؤلاء العشرة إلا أن أكون المتحدث
باسمهم في حفل استقبالهم وإن كنت أصغرهم
أو لأنى كنت أصغرهم ، فتحدثت
في أمس البعيد باسم زكى المهندس يوم
أن دخل المجمع وشاء القدر أن أتحدث عنه
الليلة يوم أن رحل ، وما أعظم الفقد ،
وما أقسى الحديث ! ويزيده قسوة أن زكى
المهندس كان أوثق الزملاء صلة بي ، وأطولهم
صحبة لى ، وأقربهم إلى قلبي . قضيت معه

زكى المهندس بين الجمعيين

سيداتي ، سادتي :

يعز عليّ حقاً أن أقف الليلة بينكم مؤبناً « زكى
المهندس » ، فقد كنت معه بين عشرة من
الحالدين ، دخلوا المجمع سوياً عام ٤٦ ،
ثم رحلوا عنه الواحد تلو الآخر ، ولم يبق
لى منهم سواه ، وما هو ذا قد جاء دوره ،
فلم يتخلف ، وتركنى وحدى ، « وإنا لله ،
وإنا إليه راجعون » .

ثلاثين عاماً كاملة في هذا المجمع ، نعمت فيها بزمالة كريمة ، كلها ود وإخلاص ، ورقة وعذوبة ، وسماحة ، وبشاشة لا مطمع فيها ولا مغنم ، ولا تنافس ولا تراحم ، فلم نختلف يوماً ما ، ولم تباعد بيننا الأحداث والتقلبات . وإن بدا شيء من التباين بين أبناء الأسرة الواحدة ، كان زكى المهندس همزة الوصل ، ونقطة الالتقاء ، ومبعث الرضى . اختلفنا مرة فيمن يكون نائب رئيس المجمع ، ويوم أن ذكرت اسمه زال الخلاف ، واتفق الجميع .

ويطول بي الحديث إن شئت أن أعرض لزكى المهندس المجمعى ، فقد كان مؤمناً بالإيمان كله بأن العربية لغة علم وحضارة ، وأنها حية ومتطورة . وفي وسعها أن تسد حاجات العصر ومتطلباته ، وعلينا أن نيسرها في مفرداتها وتراكيبها ، في نطقها وكتابتها ، وأن نتوسع في ألفاظها وأصايلها . وأشهد أنه من أنصار التيسير والتجديد ، لأنه كان يرى أن اللغة تعبر عن الحياة ، والحياة في تطور مستمر . والعربية لغة طيعة مرنة ، قد اتسعت - وما زالت تتسع - لكل جديد ، وتصلح للتعبير عن كل مستحدث ، وحركة التطور مطردة ماضية متصلة ، تجرى إلى غاياتها في سرعة وقوة .

وكان مؤمناً أيضاً برسالة المجمع ، حريصاً على أدائها ، فأعطاه في سناء ، ووقف عليه جل جهوده في سنين طوال « مرحلة النضج ، الخبرة التامة » ، مرحلة الشيخوخة الحكيمة

المتزنة ، أعطاه علماً وعملاً ، توجيهاً ورأياً ، إشرافاً وإدارة . أسهم في معظم لجانه ، وأولع بمجلسه ومؤتمره ، ونذر أن تخلف عن جلسة من جلسات اللجان أو المجلس أو المؤتمر ، ولم تنقطع صلته قط باللجنة الإدارية التي ترعى نشاط المجمع وسير العمل فيه ، وأشرف عدة سنوات على مجلة المجمع ، فجدد نشاطها ، ونوع غذاءها ، وحرص على أن تصدر في موابقتها ، واختير نائباً لرئيس المجمع عام ٦٤ ، وجدد انتخابه بعد ذلك ثلاث مرات . ووقف إلى جانب المرحوم طه حسين رئيس المجمع في سنى مرضه موقف الولاء والإخلاص . وألححت عليه بعد وفاته أن يقبل الترشيح لرياسة المجمع ، فاستغنى ، وأبى إلا أن يلتقى العبد عن كاهله ، وأشهد أنه لم يضمن على رأى أو مشورة ، ولم يقصر في عون أو مساندة .

* * *

هذا هو زكى المهندس الزميل والرئيس ، المشرف والإدارى ، أما زكى المهندس العالم والدارس ، فالحديث فيه طويل ، وأكتفى بأن أشير إلى موقفه من ثلاث لجان من لجان المجمع كانت أثيرة لديه ، ارتبطت باسمه ، وحببت إليه ، وما أقساها من لجان ، وأعنى بها لجان : اللهجات ، وتيسير الكتابة ، والأصول .

ودراسة اللهجات ليست من الأمور الهينة،
فهى علم حديث النشأة يرجع إلى النصف
الآخر من القرن الماضى ، ويتطلب ضرباً
من الانتجاع والرحلة ، ولا بد له أن يستعين
ببعض الأجهزة والآلات ولم تعن به بعد
الجامعات العربية العناية الكافية ، ومن حقنا
أن نعوّل عليها أولاً كى تمتد اللغويين
والمجمعين بمادة يمكن أن يستخلصوا منها
ما يستخلصون . وفى العربية لهجات قديمة
وحديثة جدرة بالدرس والبحث ، وقد
بذر البذرة الأولى لدراستها فى مجمعنا بعض
زملائنا الأول . عرب ومستعمرين ، ومنهم
من كان يعد بين علماء اللهجات .

وأذكر أن الجارم حاول أن يدرس لهجة
رشيد مسقط رأسه ، كما أخذ العقاد نفسه
بدراسة لهجة أسوان ، ولفريد أبو حديد
دراسة مفصلة فى اللهجة القاهرية . وحاول
زكى المهندس أن يتابع هذا النشاط ، وأن
يغذيه وينميه . فاتجه أولاً إلى الجامعات
ومعاهد الصوتيات ، لى تعنى بدراسة
اللهجات المعاصرة دراسة حقيقية ، ولكننا
لم نحظ منها حتى الآن برد يعول عليه . ولجأ
ثانياً إلى كتب الأدب واللغة آملاً أن يكشف
فيها عن بعض اللهجات القديمة ، كعننة
تميم وقضاة . وكشكشة أسد وربيعة . وبقي
حريصاً على أن يكون للهجات درس وبحث
فى المجمع ... برغم ما صادفها من صعب ،
وما أحوجنا فى هذا المضمار إلى دراسات

ميدانية وبحوث متخصصة تواجه لهجات
العالم العربى فى مختلف أرجائه .

واستوقفت مشكلة الكتابة العربية المجمع
فى انعقاده الأول ، وأخذ يعالجها علاجاً
متصلاً منذ سنة ١٩٣٨ ، ووقف عليها دورة
كاملة عام ١٩٤٤ لمناقشة مشروع الحروف
اللاتينية الذى تقدم به عبد العزيز فهمى .
وأعلن المجمع بعد ذلك بقليل عن جائزة
محترمة فى مسابقة لتقديم أحسن اقتراح لتيسير
الكتابة العربية ، وما إن أعلن عن هذه
المسابقة حتى استجاب لها كثيرون ، وأربت
المقترحات التى قدمت للمجمع على المائتين .
وقدر لى أن أشارك مع زكى المهندس فى
فحص هذه المقترحات ، ولم يكن من بينها
مع الأسف ما يحقق التيسير المنشود ، واتصل
عملى مع الفقيه الكريم فى لجنة تيسير الكتابة
العربية بانتظام .

والمشكلة فى حقيقتها مزدوجة ، هى مشكلة
قراءة وكتابة معاً ، وليس من اليسير أن
يقدم لها حل يعالج الجانبين معاً . واتجهت
اللجنة خاصة إلى معالجة مشكلة القراءة ،
فأوصت بالتزام الشكل الكامل فى كتب
المرحلة الابتدائية ، وبشكل أواخر الكلم
فى كتب المرحلة الإعدادية ، وبشكل ما
يتوقع خطأ التلميذ فيه فى كتب المرحلة
الثانوية ، ورحبت وزارة التربية والتعليم بذلك .
وفى هذا ما ينشئ التلميذ على القراءة الصحيحة
والنطق السليم . ودرست اللجنة فى تفصيل
صور الحروف والهمزات وعلامات الترقيم

في صندوق الطباعة العربية ، ورأت الاكتفاء بصورة واحدة للحرف الواحد كيفما كان موضعه في الكلمة ، وخففت صور الهمزة وعلامات الترقيم : فهبطت بصندوق الطباعة العربية إلى ١٣٥ صورة ، واقترب كل القرب من صندوق الطباعة اللاتينية الذي تبلغ صورته ١١٥ .

ووضعت لذلك نموذجاً صادف نجاحاً ملحوظاً ، وأخذ به كثير من دور النشر وسبك الحروف . وكم كان زكى المهندس ، وهو أستاذ خط بقدر ما هو أستاذ أدب ولغة ، عوناً للجنة فيما انتهت إليه من صور وأشكال . ولا شك في أنا نقرأ اليوم أكثر مما نكتب ، ولا تزال مشكلة الكتابة في حاجة إلى معالجة وتيسير ، وليتناقنع بخط الرقعة كتابة ، ونعرف كيف نمكن أبنائنا من تجويده .

وأما لجنة الأصول فهي لجنة التجديد والتطوير ، لجنة التشريع اللغوي إن صح هذا التعبير ، وواجب المشرع أن يلحظ الظروف والملابسات ، وأن يسعى جاهداً إلى سد حاجات العصر ومقتضياته .

ولجنة الأصول من أهم لجان الجمع ، بدأت تعمل في نشاط منذ دور الانعقاد الأول ، وأنتجت بعد بحث وتمحيص ، واطرد إنتاجها دون انقطاع . واستطعنا عام

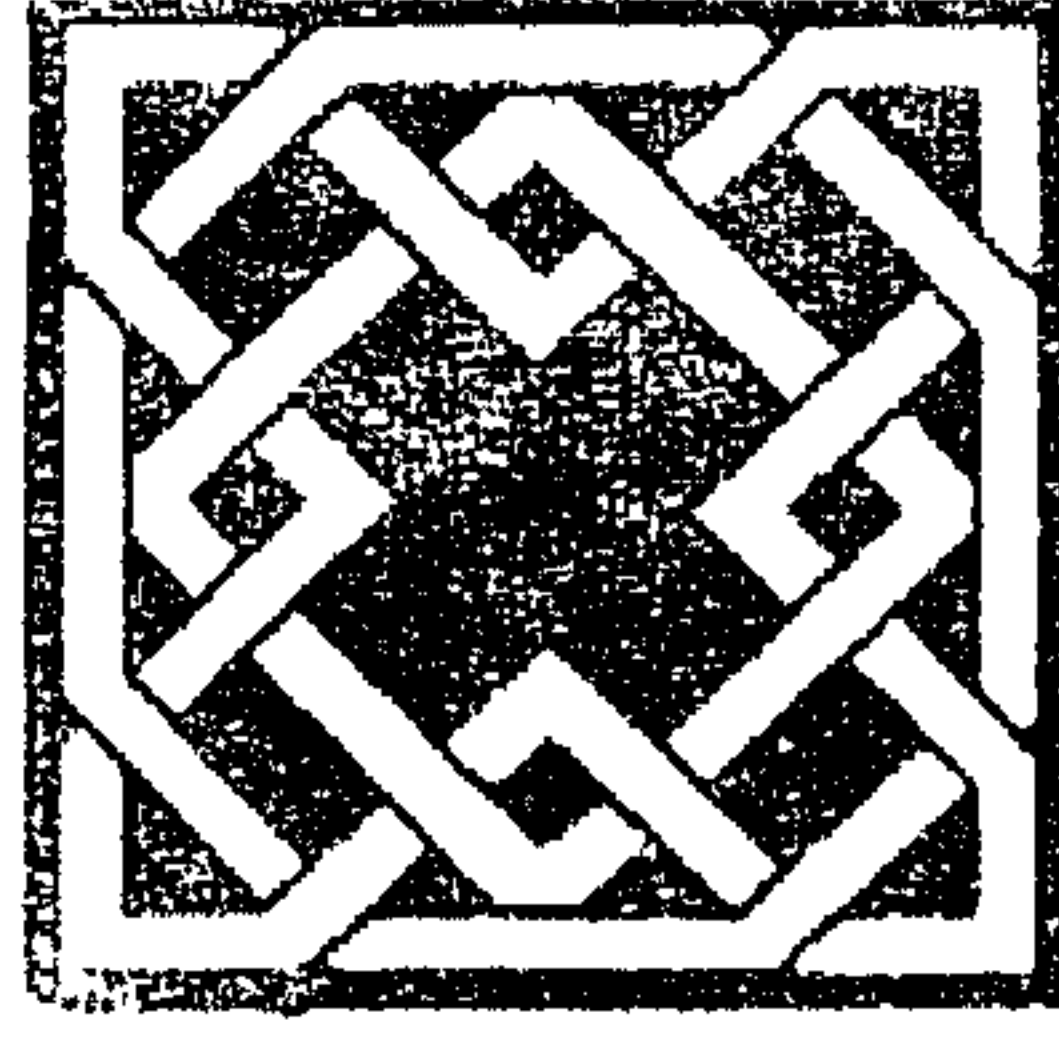
ثلاث وستين أن تخرج عمار هذا الإنتاج طوال ثلاثين سنة ، من الدورة الأولى إلى الدورة الثامنة والعشرين . أخرجناه في مجلد بعنوان : « مجموعة القرارات العلمية » ، ويقع في أربعة أبواب : أولها « في أقيسة اللغة وأوضاعها العامة » ، وثانيها « في الترجمة والتعريب وكتابة الاعلام » ، وثالثها « في وضع المعجمات والمصطلحات » ، ورابعها « في تيسير النحو والصرف والكتابة العربية » ، ويشتمل على ما يزيد عن ٢٠٠ قرار .

والتطوير في شد ومد دائماً بين تيارين متعارضين : تيار التيسير والتجديد ، وتيار الجمود والحفاظة ، وربما طغى أحدهما على الآخر . وللمجمعين حوارهم وجدلهم ، وقد تنزع مناقشتهم أحياناً منزعاً نظرياً ، وتسمى عن قصد أكاديمية ، فننسى الملاءمة بين الماضي والحاضر وتعجز عن سد الحاجة ، وتبطل بالنهوض المنشود . عاش زكى المهندس ١٥ سنة أو يزيد رئيساً للجنة الأصول في هذا الجو وتحت ضغط هذا التقابل ، وقد واجهه في حضور بديهية وسرعة خاطر ، في مهادنة ومسألة ، في صبر وجلد نادرين . وكثيراً ما امتد بحث الموضوع الواحد في هذه اللجنة شهراً أو شهرين ، تقدم فيها البحوث تلو البحوث ، وتثار وجهات النظر المختلفة ، فكان المخاض عسيراً والوصول

إلى قرارات غير يسير : ومع هذا استطاعت
أن تخرج في هذه المدة مجلدين متلاحقين
« في أصول اللغة » ظهر أولها عام ٦٩ ،
وثانيهما عام ٧٥ ويشتملان على أعمال ١٤
دورة من دورات المجمع ، وفيهما ما يكشف
عما بذل في سبيلهما من جهد صادق وعمل
دائب ، أشرف عليه زكى المهندس ورعاه .
فيها عود على بدء ، وتدارك لبعض ما فات ،

أو تيسير وتجديد في أقيسة اللغة وأوضاعها ،
وفي بعض الأحكام النحوية والصرفية ،
وفي بعض الألفاظ والأساليب العربية والمعربة ؛
رحم الله زكى المهندس بين العاملين
الأبرار ، ورحمه الله بين الزملاء الأخيار ،
ورحمه الله بين المخلصين الأولياء ، والسلام
عليكم ورحمة الله .

ابراهيم مذكور
رئيس المجمع



●● كلمة الدكتور محمد مهدى علام

أمراً شبه مقرر ، وفقاً لما كان عليه نظام البعثات يومئذ فى اختيار أوائل الحريجين عقب تخرجهم .

ولم يكن هذا أول موقف ود وصداقة وأبوة له ، بل سبق ذلك عدة مواقف ربطت بينى وبينه منذ ألقى علينا أول درس فى التربية وعلم النفس ، فقد استمال قلوبنا جميعاً ، نحن الطلاب يومئذ ، شاب وضىء الحيا ، أنيق الملبس ، نشيط الحركة ، تتابعه نظرات الطلاب وزملائه الأساتذة الذين كانوا يفوقونه سناً ، وكان من بينهم عدد من أساتذته الذين تلقى عليهم العلم قبل سفره إلى إنجلترا .

ومن أوثق المواقف التى ربطت بينى وبينه موقفه من حركة الطلبة إبان ثورة ١٩١٩ التى كان لطلبة دار العلوم دور رائد فيها . فقد قاد الحركة فى مصر لجنة المدارس العليا ، وكان لكل مدرسة مندوب يمثلها فى تلك اللجنة التى كانت على اتصال سرى بالسكرتير العام للجنة الوفد المركزية المرحوم عبدالرحمن بك فهمى ، فى بيته الذى ما زال قائماً فى شارع قصر العيني تحتله دار الأدباء .

فى أعرق أحياء القاهرة المعزية ، منذ تسع وثمانين سنة ، ولد فقيدنا العزيز زكى المهندس لأب من أوساط وجهاء ذلك الحى ، كان يزاول العمل الهندسى فى تلك المنطقة .

وحدث أن كان لذلك الوالد صلة معرفة — إن لم تكن صداقة — بوالدى . ولم أعرف عن هذه الصلة شيئاً حتى كنت على وشك التخرج من دار العلوم .

فقد حدث أننى كنت فى فترة التمرين على التدريس بمدرسة العقادين ، وكان يزورنى للتفتيش المرحوم الأستاذ زكى المهندس . فلاحظ ما كنت عليه من اكتئاب سببه أننى كنت أعد نفسى بعد بضعة أسابيع للقيام بعبء الأسرة بعد وفاة أكبر إخوتى وعائل أسرتى ، فى حين أن أملى وأمل أساتذة المدرسة كان مرتبطاً بسفرى فى البعثة . وبعد انتهاء العمل يومئذ فى المدرسة صحبني أستاذى إلى بيتنا فى حارة الروم ، وقص على صلة والده بوالدى ، وتعهد بأن يتفق مع أخ أكبر لى أن ينهض بعبء الأسرة ، حتى لا يحال بينى وبين بعثتى التى كانت

وفي المرحلة الأولى التي كنا نعمل فيها
علانية . بالقصائد النارية، والخطب الحماسية،
كان المرحوم زكي المهندس يلأزمنا في
المساجد والكنائس والجمعيات، ويصحبنا أحياناً
الأب سرجيوس .

وإذا كنا — نحن طلاب ذلك العهد —
قد مقتنا واحتقرنا أستاذاً كانت نصيحته
لنا يوم حططنا الأبواب في ٩ من مارس ١٩١٩
وكانت الأبواب تغلق علينا حتى منتصف
الرابعة مساءً — كانت نصيحته لنا : « كن
في الفتنة ذنباً ولا تكن فيها رأساً » ، فإن
تقدم زكي المهندس الأستاذ الشاب المتوثب
ليدعم إرادتنا ، ويصحب خطواتنا ، قد
عكس هذه النصيحة ، فكنا في الثورة رأساً
لا ذنباً .

وقد كنا نحتاج إلى تحرير بعض البيانات
بالإنجليزية والفرنسية ، وكان لنا اثنان من
أساتذتنا يقومان بذلك سرا دون أن يعلم بهما
إلا القليل من يوثق بهم : وهما زكي المهندس
للإنجليزية ، وإسماعيل بك رأفت للفرنسية .

وأستسمحكم في الاسترسال في ذكرى
الفقيد في موقف آخر له : ففي يوم من أيام
مايو سنة ١٩٢١ كنت أؤدي الامتحان
التحريري ، ورأيت من شرفة القاعة التي
كنت فيها ثلة من ضباط الشرطة يدخلون
متجهين إلى حجرة رئيس الامتحان . ولم يكن
ندى أقل شك في تحديد شخصية من حضروا

للقبض عليه . وأصابني رعاف، ضيقاً بأن
يحدث هذا في أثناء الامتحان الذي لم يكن له
دور ثان ، بل لم يكن يسمح لطالب راسب
أن يعيد ، بل يفصل ، تبعاً للأئحة الدنلوبية
في ذلك العهد . .

ورأيت من الشجاعة أن أضيع قلمي لأذهب
إلى حجرة رئيس الامتحان لأسلم نفسي ،
ولكن يدا رفيقة كانت تضع منديلاً تحت
أنفي تتلقى فيه الدم ، وبصوت رقيق تقول لي :
أنك لم تستدع بعد ، فاجلس وأتم إجابتك ،
وسأستمهل الداعين حتى تفرغ من إجابتك .

كان هذا هو المرحوم زكي المهندس الذي
شاء القدر أن يكون هو المراقب في حجرتنا
في ذلك اليوم ، وليس مما أنا بصدد أن
أسترسل في سرد ما تم بعد ذلك في حجرة
المرحوم أسعد بك برادة رئيس الامتحان ،
واتصاله برسل باشا حاكمدار العاصمة ،
ومصاحبة ضباط الشرطة لي لتفتيش منزلي .

ومما لا أزال أذكره — ويذكره بعض
الأعضاء من جيلي — أنه في أول الثورة ،
عقب اعتقال سعد وصحبه ونفيهم إلى مالطة ،
تألفت لجنة عليا لموظفي الحكومة ، وقررت
هذه اللجنة أن يضرب جميع الموظفين احتجاجاً
على نفي سعد وصحبه . ولم يكن الإنجليز
يتصورون أن موظفي الحكومة يضربون ،
وهم — في تقديرهم — أهل الطاعة ، والحرص
على مرتباتهم التي ما كانت تكفيهم إلا بشق
الأنفوس .

ولكن المستحيل تحقق ، وأضرب جميع الموظفين في جميع أنحاء الدولة - إلا ثلاثة ، كان أحدهم ناظر دار العلوم . وكانت فضيحة لم نستطع أن نحتملها نحن طلبة هذا المعهد الذى كانت له قيادة وريادة في تلك الثورة - فقررنا أن نلقن هذا الناظر درسا في الوطنية ، بأن يتلقى ضربة تؤدبه وهو في طريقة في الصباح إلى المدرسة .

وكانت هناك دراسة للطريق التى يسلكها ، واختيار للنقطة التى يهاجم فيها حيث تكون خالية من المارة . وعهد إلى أحد الطلاب أن يصطنع السؤال عن الطريق من الشرطى الذى في أول الطريق ، وإلى طالب آخر أن يقوم بنفس العمل مع الشرطى الذى في الطرف الآخر للطريق حتى تتم عملية التأديب .

ولكن بقى أن نختار المنفذين للتأديب . وكانت كل هذه المناقشات والترتيبات تدور في جلسات سرية يحضرها أستاذنا زكى المهندس . وقد وافق على كل خطوة إلا أن يقوم أحدها بالتأديب . وتعهد أن يستأجر شخصين من « فتوات » الدراسة للقيام بهذا العمل ، مع تفهيمهما السبب الذى من أجله نريد أن نوذب ذلك الرجل . وكانت الروح الوطنية مشتعلة في صدور الناس على اختلاف طبقاتهم ، فلما علم هذان الشخصان بطبيعة الوضع ، رفضا أخذ الأجر الذى كان مقدما

لهما ، كما رفضا أن يستوليا على الساعة الذهبية وسلسلتها التى كانت تتدلى من جيب ذلك المسكين ، قائلين : عيب ، نحن وطنيون مثلكم ، لا نُؤجّر ولا نسرق .

وبعد أن تم التأديب تحت أعيننا ، إذ كنا نشاهد ذلك من نافذة في بيت يطل على مكان الحادث ذهب الرجل حاسر الرأس إلى مكتبه ثم إلى بيته ، ثم استقال .

وإذا كان لى بعد أكثر من نصف قرن ، أن أعيد النظر في ذلك الحدث فإننى أقرر إحقاقا للحق أن ذلك الرجل لم يكن خائنا ، بل كان أسيرا للنظام الفرنسى الذى كان سائدا في القرن التاسع عشر ، وقد تربى عليه في فرنسا وكان وأميننا على ما كان يسميه الضبط والربط . فكان يعد الإضراب خيانة لأمانة الوظيفة التى في عنقه . فليغفر له الله سوء تقديره وليصفح الله عن كل تجاوز صدر ممن اشتركوا بالقول أو بالفعل في ذلك العمل . ولكننا رفعنا رؤسنا أمام زملائنا الطلبة بعد فعلتنا هذه .

ولقد ظل زكى المهندس مثلا نحتديه . وظلت صلته بى عند تخرجى وسفرى إلى إنجلترا . وقد وجدت له صورة بالقبة وقد أرسلها إلى أهله ، وكتب تحتها بيتين من الشعر كان قد حاكى فيهما زميلا أقدم هو المرحوم على الجارم .

كان على الجارم قد كتب تحت صورته ،
وقد خلع العمامة ولبس القبعة يقول :

لبست الآن قبعة بعيدا
عن الأوطان معتاد الشجون

فإن هي غيرت شكلي فإني
(متى أضع العمامة تعرفوني)

وخذنا حذوه زكى المهندس عندما سافر إلى
إنجلترا فأرسل صورته وتحتها البيتان الآتيان :

فإن تك غيرت مني الليالي
وحال البعد دونكم ودوني

فهذا رسم صاحبكم ولكن
(متى أضع العمامة تعرفوني)

وقفيت على آثارها فأرسلت صورتي
وعليها :

رأبتم صورتي فجھلتمونى
وكدتم ، لحظةً ، أن تنكرونى

أنا مهدي بن سلام ولكن
(متى أضع العمامة تعرفوني)

لقد تحدث الدكتور الرئيس عن الفقيه في
المجمع ، وسمحت لنفسى أن اتحدث عنه
حديث الذكريات ، فلأقل كلمة - مجرد
كلمة - لا تكاد تفيده حقه فيما بقى لي من الزمن :

لقد تخرج الفقيه من دار العلوم سنة
١٩١٠ في فوج من النابهين الذين عرفت
لهم اللغة والأدب والثقافة آثارهم . فقد كان
عظيما بين عظماء ، نابها بين نابيين .

ولم يكن تفوقه على من تسهل منافستهم :
كان منهم إبراهيم مصطفى الأستاذ بآداب
القاهرة ، وآداب الإسكندرية ، ودار العلوم ،
وعميدها ، وعضو هذا المجمع .

وشرف الدين خطاب رفيقه في البعثة
وزميله في التدريس بدار العلوم وفي التفتيش .
وعبد المجيد الشافعي العالم المؤلف والأستاذ
في دار العلوم .

والدكتور على العناني الأستاذ بالجامعة
المصرية في عهدها الأهلي والحكومي ، وزميل
الفقيه في التدريس بدار العلوم وفي التفتيش .
ومحمود السيد عبد اللطيف صاحب أول
سفارة علمية إلى سنغافورة ، في وقت كان
الانتقال فيه إلى طنطا يعد هجرة .

أوفد الفقيه إلى إنجلترا فدرس وتخرج من
جامعة ردينج حاصلا على دبلوم في التربية
وعلم النفس .

ولنا هنا وقفة للتاريخ قبل أن يأقن النسيان
على ما بقى منها في الأذهان .

لقد قامت دراسة التربية وعلم النفس في
مصر على أيدي رواد من خريجي دار العلوم .
كانوا يوفدون في بعثات معظمها في إنجلترا .
ولم يكن هناك منذ أول القرن الحالى من يحمل
هذه الأمانة العلمية سواهم . وأستطيع أن
أقسمهم إلى أفواج ثلاثة :

فكان الرعيل الأول ممثلا في حسن توفيق
العدل (الذى درس في ألمانيا) ومحمد شريف
سليم (الذى درس في فرنسا) .

وجاء من بعدهم فوج تصدره على الجارم
ومصطفى أمين وأحمد عبده خير الدين ؟

وظلت كتب هؤلاء تدرس حتى جاء
فوج زكى المهندس وعبد الحميد حسن ومحمد
على مصطفى (ولولا الحياء لذكرت معهم من
ساهم معهم في التدريس والتأليف) ؟

ومن الإنصاف أن أقرر أنه ظهر مع
هذا الفوج الثالث اثنان من خريجي مدرسة
المعلمين العليا كان لهما فضل كبير في تطوير
التربية وعلم النفس ، هما المرحوم إسماعيل
القباني والأستاذ أمين مرسى قنديل مد الله في
عمره . ولولا انصراف الزميل محمد خلف
الله أحمد إلى الدراسات الأدبية (مع
استظلالها بالدراسات النفسية) لكان الرائد
الأول للفوج الجديد الذى انتقل إليه علم النفس
على يد خريجي معهد التربية بعد إنشائه ؟

بقى أن أقول كلمة عن تلك الدبلومات التى
كان يحصل عليها المصريون عامة وخريجو
دار العلوم خاصة ، من جامعات إنجلترا :

لقد كانت الدراسة للحصول على هذه
الدبلومات دراسة جادة عميقة ، تستهدف
التثقيف العلمى لمهنة التدريس ، وقد نهل منها
هؤلاء الدارسون ، ونقلوا ما ثقفوا إلى أبناء
وطنهم . ولكن السؤال الذى كان يراودهم
دائما هو : لماذا لا يسمح لهم بالحصول على
درجات عليا غير الدبلومات ؟

وهذا هو السبب : كانت سياسة دنلوب
والإنجليز عامة هي أن لا يحصل المصريون

على درجات جامعية أعلى مما كان يحصل عليه
الموظفون البريطانيون في مصر ، والذين كان
لابسد أن يكونوا رؤساء هؤلاء المصريين بعد
عودتهم من بعثاتهم . لم يكن منطقهم يسمح
أن يكون المرءوس حاصلا على مؤهل أعلى
من مؤهل رئيسه :

وأعجب ما في الأمر أنه بعد أن أزيح
الكابوس البريطانى عن الحكومة ، ظلت هذه
السياسة حقة ، إما بحكم القصور الذاتى ،
ولما لأن الرؤساء الذين حلوا محل الإنجليز ،
كانوا من ذلك الفريق الذى لم يكن قد سمح
له بالحصول على الدرجات الجامعية العالية ،
فخشوا أن يأتى جيل بشهادات أعلى من شهاداتهم ؟
والحمد لله قد تغير الحال الآن .

درس فقيدنا بضع سنوات في المدارس
النافورية قبل أن ينتقل إلى دار العلوم . وهذه
مأساة أخرى في تاريخ التعليم في مصر . فقد
شاءته السياسة الإنجليزية أن هؤلاء الرواد
الذين كانوا يختارون أوائل دفعهم في التخرج ،
بعد أن يتخصصوا في علوم التربية ، يعودون
إلى مصر ليدرسوا اللغة العربية سنوات تطول
أو تقصر ، في مدارس ثانوية أو ابتدائية ،
أو مدارس التجارة والزراعة المتوسطة التى
عين فيها على الجارم عقب عودته من إنجلترا .
ثم ينقلون بعد هذه السنين لتدريس علوم
التربية في دار العلوم ومدرسة المعلمين العليا .
وبعد ممارستهم لذلك عدة سنوات ينقلون
لتفتيش اللغة العربية بالوزارة .

ولقد كنا نتندر : بأن الحكومة ترسل الخريج إلى إنجلترا لينسى اللغة العربية ويتعلم مواد التربية وعلم النفس ، ثم يعود ليدرس اللغة العربية كي ينسى مواد تخصصه في إنجلترا ، فإذا تم ذلك نقل لتدريس ما نسي ، في المدارس العليا ، فإذا تم نسيانه للغة العربية نقل مفتشا لهذه اللغة .

وأيا كانت روح الفكاهة التي حركتها هذه الدورة العجيبة التي تكررت منذ أواخر القرن الماضي حتى الثلث الأول من هذا القرن ، فإن الذي حدث هو أن هؤلاء الأساتذة الأجلاء ساهموا في كل الميادين مساهمة مشكورة ، شهدت بها كتبهم وبحوثهم وتلاميذهم في المجالين .

بعد أن خلف زكى المهندس أثره الملموس في ميدان التربية وعلم النفس بدار العلوم ، نقل مفتشا بالوزارة ، وبقي عدة سنوات يوجه فئات المدرسين إلى أمثل الطرق التعليمية . ثم هفت نفسه مرة أخرى لمنصة الأستاذ فانتقل إلى معهده الذي نظمت فيه الدراسة على الأساس الجامعي ، فشغل كرسى التربية والفلسفة ، وظل يحتل هذا الكرسى حتى اختير وكيلا لكلية دار العلوم ثم عميدا لها سنة ١٩٤٥

وفي هذه الأثناء ضمت دار العلوم إلى جامعة القاهرة فأصبحت إحدى كلياتها . وقد ساهم الفقيد في تحويل نظامها المدرسى إلى

نظام جامعي ، وشغل كرسى النقد والبلاغة . (ألم أقل لكم إن هؤلاء الرواد تقلبوا في تخصصات عمقت معرفتهم ، ووسعت آفاقهم)

وظل عميدا حتى تقاعد في سنة ١٩٤٧ تقاعد ولكنه لم يقعد . وحين أنشأ المرحوم الإمام المراغى أقسام التخصص في الأزهر ، في شعب ، تدرس كل واحدة منها مجموعة متكاملة من المواد العلمية ، كان منها شعبة الأخلاق والتربية . وكان من حظى أن دعيت للتدريس فيها ، ثم تشرفت بأن ساهم بالتدريس فيها معى أستاذى زكى المهندس . وبقي يزاوول هذا العمل العلمى العظيم سنين عدة ، تخرج منها على يديه عشرات من أفاضل شيوخ الأزهر الذين كانوا روادا للنهضة الأزهرية . وأنا أذكر أن عميدا لكلية أصول الدين قابلى منذ بضع سنوات ، وكنت أعرف له فضله وعلمه ، فلما رآنى أبالغ فى حفاوتى به قال لى : إنك أستاذى أنت وزكى المهندس . فقلت له : أنا درست لك ، ولست أستاذك ، إنما أستاذك وأستاذى هو زكى المهندس .

وفي هذه الرحلة الطويلة من سنة عودته من إنجلترا سنة ١٩١٤ إلى سنة تقاعده عام ١٩٤٧ كان رصيده عشرات الآلاف من الطلاب والمعلمين ، وعدة آلاف من صفحات التأليف والترجمة ، وعدة مئات من المحاضرات والندوات .

ومن أهم كتبه :

١ - أخلاق الفن (بالاشتراك مع زميل له)

٢ - محاضرات في التربية

٣ - إلى المجد (همسات في أذن الشباب)

٤ - رجل القرن العشرين

٥ - احلام اليقظة

٦ - المراهقة

٧ - رسالة المعلم

٨ - النحو المصور

ولهذا الكتاب الأخير ، بأجزائه الثلاثة ، دلالة خاصة على نزعة الفقيه للتجديد . فقد كان في تحريكه عدسة المصور ؛ ليشرح قواعد النحو أقوى حجة تفهم أولئك الذين طالما تقولوا على مدرسي اللغة بأنهم يعيشون في معركة زيد وعمر .

والنظرة الفاحصة لهذه المؤلفات تدل على أنها تدور حول تربية الشباب ، فإن زكى المهندس لم يكن عمل الحديث عن توجيه الشباب ، حتى أن أحاديثه في الإذاعة - وهذا ضرب آخر من ضروب نشاطه - لم تنس العنصر البشرى الذى كان يعد نفسه مسئولاً عن ثقافته .

لقد علم داخل الفصول الدراسية ، وحاضر في مدرجات الجامعة ، وخطب من منصات الجمعيات ، وأذاع على متن الاثير ، وكتب آراءه في الكتب والصحف والمجلات . إن سنتين عاماً إلا بضعة أشهر تتمثل امامى

(١) الدكتور أحمد عمار عضو المجمع .

الآن وأنا أحاول أن أحيى صوراً عزيزة للأستاذية والصدّاقة ، والزمالة في دار العلوم مدة ، وفي التفتيش حقبة ، ثم في هذا المجمع الموقر إلى أن فرق الموت بيننا .

سينقضى وقت طويل - طويل جداً - قبل أن تجد مصر من أبنائها شخصية تجمع كل هذه السمات ، وتختلف كل هذه الآثار . أستودع أستاذاً وصديقاً وزميلاً ملأ صوته لقاعة المجمع علماً وثقافة وعفة لفظ . وأقدم أخلص الغراء لأسرته العائلية ، ولأسرته العلمية ، فكلنا فيه يعزى ويعزى .

أرجو أن يعفينا القدر من مثل هذا الموقف الحزين فترة نلتقط فيها أنفاسنا من شبح الموت ، الذى يحيم علينا ، ويأبى إلا أن يفجعنا كل غام في عزيز من زملائنا .

أتذكر يا عمار (١) : ما قلته لك منذ نحو عشرة أعوام :

تأزمت الأمور فلست تلقى
خطيباً مستعداً للثناء
فهلاً كف عزرائيل عنا
أيّد القدر المحرك للفناء
أقيموا دونّه سداً وأخفوا .
من « الأرشيف » تاريخ الولاد
أريحونا ولو عاماً لبقى
لنا صفبو الحياة بلا بكاء

أتمنى ألا أقف هذا الموقف مرة أخرى .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
المعادى ١٨ من ذى القعدة ١٣٩٦
١٠ من نوفمبر ١٩٧٦

مهدى علام
أمين المجمع

● كلمة الشعر للدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش

شُيِّعَتْ بِالْآيَاتِ وَالْأَنْثَاتِ
يَتَارِكُ الدُّنْيَا إِلَى الْجَنَّاتِ
صَرَفَ الْكَلَامَ بِكَيِّ عَلَيْكَ وَنَحْوَهُ
لَمَّا بَغَى صَرَفَ الزَّمَانَ الْعَاتِي
كَأَنَّ تَدْوِيرَ عَلَى الشَّفَاهِ بِسْمَتِهَا
وَرَحَى تَدْوِيرَ فَتَحْصِدُ الْهَامَاتِ
وَالْمَوْتَ حَقٌّ لَا مَحَالَةَ لِئِنَّمَا
تَجْرَى الْعَيُونَ بِصَحْبَةِ الْآهَاتِ
إِنَّ الْحَيَاةَ قَصِيرَهَا وَطَوِيلَهَا
سَيِّئَانِ عِنْدَ مَقْوُوضِ اللَّذَاتِ
وَالْعَمْرَ مَهْمَا طَالَ يَنْقُصُ دَائِمًا
وَالْقَلْبَ يَدْنِي الْمَوْتَ بِالسَّدَقَاتِ
لَيْسَ الَّذِي قَدْ فَاتَ عَمْرُكَ لِئِنَّمَا
مَا لَمْ يَفْتَ مِنْهُ إِلَى الْمِلَقَاتِ
وَالْمَهْدِ مِثْلَ النُّعْشِ يَحْمِلُ مِيتًا
ضَمَّتْهُ أَكْفَانٌ مَعَ اللَّفَاتِ
يَا عَالَمَ الْفَصْحَى لِبَعْدِكَ لَوْعَةٌ
إِنَّ الْفِرَاقَ لِأَكْبَرَ اللَّسَوَعَاتِ
أَنْتَ الْمَعْلَمُ وَالْأَدِيبُ كِلَاهُمَا
أُسْتَاذُ جِيلٍ قَدْ مَضَى وَالْآتِ
رَغْمَ التَّطَوُّرِ مَا فَتَحَتْ مَحَافِظُنَا
مُسْتَمْسِكًا بِالزُّبَى وَالْعَادَاتِ
مِمَّا يَدُلُّ عَلَى اقْتِنَاعِكَ أَوَّلًا
وَشَجَاعَةٍ فِي مَعْرِضِ الطَّاقَاتِ
صَفَّ لِي الْحِمَامِ وَقَدْ عَهْدَتْكَ صَادِقًا
هَلْ وَقَعَهُ أَقْسَى مِنَ الْعِلَاقَاتِ ؟
أَوْ أَنَّهُ أَدْنَى مِنَ الْخُوفِ الَّذِي
يَنْتَابُ مَنْ يَسْعَى إِلَى الْأَفْلَاقَاتِ !
هَلْ مِنْ يَمُوتُ لِفُورِهِ خَيْرٌ لَهُ
مَنْ أَنْ يَمُوتَ عَلَى مَدَى سَاعَاتِ ؟
أَوْ أَنْ لِحِظَةِ مَوْتِهِ أَقْسَى لَهُ
مِمَّا مَضَى مِنْ قَبْلِ مَنْ وَيَلَاتِ !
هَلْ مَوْتُهُ الْمَطْعُونِ أَكْبَرُ وَطْأَةً
مِنْ مَوْتِهِ الْمَشْنُوقِ بِالسَّاحَاتِ ؟
أَوْ مَوْتُهُ الْمُسَمُومِ وَالْمَلْدُوغِ
بِالْحَيَّاتِ وَالْمَخْنُوقِ بِالْغَازَاتِ !
هَلْ كُلُّهَا مَوْتَ كَمَوْتِ مَرِيضِنَا
أَوْ حَتْفٍ مِنْ مَاتُوا مِنَ السَّكَنَاتِ ؟
أَوْ مِنْ يَمُوتُ بِطَلْقَةٍ مِنْ كَفِّهِ
أَدْنَى مِنْ الْهَرُوقِ بِالشَّعْلَاتِ !

يسارب كُفّر سيئات ذنوبنا	حار الفلاسفة الأوائل كلهم
واغفر لنا ما كان من زلات	بين الحياة وعالم الأموات
لا فضل إلا بالتقى بين الورى	حتى أتنا الأنبياء وبلغوا
بالعدل والأعمال بالنيات	يوم القيامة لا محالة آت
والسابقون الفائزون مقامهم	ياخالق الدنيا وجودك ثابت
دار الخلود وروضة الجنات	بالغيب والأرزاق والإنبات
ابراهيم ادهم الدمرداش	والروح من أمر الإله وعلمه
عضو المجمع	ما أوتى الإنسان من قدرات

كلمة الأسرة

لشقيق الفقيد الأستاذ كامل المهندس

سيدى الجليل رئيس مجمع اللغة العربية
الموقر-

سادتى الأجلاء أعضاء المجمع

أقدم لكم بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن
أفراد أسرتى أبجل الشكر على ما قتم به من
إحياء ذكرى شقيقى المرحوم الأستاذ زكى المهندس
نائب رئيس المجمع . لقد كان الفقيد أستاذاً
وأخاً وأباً لى ، رعانى طفلاً ، وهو لا يكبرنى
بأكثر من عشر سنوات ، ورعانى طالباً
بالأزهر الشريف ومدرسة دار العلوم ثم
طالباً بجامعة لندن ، وأخيراً غمرنى بعطفه وأنا
عضو هيئة التدريس بكلية دار العلوم . فأنا
مدين للفقيد بكل ما نلت من خير فى جميع
مراحل حياتى .

وليس بين أفراد أسرتى من لم يشمله بكامل
عنايته حقبة طويلة ، حتى تخرج منهم الكثير من
الأساتذة وقادة الجيش والأطباء والمهندسين
وغيرهم ، وبينهم من يشغل الآن مناصب
رفيعة .

هذا إلى ألوف الطلاب الذين تعهدهم
بالتربية والتدريب من أبناء وزارة المعارف
(وزارة التعليم الآن) ، ومدرسة دار العلوم
(كلية دار العلوم الآن) ، وكلية اللغة
العربية من الجامعة الأزهرية ، ومنهم من

أسهم بنصيب وافر فى النهضة العلمية الحديثة
بمصر الحديثة بمصر والبلاد العربية الأخرى :

وقضلا عن الأحاديث الدينية والاجتماعية
المتعة التى كان يحرص العدد العديك من
الجمهور على الاستماع إليها فى برامج الإذاعة
كل صباح وحدث أن أرسلتنى وزارة المعارف ،
ومعى صديقى المرحوم الدكتور فؤاد حسنين
الأستاذ باداب القاهرة ، إلى دير سانت كاترين
بطور سيناء لفحص المخطوطات السامية وخاصة
العربية هناك . وأسعدنا الحظ أن نذهب
بصحبة ثلاثة من أئمة القانون والأدب
والتاريخ المرحوم الدكتور عبد الرزاق أحمد
السنهورى (وكيل وزارة المعارف وقتئذ) ،
والمرحوم الأستاذ أحمد أمين والمرحوم
الأستاذ عبد الحميد العبادى .

ومازالت إلى الآن أذكر ما دار من حوار
بين الأساتذة الثلاثة حول دار العلوم وقد
كانت تتنازعها الأهواء فى ذلك الوقت
ويتردد أمرها بين الإلغاء والإبقاء . فاجتمع
رأيهم على وجوب انضمامها لجامعة القاهرة
صيانة لها وإبقاء عليها .

وشاء القدر أن تنضم دار العلوم فيما بعد
لجامعة القاهرة على يد فقيدنا طيب الذكر
الأستاذ زكى المهندس ، وأن يكون هو

آخر ناظر لها في وزارة المعارف وأول عمدائها
في عهدها الجامعي ، وأن تظل دار العلوم
تؤدي رسالتها كسالف عهدها في خدمة
الفصحى ونشرها ؟

وإن أنس لا أنس ما أسهم به الفقيد زهاء
ثلاثين عاما في المنجزات العظيمة لمجمعكم
الموقر ، تلك الأعوام التي كانت -
على ما ذكر لي مرارا- أسعد أيام حياته برغم
ما تخللها من متاعب الشيخوخة ؟

فليس عجيباً إذن أن يقوم مجمعكم المبجل
بإحياء ذكره ، وقد قضى ما يقرب من ثلث
حياته في خدمته ، فإنكم أولو الوفاء والفضل
كما أنكم أساطين العلم وأعلام الفن والأدب .
ولقد كان لما أنجزتموه من المؤلفات الضخمة
في مصطلحات العلوم والفنون ، وما قتم به
من بحوث لغوية أصيلة قيمة وما نشر نجوه
من معجمات أبلغ الأثر في نمو لغتنا العربية
والاحتفاظ بها سليمة مزدهرة .

وإنه لطيب لي ويثلج صدرى أن ألمح
بينكم إخواني إلى طالما نعمت برويتهم وسعدت

بصحبتهم ، ثم فرقت بيننا ظروف الحياة كما
تفرق بين الإخوة الأشقاء الأحياء ؟

وليس أدعى لهدوء نفسي وراحة بالي من أن
أستمع - فيما استمعت إليه من دور خطباتكم
وشعرائكم - إلى صديق الصبا والشباب الأديب
الكبير الدكتور محمد مهدي علام حفظه الله ؟

ولقد كان بين أفراد أسرتي من هو
أقدر مني على الوفاء بشكركم والرد على
كلماتكم النبيلة الوفية ، لولا أن كبر سني كان
شفيعا لي في أن أنال هذا الشرف العظيم .

سيدى الجليل رئيس المجمع .

سادتي الأجلاء أعضاء المجمع

أطال الله بقاءكم ممتعين بأتم صحة ورافعين
أعلام اللغة العربية - لغة القرآن والحديث -
خفاقة في كل مكان ، وتغمد المولى - جل
شأنه - فقيدنا الحبيب بواسع رحمته .

والسلام عليكم ورحمة الله .

كامل المهندس

●● كلمة الختام للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

سيداتي ، سادتي :

في ختام الجلسة أتقدم بخالص الشكر لكل
الذين تفضلوا بالحضور إلى هذا المكان
ومشاركة المجمع حفل تأبين فقیده الكبير شيخ

الجميعين الأستاذ زكي المهندس رحمه الله
رحمة واسعة ، وأسأله تعالى أن يوسع له في
جنته ورضوانه ؟

ورفعت الجلسة ، وشكرا لكم .

زكى المهندس امام الاشكالية العظمى للدكتور محمد عزيز الحبابى

وجدانى ومجتمعى . مع الموت ، كذلك ، نحن فى صراع دائم ، إلا ان الموت لا يجابهنا علانية ، على قارعة الوجود . فغالبا ما يفضل المراوغة والبغته . آثاره ملموسة ، وبلا وضوح ، عينية ، وفى أوج الغموض ، تحاصرنا فى كل مكان وكل آن ، ولكن الموت يبقى هو هو ، على مر الأزمان وتغير الأمكنة ، دون مكان أو زمان . إنه العيب الثقيل الذى لا وزن له ولا أبعاد . الموت لا يموت . يزرع الفناء ولا يفنى . يقوم بعملياته الصغرى والكبرى وهو لا يلمس ولا يرى : إنه التناقض المطلق : العدم للوجود ، الوجود المتعدم . بوجوده تنعدم الموجودات . ينساب فى كل الكائنات ، وهو بلا كينوننة .

قليل من يقدرون على مواجهة تحدى الموت السافر والمقنع . وما أخالنى مبالغا ان عددت من تلك القلة . فقيدنا . أتذكر ابتساماته الهازئة ، وعصاه يهش بها على الأشباح ، وقامته المنتظمة عموديا التى عودها على أن لا تركع أمام جبروت السنين . يفضل السير على الأقدام واثقا فى ركبته ، حامدا فى حجة الحياة . فلا يصارع الموت إلا من يتقبل توضحيات ، طوال الحياة . كانت النكته من أسلحة فقيدنا ، فى الصراع الطويل ،

منذ أن بدأ الإنسان يعى أوضاعه ، حاصرته قضية الوجود والعدم ، فأصبحت الإشكالية الأولى فى كل الفلسفات هى أن نتأمل فى الوجود والموجود ، وفى العدم والمعدم . بيد أننا لا نكاد نعثر على نسق فلسفى ينطلق من مفهوم الموت .

فما الموت ؟

بمجرد ما توصلت ببطاقة مجمع اللغة العربية بالقاهرة تنعنى إلى أمتنا الفقيد الحبيب ، حتى فاجأنى ذلك السؤال ، لاحتفى . إنه لسؤال مزعج ، نظرحه ، بل يطرح نفسه علينا . ويشتد إلحاحه بقدر ما نكون من معزة أو تقدير للهالك ، وأستاذنا الجليل زكى المهندس عزيز للطفه الجم ، ولصدق صداقته ، وخفة روحه ولخلق الرقيق ، وهو أيضا محاط بالتقدير ، لمكانته فى ميادين العلم والتعليم ، والإخلاص فى خدمة اللغة العربية .

ها هو السؤال يعاودنى : ما الموت ؟ إنه الحاضر الغائب . كان منذ البداية يمرح فى قارات العدم ، ولا نتصور له نهاية . إننا نحيا تجارب الوجود فى أى فعل يصدر عن وعينا . كما نعانى الوجود كل مرة يفنى فيها واحد من نتواجد معهم . إنها معاناة ذات لونين نحياها كتجارب أنطولوجية ونفسانية ، فى مظهرين ،

حقاً . إن النكتة لا تقضى على الموت ،
ولكنها تحمى من بلاء الخوف المزمّن الذى
تزرعه المنية فى القلوب ، وتبهر به العقول
الحائرة . كان زكى المهندس يحسن النكتة ،
بها يتحدى الموت .

النكتة ضياء فى غياهب الليل البارد الخفيف
الذى لا يعرف نهاية ، ليل الحقيقة المرة وهى
تزرع الحيرة المطلقة ، وتسترق منا نور الهدوء
والاطمئنان .

* * *

غمرنى عزيزنا بلطفه عند أول مأدبة جمعتنى
وإياه ، جالسنا إلى نفس المائدة ، فتعاطفنا ،
وبقيت أعز بصداقته . حبت إليه أن يحكى
لجالسيه عن أجيال عرفها ، فإذا به لا ينقل عنها إلا
الجانب الخفيف ، وبخفة دم تتناسق مع
« آيس كريم » و « أم على » ، خصوصاً بعد
الجلسات الصباحية بمجمع اللغة العربية
بعروضها ومناقشاتها الدسمة :

امتاز المرحوم بقدرته على النكتة ، وعلى
حسن صياغتها ، كما كان يحسن روايتها ،
فى الأوقات الملائمة ، فتوفرت فيه شروط
البلاغة والبيان . إن النكتة « البليغة » تسخر
من العبث ومن العابثين . كل النفوس مكبوتة من
جلاء شبح الموت المائل أبداً . فتأتى النكتة ،
تقصف الضجر وتفجر الكبت .
فنستعيد الأمل فننسى الكابوس المرعب ولو
إلى حين . ولعمري ، إذا كانت النكتة
البارعة ، هذا شأنها ، ألا يطبق عليها

« إن من البيان لسحرا » ؟ سحر النكتة
سلاح ونعمة لدى الطبائع الأثرية . وإن
فقيدنا لمن تلك الطينة .

نكتة كانت تأتى فى صفاء البراعة ، مرحة ،
متفائلة ، لا تخدش ولا تجرح .

* * *

ثم مرة أخرى : ما الموت ؟

لقد حمنا حوله دون أن نخط له حدوداً .
لو قدر للموت أن يتحدث عن نفسه لأكد
أنه هو نفسه لا يعرف تحديداً ولا حدوداً .
بل إنه ، فى حركاته الدائبة ، لا يجد أوقات
فراغ ليتساءل عن هويته . إنه . . هو . .
أى . . أى شىء ؟

كل إنسان يتأمل يموت وفى نفسه ازعاج
من ذلك « أى » . الموت لا يفسر : وإنما
نخافه ونخيف به ، إنه الزوبعة فوق رأسنا ،
أبد الآبدين . إنه حوار متصل بين المرء
ونفسه ، ولكنه حوار الصم البكم ، محاوره
بين المعنى واللامعنى ، المعقول واللامعقول .
العقلانية تتدخل فى المعقولات والأفعال
الإرادية ، فأنى لها أن تناقش الموت-العبث
الذى يأتى بلا ميعاد ، على غرة ، ودون
رغبة فيه ، وبغيب حيث ينتظر المترقبون ؟
العقل يتدخل فى شئونى عندما تأتى أفعال
منسجمة مع وعيى لها ، عندما أريدها محقة
أو مفروضة ، أما الموت فلا يخضع لإرادتى ؛
لن يستشيرنى عندما ستحل فعلته بى . فى

لحظات الموت ، يصبح الكوجيطو هو :
لم أعد قادراً على التفكير ، إذن أنا موجود
سلبياً ، جثة تعاني حينونة الانعدام . هناك
لحظة ممتازة ، يتعانق فيها وجودى بعدمى ،
كل المتناقضات تتجسد ، فى لحظة ممتازة
تدخل فيها الإيجابيات والسلبيات حياً حاداً .
موتى ليس من عملى أنا ، ولكنه من شأنى ،
يهمنى مباشرة .

إن أعود فأقول : « أنا » ، ولا أخطب
غيرى بـ « أنت » ، لا تواصل ولا نداء .
أنتقل من « متكلم » إلى « متكلم عنه » ،
ويصير كلامى صوتاً صامتاً أبداً . أين منى
ذلك الجهاز الذى كان يرغب ويشتهى ،
كان يعقلن حياته ، ويريد ، ويتخيل ؟
لقد دخل فى خبر كان ! وماذا كان ؟
كان جهازاً موجهاً لأن يؤول إلى ما هو
الآن . عاد إلى أرض الميعاد إلى الأرض

الأم : « منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم » (قرآن كريم) .
كنت أملاً حيزاً من الفضاء وأمست بلا
مكان ، ذهبت مع الموت ! الموت نديم
لا يصحو وليس منا من يذوق سكرة
الموت أكثر من مرة فى « حياته » . سكرة
بلا خمر ، وكحول بلا عصير الموت .

أيها السادة

الحديث عن الموت لا يميته الموت ،
ولا يبلور معناه . فلن يعزينا فى فقدان
حبيبنا زكى المهندس إلا أن ندعو له بالرحمة ،
وبخير الجزاء على ما أسداه للغة العربية من
خدمات ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

محمد عزيز الحبابى

عضو المجمع المراسل من المغرب

من أنبياء المجمع

وفاة نائب رئيس المجمع :

استأثرت رحمة الله تعالى بروح المرحوم الأستاذ زكى المهندس نائب رئيس المجمع في ١٧ من شعبان سنة ١٣٩٦ هـ الموافق ١٣ من أغسطس سنة ١٩٧٦ م . وفي هذا الجزء من المجلة كلمات حفل المجمع في تأبينه .

خبراء جدد :

وافق مجلس المجمع على اختيار بعض الخبراء الجدد ، وهم السادة :

الدكتور أحمد جامع رئيس قسم الاقتصاد بكلية الحقوق بجامعة عين شمس (للجنة الاقتصاد) .

الدكتور فؤاد مرسى رئيس قسم الدراسات العليا بجامعة الاسكندرية (للجنة الاقتصاد) .

الدكتور سعيد عاشور الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة (للجنة التاريخ)

الدكتور محمد سلام مذكور رئيس قسم الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة (للجنة القانون) .

الدكتور فاروق القاضي الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة عين شمس (للجنة التاريخ) .

صلوات المجمع الثقافية :

●● قام الأستاذ بدر الدين أبو غازى عضو المجمع بتمثيل المجمع في اجتماع العمل الذى عقدته المنظمة العربية للعلوم الادارية بالاسكندرية في المدة من ٢٢ الى ٢٥/٥/١٩٧٦ .

●● أرسل الدكتور محمد بدرى عبد الجليل (المدرس بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية) الى المجمع بحثا بعنوان « المشاكلة » ، وهو فصل من كتابه « المجاز وأثره في الدرس اللغوى » وقرر المجلس بجلسته المنعقدة في ١٩/٤/١٩٧٦ اخطائه على لجنة الاصول لدراسته وابداء رأيها فيه ، ثم عرض تقريرها على المجلس .

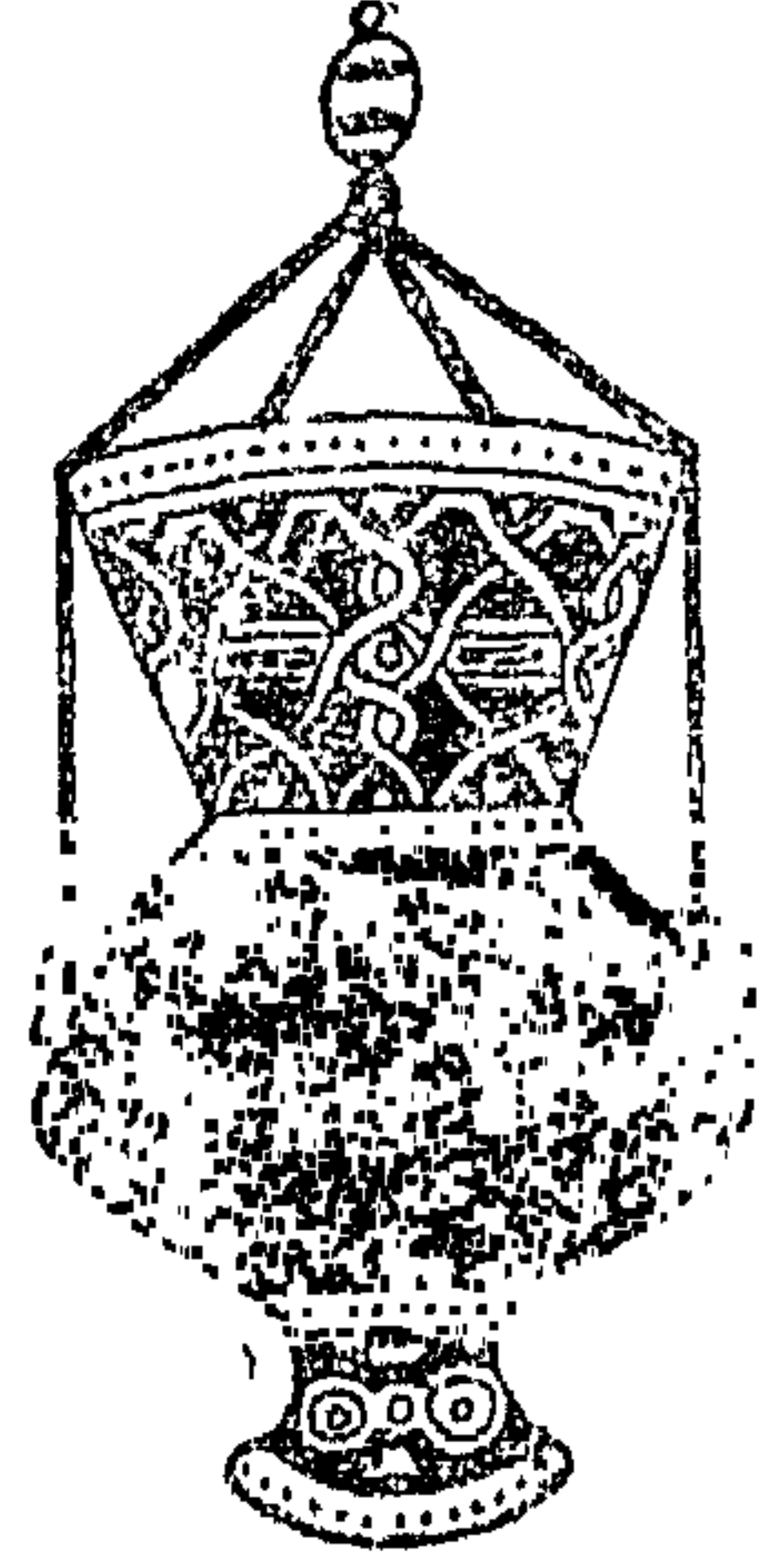
ورد المجمع من « الصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية » مواد معجم اقتصادى عربى ، فقرر المجلس بجلسته المنعقدة في

●● ١٩٧٦/٥/٣ احوالته على لجنة الاقتصاد لنظره .وابدء رابها فيه ،
●● مثل المجمع الأستاذ محمد خلف الله أحمد عضو المجمع في اجتماعات
لجنة الآداب والعلوم التي شكلها المجلس الأعلى للجامعات الذي
عقد في ١٩٧٦/٨/٧ .

●● ورد المجمع كتاب وزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربية
تطلب فيه البحث عن مسميات جديدة للمدارس التربية الخاصة
بجمهورية مصر العربية ، وقرر المجلس بجلسته المنعقدة في
١٩٧٦/١٠/٤ احوالته على لجنة الفاظ الحضارة الحديثة لنظره
وعرض ما تصل اليه بشأن هذا الموضوع على المجلس .

مسابقة المجمع الأدبية :

في مناسبة الذكرى الخمسين لوفاة الزعيم سعد زغلول رأت
لجنة الأدب بالمجمع عقد مسابقة لعام ١٩٧٧/٧٦ موضوعها :
« سعد زغلول خطيبا وكاتبا وأثره في البيان العربي الحديث » .
وآخر موعد لقبول الأبحاث المقدمة للمسابقة هو ١٩٧٧/٣/٣١



طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الإدارة
محمد حمدى السعيد

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٨/٢٠٢

الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية
٢٠٠٠-١٩٧٨س٤٠٩٢

